المركز القومي للترجمة

ميراث الترجمة

مختارات من إبسن

المجلد الرابع

المشروع القومي للترجمة

1609

NORWEGIAN EMBASSY



مختارات من هنريك إبسن

(المجلد الرابع)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: 1609
- مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)
- المسرحيات الثلاث: عدو الشعب - عندما نبعث نحن الموتى - جون جابرييل بوركمان
- مجموعة من المترجمين والمراجعين
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)
(يعيد المركز القومى للترجمة نشره بالتعاون مع السفارة الملكية النرويجية بالقاهرة وذلك بمناسبة مرور مائة عام على رحيل الكاتب المسرحى الكبير)

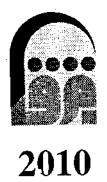
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com **Tel**: 27354524 – 27354526 **Fax**: 27354554

مختارات من هنريك إبسن

(المجلد الرابع)

اختيار وترجمة

نخبة من المترجمين والمراجعين



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إبسن ، هنريك (١٨٢٨ - ١٩٠٦)
مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع) / نخبة من المترجمين والمراجعين؛
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٧٢ ص ، ٢٠ سم
١ - الأدب النرويجى - مجموعات
(أ) العنوان ٨٣٩,٨٣٠٨

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٤٥٣٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 978 - 977 - 704 - 182 - 9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الفهرس



عدوّ الشعب

ترجمة: إبراهيم رمزى

مراجعة: خليل مطران

محمد زكى المهندس

زكى طليمات



أشخاص الرواية

- **الدكتور توماس ستوكمان** Thomas Stockmann:
  مفتش صحة حمامات البلدية.
- **كاترين ستوكمان** Katrine Stockmann: زوجته.
- **بترا** Petra: ابنتهما، معلمة فى مدرسة.
- **إيليف** Ejlif: ابن لهما، عمره ١٣ سنة.
- **مورتن** Morten: ابن لهما، عمره ١٠ سنوات.
- **بيتر ستوكمان** Peter Stockmann: أخ أكبر للدكتور،
  عمدة المدينة ورئيس لجنة الحمامات إلخ.
- **مورتن كيل** Morten Kill: صاحب مدبغة.
- **هوفستاد** Hovstad: رئيس تحرير «جريدة رسول الشعب».
- **بيلنج** Billing: محرر بالجريدة المذكورة.
- **هورستر** Horster: قبطان.
- **أسلاكسن** Aslaksen: صاحب مطبعة.

رجال مختلفو الأحوال والأعمال، وبعض نساء، وفرقة من أطفال المدارس، وجمهور يحضر إلى اجتماع عام.

تحدث الرواية فى إحدى بلدان الساحل

من جنوبى بلاد النرويج

نقلت هذه الرواية عن ترجمة إنجليزية للأصل النرويجى قــام بها فاركوهارسون شارب Farquharson Sharp واســتأنس المتــرجم عند نقلها إلى العربية بترجمة أخرى تولتها السيدة ماركس أفلنج.



الفصل الأول



المنظر:

غرفة جلوس الدكتور ستوكمان **Stockmann**.

والوقت مساء . الغرفة بسيطة ولكنها مفروشة فراشًا نظيفًا. ويوجد فى الجدار الأيمن بابان، الأبعد منهما يؤدى إلى البهو والأقرب إلى غرفة المطالعة التى للدكتور . وفى الجدار الأيسر أمام الباب الذى يؤدى إلى البهو باب يؤدى إلى الغرف التى لبقية أفراد العيلة، وفى منتصف هذا الجدار يوجد موقد التدفئة، وبعده مقعد (كنبة) معلق من فوقه مرآة، وأمام المقعد منضد بيضى الشكل، وعلى المنضد مصباح له مظلة، وفى ظهر الغرفة باب مفتوح يؤدى إلى غرفة المائدة. ويُرى بيلنج **Billing** جالسا إلى المائدة وقد وُضِع عليها مصباح مشعل، ومعه قطيلة (فوطة) محشورة فى طوقه تحت ذقنه، والسيدة ستوكمان امرأة الدكتور واقفة بجوار المائدة تقدم إليه صحنا كبيرا مُلئ لحما (روزبيف). أما بقية الكراسى التى حول المائدة فهى خالية، وتلوح المائدة غير منظمة، يدل ظاهرها على أن بعضهم كان جالسًا إليها وأكل وانتهى وتركها هكذا...

كاتـــرين : ها أنت ذا ترى أنك إذا حضرت متأخرًا عن الموعد ساعة لم يكن بد من أن ترضى بلحم بارد.

بيلنـــج : (وهو يأكل) إنه طيب فوق العادة. شـكرًا، طيـب جدا.

كاتـــرين : زوجى يحتم أن يتناول طعامه فى أوقـات محـدودة وأنت تعرف...

بيلنـــج : لا يؤثر فىَّ هذا شيئًا، بل الواقع أنى أكاد أعتقد أنـى أستلذ الأكل وأنبسط إذا جلست إلى المائدة وأكلته كله وحدى لا يزعجنى أحد.

كاتـــرين : حسن، ما دمت تستطيبه... **(تلتفت صوب باب البهو تتسمع)** أظن أن السيد هوفستاد **Hovstad** قد حضر هو أيضًا.

بيلنـــج : يغلب ذلك.

(يدخل بيتر ستوكمان وهو لابسٌ معطفًا وقبعة رسمية عليها شريط مذهب ويحمل عصا)(*).

بـيـتـــر : مساء الخير يا كاترين.

كاتـــرين : **(آتية إلى غرفة الاستقبال)** آه، مساء الخير. أهو أنت؟ ما أكثر لطفك لتفضلك بزيارتنا.

(*) ورد فى ترجمة السيدة ماركس أفلنج أن على هذه القبعة شريطًا مذهبًا.

بيتر : اتفق أنى كنت مارا ولذا... **(ينظر إلى غرفة المائدة)** أرى عندك ضيفاً.

كاترين : **(بشيء من الارتباك)** أوه، لا، إنه حضر مصادفة. **(بسرعة)** ألا تدخل وتتناول شيئا أنت أيضا.

بيتر : أنا؟ كلا، شكرا. أعوذ بالله، لحم سخن بالليل؟ لا ؛ إن معدتى لا تقر هذا.

كاترين : أوه، ولو مرة واحدة على سبيل...

بيتر : لا . لا، يا سيدتى العزيزة إنى ملازم فنجان الشاى وقطعة الخبز والزبدة. إنها على مضى الوقت أحسن وأفضل ونوعًا ما أقرب إلى الاقتصاد أيضا.

كاترين : **(تبتسم)** إياك أنْ تظن لهذا أنى أنا وتوماس على شىء من الإسراف.

بيتر : أنتِ؟ – لا يا عزيزتى، محال أن أظنك كذلك. **(يشير إلى غرفة مطالعة الدكتور)** أهو هنا؟

كاترين : لا. إنه خرج يتمشى قليلا بعد العشاء، هو والأولاد.

بيتر : لا أرى أن هذا المشى بعد العشاء فى محله. **(يتسمع)** أظن أنه هو الآتى.

كاتـــــرين : لا، لا أظنه هو. **(تسمع دقة على البـــاب)** تفـضل. **(يدخل هوفستاد من باب البهو)** أوه، هو أنت يا سيد هوفستاد؟!

هوفستـــاد : نعم، رجائى أن تعذرينى؛ ولكنى شغلت فى المطبعة. سعدت مساء يا حضرة العمدة.

بـيـتـــــر : **(ينحنى بشىء من الجفاف)** سعدت مساء. إنك آت فى مهمة بلا شك؟

هوفستـــاد : بعض الشىء، بشأن مقالة من أجل جريدتى.

بـيـتـــــر : هكذا قدرت. بلغنى أن أخى أصبح من أسيل النـــاس يدًا فى مراسلة «رسول الشعب».

هوفستـــاد : أجل. إنه من أصلح من يـستطيعون التحريـر فـــى «رسول الشعب» يوم يتناول مسألة من مسائلنا فـــى البلدية.

كاتـــــرين : **(إلى هوفستاد)** ولكن ألا... **(تشير إلى غرفة المائدة)**.

بـيـتـــــر : صحيح، صحيح، لا ألومه بتاتا، وهو كاتب، أن يوجه أقواله إلى الجهة التى يجد منها عطفا وإقبالا، وفضلا عن هذا فإنى شخصيا لا أحمل فى قلبى موجِدة على جريدتك يا سيد هوفستاد.

هوفستـــاد : أنا على ما ترى.

بـيـتـــر : إذا ذكر الشىء بالشىء فإنى أقرر أن فى البلـد روح تسامحٍ كبيرٍ، وروحَ قوميةٍ بلدية تسر الخاطر. كـل هذا ناشئ عن وجود مصلحة مشتركة بيننا، مصلحة عالية فى نظر كل مواطن مخلص سليم العقل.

هوفستـــاد : الحمامات؟ نعم.

بـيـتـــر : بعينها، حماماتنا الجميلة البديعة. تنبه إلى كلامى يـا سيد هوفستاد، ستكون الحمامات محور حياتنا البلدية، لا أشك فى ذلك بتاتًا.

كاتـــرين : هذا بعينه ما يقوله توماس.

بـيـتـــر : انظر الآن، كيف أن بلدتنا كبرت واتسعت أعمالهـا فى السنة الأخيرة أو السنتين إلى حـد يـدعو إلـى العجب. تدفقت الأموال فى البلدة، ودب فيها شـىء من روح الحياة والعمل، وأخـذت قيمـة المنـازل والأراضى ترتفع يوما عن يوم.

هوفستـــاد : وأخذت البطالة تقل.

بـيـتـــر : نعم، هذا شىء آخر. وقد خف عـن النـاس عـبء ضريبة الفقراء فارتـاح أصـحاب الأمـلاك. وفـى

اعتقادى أن العبء سيخف أكثر إذا جاء موسم الصيف هذا العام كما نرجو، وقصدنا كثير من الزوار وكثير من المرضى الذين يشهرون صيت الحمامات.

هوفستاد : لعله ينتظر أن يكون الحال على ما نرجو.

بيتر : الحالة تبشر بذلك، والبريد يأتينا كل يوم بعديد من الرسائل يسأل فيها أصحابها عن شقق خالية وغرف وغير ذلك.

هوفستاد : إذن فسيكون نشر مقال الدكتور الآن فى وقته.

بيتر : هل كتب شيئا آخر فى هذه الأيام؟

هوفستاد : هى مقالة كتبها فى الشتاء يوصى الناس فيها بالانتفاع بالحمامات، ويسهب فى بيان المزايا الصحية التى تنعم بها هذه البلدة، ولكنى وقفت نشرها مؤقتا.

بيتر : آه، لعل ذلك لمانع بسيط فى شأنها!

هوفستاد : لا. لا، ولكنى استصوبت أن أبقيها حتى يأتى الربيع، لأن الناس فى ذلك الوقت يفكرون فى الجهات التى يقصدون إليها فى الصيف.

بيتر : فى محله، لقد كان رأيك صوابا يا سيد هوفستاد.

كاتـــــرين : فعلا، إن توماس لا يكل له جهد إذا هو اشتغل بـــأمر خاص بالحمامات.

بـيـتــــر : تذكرى أنه مفتش صحة هذه الحمامات.

هوفستـــاد : نعم، وأكثر من ذلك أنها لم تنشأ إلا بفضله.

بـيـتــــر : بفضله هو! نعم يبلغنى من آن لآن أن فى الناس من يرى هذا الرأى؛ ولكن يجب علىَّ فى الوقت نفسه أن أقول إننى أتصور أن لـــى فـــى الأمـــر يـــدًا ولـــو قصيرة.

كاتـــــرين : فعلا. هذا ما يقوله توماس دائمًا.

هوفستـــاد : من ينكر عليك هذا يا سيد ســتوكمان؟ أنــت نفــذت المشروع وجعلت منه مصلحة قائمة، نحــن جميعــا نعرف ذلك، ما عنيت إلا أن فكرة المــشروع إنمــا تأتت من أخيك الدكتور أولا.

بـيـتــــر : الفكرة! نعم الفكرة. إن أخى كان كثير الفكر فى ذلك الوقت لسوء الحظ، ولكن عندما يراد التنفيذ الفعلـــى يجب عليك أن تقصد إلى شخص من طراز آخر يـــا سيد هوفستاد، وقد كان يدور فى خلدى أن فى هـــذا البيت على الأقل...

كاتـــــرين : رويدك يا عزيزى بيتر...

هوفستـــاد : كيف تظن أن...

كاتـــرين : ألا تدخل وتتناول شيئًا من الطعام يا سيد هوفـــستاد؟ مؤكد أن زوجى سيحضر توًّا.

هوفستـــاد : شكرا لا بأس بقطعة صغيرة. **(يـــذهب داخـــلا إلى غرفة الطعام).**

بـيـتــــر : **(يخفض صوته قليلا)** إنه ليدهشنى أن أولاد الفلاحـــين هؤلاء لا تفارقهم قلة الذوق بتاتا.

كاتــــرين : هوِّن عليك، ليس هذا مما يستحق الاهتمـــام لـــه. ألا يمكنك أنت وتومـــاس أن تتقاســـما فـــضل العمـــل كأخوين؟

بـيـتــــر : كنت أرى ذلك،ولكن يظهر أن فـــى النـــاس مـــن لا يقنعون بحصة واحدة.

كاتــــرين : ما هذا الكلام الفارغ؟ أنت وتوماس على أتم وفـــاق. **(تتسمع)** هاهو ذا آت على ما أظـــن. **(تخرج وتفـــتح الباب المؤدى إلى البهو).**

الدكتــــور : **(يضحك من الخارج ويتكلم بـــصوت عـــال)** هـــو! كاترين جئتك بضيف آخر، أما فى ذلك مـــا يـــسر؟

تفضل يا قبطان هورستر، علق معطفك علـــى هــذا المشجب. آه، إنك لا تلبس معطفا. تأملى يا كاترين، لقيته مصادفة فى الطريق ولم أستطع حملـــه علـــى المجىء إلا بالجهد الجهيد. **(يدخل القبطان هورســـتر ويحيى السيدة ستوكمان، ويتبعه الدكتور ســـتوكمان بجانب الباب)** ادخلوا يا أولاد، لقد هضموا ما أكلـــوا الآن وعادوا إليك جياعا. تفضل يا سيد هورستر، لا بد أن تأكل قطعة من اللحم، **(يدفع هورستر إلى غرفة الطعام)**.

كاتـــــرين : **(يدخل إيليف ومورتن بعـــدهما)** وى! تومـــاس، ألا ترى...

الدكتـــــور : **(ملتفتـــاً فى مدخل الباب)** أوه، هذا أنت يـــا بيتـــر. **(ويذهب ويسلم عليه باليد)** حقا إن هذا شىء جميل.

بـيـتـــــر : بكل أسف لابد لى أن أذهب على الفور.

الدكتـــــور : كلام فارغ، سيأتى الآن شـــراب التـــودى **Toddy** . لعلك لم تنسَىْ ألتودى يا كاترين.

كاتـــــرين : كيف أنساه؟ الماء يغلى الآن. **(تذهب داخلة غرفـــة الطعام)**.

بيتر : شراب التودى أيضا؟

الدكتور : أجل، اجلس وسنشربه مؤتنسين.

بيتر : شكرا لك. لا، لا أغشى مجالس الشراب فى المساء.

الدكتور : ولكن ليس هذا مجلس شراب.

بيتر : يخيل إلىَّ أنه كذلك. **(ينظر صوب غرفة الطعام)** عجبًا كيف يلتهمون كل هذا المقدار العظيم من الطعام؟

الدكتور : **(يمسح كفيه إحداهما بالأخرى)** نعم، أليس مما يسر النفس أن نرى الشبان وهم يأكلون؟ إنهم جياع دائما، وهذا ما يجب لهم، لا بد أن يأكلوا. إنهم يحتاجون إلى القوة، هم الذين عليهم أن يحركوا ما يختمر الآن من قوى المستقبل يا بيتر.

بيتر : أتسمح لى أن أسألك ماذا هم واجدون هنا ليحركوه كما تقول؟

الدكتور : آه، وجِّه سؤالك هذا إلى الشبان أنفسهم يوم يأتى وقتهم، نحن لا نستطيع أن نرى هذه الأوقات بالطبع، بغلان عتيقان مثلنا...

بيتر : مهلا، مهلا. حقا إن هذا التعبير مستغرب.

الدكتور : أوه، لا يصح أن تفهم كلمتى بمعناها الحرفى يا بيتر.

إنى فى غاية الارتياح والرضا، وفى اعتقادى أنه من الحظ العظيم النادر أن يكون الإنسان منا فى وسط هذه الحياة النابتة النامية العفيَّة. أجل إنه وقت باهر، تستحب فيه الحياة، ويخيل إلىَّ كأن عالما جديدا برمته يخلق من حولك.

بيتر : أترى ذلك فعلا؟

الدكتور : آه، بالطبع إنك لا تتبيَّنه بالوضوح الذى أتبيَّنه به، لقد قضيت عمرك فى هذه الحياة فاعتدتها، وأصبح إحساسك بها فاترا. أما أنا، وقد دفنت كل هذه السنين فى زاويتى الصغيرة بأعلى الشمال حيث لا أكاد أرى غريبا قد يأتى إلىَّ بأفكار جديدة، فالتأثير الحادث الآن لى من رؤيتى ما آلت إليه هذه البلدة هو عين التأثير الذى كان يحدث لى لو أنى أُلقيت فجأة فى صميم مدينة مزدحمة.

بيتر : أوه! مدينة!

الدكتور : أعرف، أعرف أن أحوال بلدتنا تجرى فى نطاق ضيق بالقياس إلى غيرها، ولكن فيها حياة وفيها رجاء، وفيها من الأمور الجمة ما يستحق أن تعمل

له وتجاهد فى سبيله، وهذا هو الشىء المهم. **(ينادى)** كاترين! ألم يحضر ساعى البريد؟

كاتـــــرين : **(من غرفة الطعام)** كلا.

الدكتـــــور : ثم كون الإنسان عائشاً هنا يا بيتّر عيشة راحة، هــذا شىء يعرف قيمته من كان على حافة الموت جوعــًا كما كنا.

بـيـتــــر : نعم مؤكد...

الدكتـــــور : فى الواقع أننا كنا فى الشمال فــى غالــب الأحيــان نقاسى شظف العيش، أما اليوم فالواحد يعيش كأنــه لورد. اليوم مثلا فى الغداء كان عندنا روزبيف وفى العشاء أيضا. ألا تأتى فنتناول قطعــة صــغيرة؟ أو تعال أُريكه على كل حال تعال هنا.

بـيـتــــر : لا. لا، ولا بملك الدنيا.

الدكتـــــور : طيب. طيب، ولكن تعال هنا. أتــرى أننــا اشــترِينا غطاء للمائدة؟

بـيـتــــر : لحظت ذلك، نعم.

الدكتـــــور : كذلك اقتنينا مظلة للمصباح، أتراها؟ كل هــذا ممــا تقتصده كاترين. إن هذه الأشياء تجعل الغرفة ممتعة،

ألا ترى ذلك؟ قف هنا قليلا فقط. لا. لا، ليس هناك، هنا بالضبط، نعم. انظر الآن، عندما تقع الأنوار عليها كلها، أعتقد تمام الاعتقاد أنها جميلة جدا. أليس كذلك؟

بيتر : أوه، إذا كنت تستطيع اقتناء مثل هذه الطرف.

الدكتور : نعم أستطيعه الآن، تقول لى كاترين إن مكسبى يكاد يكون قدر ما ننفق تماما.

بيتر : يكاد؟ نعم!

الدكتور : ولكن الرجل المشتغل بالمسائل العلمية يجب أن تكون معيشته على نمط ممتاز نوعا ما، إنى متأكد أن الموظف المدنى العادى ينفق فى العام أكثر مما أنفق أنا.

بيتر : الواقع أن الموظف المدنى، الرجل الذى يكون فى مركز عال، يسمح حسن مرتبه فيه...

الدكتور : دع ذلك. لنقل أى تاجر عادى مثله ينفق مرتين أو ثلاثا أكثر منى.

بيتر : هذا أمر طبيعى يتبع تفاوت الناس فى المراكز.

الدكتـــــور : على كل حال أؤكد لك أننى لا أنفق نقودا فى غيــر فائدة صحيحة، بيد أنه لا يطاوعنى قلبى فأحرم نفسى لذّتها بإضافة إخوانى،أجدنى كما تدرى شديد الحاجة إلى مثل هذا. لقد عشت مدة طويلة محبوسًا عن كــل شىء، حتى لقد أصبح من ضرورات الحياة عندى أن أختلط بالشباب الناهض، بالرجال المتحمـــسين ذوى المطامع، ذوى العقول الحرة النشيطة. وهذا ينطبــق تمام الانطباق على هؤلاء الأشخاص الذين يستمتعون الآن بطعامهم. ليتك تعرف هوفستاد أكثر مما...

بـيــتــــر : على فكرة، أخبرنى الآن هوفستاد أنه شارع فى نشر مقالة لك أخرى.

الدكتـــــور : مقالة لى؟

بـيــتــــر : نعم، عن الحمامات، مقالة كتبتها فى الشتاء.

الدكتـــــور : أوه، تلك؟ لا، لا أريد أن تنشر هذه المقالة فى هـــذا الوقت بالذات.

بـيــتــــر : لماذا؟ يخيل إلى أن هذا الوقت أليق الأوقات لنشرها.

الدكتـــــور : نعم، قد يكون ذلك فى الظروف العادية. **(يخطو قاطعًا الغرفة).**

بيتر : (يتبعه بنظراته) أهناك شيء غير عادى فى الظروف الحاضرة؟

الدكتور : (يقف ساكنًا) أقول لك الحق يا أخى، لست أستطيع أن أخبرك الآن. وعلى كل حال، فى هذه الليلة، قد يكون هناك شيء كثير غير عادى يحيط بالظروف الحاضرة، وقد لا يكون هناك شيء من ذلك بتاتا. وقد يحتمل جد الاحتمال أن يكون الأمر وهمًا من أوهامى.

بيتر : كلامك كله مبهم. أهناك تدبيرات جارية تعملون على إخفائها عنى؟ كنت أظن أنى بصفة كونى رئيسًا للجنة الحمامات.

الدكتور : وأنا كنت أظن أنى... أوه، دع عنك ذلك. لا يحملنا الأمر على أن يهب بعضنا فى وجه بعض.

بيتر : معاذ الله، ليس من عادتى أن أهب فى وجه الناس كما تقول، ولكن لى الحق أن أطالب وأشدد عليكم باتباع الطرق الرسمية، وأن تجرى الأمور فى مجاريها الصحيحة، حتى يتناولها الرؤساء المنوطون بالعمل رسميا ويفصلوا فيها. إنى لا أسمح لأحد أن يمر من وراء ظهورنا بحركة من حركات المداورة.

الدكتـــور : هل علمت أنى حاولت فى يوم من الأيام أن أمـشى وراء ظهوركم؟

بـيـتـــر : مهما يكن من الأمر فإنك ميال بطبيعتك إلى الـسير على هواك، ولا يسمح بهذا فـى مجتمـع صـحيح النظام. يجب على الفرد بلا شك أن يذعن للمجتمـع ويخضع. وبعبارة أدق، يجب عليه أن يـذعن لـولاة الأمر الذين فى يدهم مصلحة المجتمع.

الدكتـــور : على الراجح. ولكن ما دخل كل هذا فى شأنى؟

بـيـتـــر : هذا بعينه ما يخيل إلىَّ أنك لا تريد أن تفهمه بتاتا يـا عزيزى توماس. ولكن. تنبه لقولى. ستأسف يوما من الأيام على سلوكك هذا، يومًا قريبًا أو بعيـدًا. لقـد أنذرتك. سلام عليك.

الدكتـــور : هل زايلك الصواب؟ ماذا أصابك؟ لقد شـطت بـك الظنون.

بـيـتـــر : ليست هذه عادتى، فاعذرنى إذًا أنا... **(ينادى موجهًا صوته إلى غرفة الطعام)** ليلة سعيدة يا كـاترين ليلـة سعيدة يا سادة. **(يخرج)**.

كاتـــرين : **(تأتى من غرفة الطعام)** هل ذهب؟

الدكتـــــور : نعم، ذهب مغضبًا.

كاتـــــرين : ولكن يا عزيزى توماس ماذا صنعت به ثانية؟

الدكتـــــور : لا شيء البتة. وعلى كل حال، إنـــه لا يـــستطيع أن يجبرنى على تقديم تقريرى إليه قبل الموعد اللائق.

كاتـــــرين : أى شيء لديك تقدم عنه تقريرًا؟

الدكتـــــور : (يهمهم) هه! دعى لى هذا يا كـــاترين. غريـــب أن ساعى البريد لم يحضر.

(ينهض هوفستاد وبيلنج وهورستر عن المائدة ويحضرون إلى غرفة الجلوس. إيليف ومورتن يحضران بعدهما)

بيـــلنـــــج : (يتمطى) آه. إن الإنسان ليشعر أن قواه قد تجـــددت بعد مثل هذه الأكلة.

هوفستـــاد : إذن لم يكن العمدة لطيف المزاج هذه الليلة!

الدكتـــــور : العيب فى معدته، إنه سيِّئ الهضم جدا.

هوفستـــاد : يخيل إلىَّ أنه لم يستطع هضمنا نحن الاثنـــين مـــن محررى رسول الشعب.

كاتـــــرين : لقد استطعت أن تخلص نفسك منه بلطف.

هوفستـــاد : نعم. نعم، ولكنها لا تخرج عن هدنة بسيطة.

بيـــلنــــج : هذا هو الواقع، فى هذه الكلمة كل شىء.

الدكتـــــور : تذكروا دائما أن بيتر رجل وحيد، مسكين، ليس لديه من مسرات الحياة العائلية شىء. لا شىء عنــده إلا الشغل على الدوام، كما أن ذلك الغــول الجهنمـــى، الشاى الذى يملأ به بطنه... هـــا. هـــاتوا يـــا أولاد كراسى هنا. أما يأتينا شراب التودى يا كاترين؟

كاتــــرين : **(ذاهبة إلى غرفة الطعام)** سأحضره على الفور.

الدكتـــــور : اجلس هنا على المقعد بجانبى يا قبطان هورستر، نحن لا نراك إلا نادرًا. تفضلوا بـــالجلوس يـــا إخـــوانى، **(يجلسون إلى المنضد وتحضر كاترين ستوكمان صينية عليهـــا مشعل كحول وأكواب وزجاجات... إلخ)**

كاتــــرين : إليكم هذا عرق وهذا روم وهذا هو الكونياك، وليخدم كل نفسه.

الدكتـــــور : **(يتناول كوبه)** سنفعل. **(كلهم يأخدون فى المزج لـــصنع شراب التودى)** وعلينا بالسيجار. إيليف! أنت تعـــرف مكان الصندوق، وأنت يا مـــورتن هـــات غليـــونى. **(ينصرف الولدان ذاهبين إلى الغرفة اليمنى)** إنى أظن أن إيليف يضع فى جيبه شيئا من السيجار مـــن آن لآن!

ولكنى أتغاضى عن ذلك. (ينادى) وقبعة التدخين أيضا يا مورتن. كاترين، خبريه أين تركتها. آه، إنه أحضرها. **(يحضر الأولاد الأشياء المطلوبة)** الآن أيها الإخوان إنى ملازم غليونى كما تعلمون، وقد شهد هذا الغليون معى أياما من أسوأ أيام الجو فوق، فى الشمال. **(يقرع كأسه بكئوس إخوانه)** صحتكم جميعًا. جميل أن يجلس الإنسان هنا مرتاحًا دفيئًا.

كاترين : **(وهى جالسة تشتغل بالإبرة)** أأنت مبحر قريبًا أيها السيد القبطان؟

هورستر : أرجح أننا سنقلع فى الأسبوع القادم.

كاترين : أظن أنكم قاصدون أمريكا.

هورستر : أجل هذى هى الخطة.

كاترين : إذن فلن تشترك فى الانتخاب المقبل.

هورستر : أمنتظر أن يحدث انتخاب؟

بيلنج : ألا تعرف ذلك؟

هورستر : لا. إنى لا أشغل نفسى بهذه المسائل.

بيلنج : ولكن ألا تهتم بالمصالح العامة؟

هورستـــر : كلا. إنى لا أعرف شيئًا من شئون السياسة.

بيـــلنــــج : ومع ذلك، يجب على كل إنسان أن يعطى صوته.

هورستـــر : حتى وإن لم يكن الإنسان يعرف ما يجرى فى البلد؟

بيـــلنــــج : لا يعرف شيئا! ماذا تعنى بذلك؟ إن المجتمع أشبه شيء بالسفينة، واجب على كل من فيها أن يكون على استعداد لتولى قيادتها.

هورستـــر : قد يكون هذا صحيحًا على البِّر، أما على ظهر السفينة فهذا لا ينفع.

هوفستـــاد : يدهشنى أن غالب الملاحين لا يهتمون بشيء مما يجرى على اليابسة.

بيـــلنــــج : غريب جدا.

الدكتـــور : إن الملاحين كالطيور الرحالة؛ جميع البقاع موطن لها على السواء، وفى هذا سبب آخر فى أننا أشد منهم حرصًا على مصلحة بلادنا. هل لديكم فى عدد الغد من رسول الشعب شيء ذو أهمية خاصة؟

هوفستـــاد : لا شيء من مسائل البلدية، ولكن كان فى نيتى أن أنشر مقالتك بعد غد.

الدكتـــور : مقالتى! إلى حيث، اسمع. أهملها وقتًا ما.

هوفستاد : حقا؟ كان عندنا فراغ لها. ولقد زعمت أن هذا هو الوقت الملائم لنشرها.

الدكتور : نعم. نعم، قد يكون رأيك فى محله، ولكن يجب تأجيلها الآن على كل حال؛ وسأوضح لك السبب فيما بعد.

(تأتى الآنسة بترا Petra من البهو لابسة قبعة ومعطفا ومعها ربطة كراسات مدرسية تحت إبطها).

بترا : سعد مساؤكم.

الدكتور : ومساؤك يا بترا، هلمى. **(تحيات وتسليمات وبترا تخلع أشياءها وتضعها على أحد الكراسى بجوار الباب).**

بترا : أنتم جالسون هنا جميعًا تستمتعون بعضكم ببعض وأنا هناك أقاسى الأمرَّين.

الدكتور : إذن فتعالى وخذى نصيبك أنت أيضًا.

بيلنج : أأجهز لك كأسًا؟

بترا : **(آتية إلى المائدة)** شكرًا! ولكنى أفضل أن أصنع شرابى بيدى. إنك تجعل المزيج شديدًا جدا، ولكنى نسيت، يا أبى، معى خطاب لك. **(تذهب إلى الكراسى التى وضعت عليها أشياءها)**

الدكتـــــور : خطاب ؟ ممن؟

بتـــــــرا : **(باحثة فى جيب معطفها)** ناولنى إياه ســاعى البريــد عندما كنت خارجة من المنزل.

الدكتـــــور : **(ناهضًا وذاهبًا إليها)** وأنت تعطينى اياه الآن فقط.

بتـــــــرا : لم يكن عندى فى الحقيقة وقت للرجوع، ها هو ذا.

الدكتـــــور : **(يتناول الخطاب)** دعينى أرى! دعينى أرى يا بنيَّــة. **(ينظر إلى العنوان)** نعم. هذا هو.

كاتـــــرين : أهو الخطاب الذى كنت تنتظره بفروغ صبر يا توماس؟

الدكتـــــور : نعم هو. سأذهب إلى غرفتى و... أين أجد المصباح يا كاترين؟... أليس فى غرفتى نور... مرة أخرى؟

كاتـــــرين : بلى. إن مصباحك مشعل من قبل على المكتب.

الدكتـــــور : حسن، حسن. معذرة لحظة واحدة، **(يــدخل غرفــة المطالعة)**.

بتـــــــرا : ما تخمينك أن يكون هذا الخطاب يا أمى؟

كاتـــــرين : لا أدرى. لم يزل أبوك منذ يوم أو يومين يسألنى هل أتى ساعى البريد؟ أو لا!

بتـــــــرا : لعله بشأن مريض من أهل الريف.

بيلنج : مسكين أبى. إنه سينهك نفسه بالعمل على عجل.
(تمزج كأسًا لنفسها) ها هو ذا! سيكون طعمه لذيذًا.

هوفستاد : هل عدت إلى التدريس اليوم فى المدرسة الليلية؟

بترا : (تحتسى الكأس) ساعتين.

بيلنج : وأربع ساعات فى المدرسة بالنهار.

بترا : بل خمس ساعات.

كاترين : ولا يزال معك كراسات للتصحيح على ما أرى.

بترا : نعم. كومة كبيرة.

هورستر : يخيل إلىَّ أنكِ أنتِ أيضًا مثقلة بالأعمال!

بترا : أجل، ولكنه مفيد. إن الإنسان يصبح من بعد ذلك متعبًا تعبًا لذيذًا.

بيلنج : وهل تحبين هذا؟

بترا : أجل، إنه يجعل نوم الإنسان هنيئًا.

مورتن : لابد أنك اقترفت خطايا كثيرة يا بترا؟

بترا : أنا؟

مورتن : نعم، لأنك تشتغلين كل هذا المقدار. يقول أستاذنا السيد رولاند إن الشغل عقاب لنا على خطايانا.

إيليـــــف : ويحك، أنصدق مثل هذا الكلام؟

كاتـــــرين : إيليف، أقصر، أقصر.

بيـــلنـــج : (ضاحكا) هذا شيء عظيم!

هوفستـــاد : ألا تريد أن تشتغل مثل هذا الشغل الشاق يا مورتن؟

مـــــورتن : كلا، لا أريد.

هوفستـــاد : إذن فماذا تشتهى أن تكون؟

مـــــورتن : أشتهى أن أكون من الفيكونج أمراء البحار.

إيليـــــف : إذن فلابد لك أن تكون بلا دين.

مـــــورتن : من السهل أن أصبح بلا دين. ألا يمكننى ذلك؟

بيـــلنـــج : إنى على اتفاق معك فى الرأى يا مورتن هذا إحساسى بعينه.

كاتـــــرين : (تكلمه بالإشارة) إنى واثقة أن هذا غير صحيح، يا مستر بيلنج.

بيـــلنـــج : بلى، وأقسم إنه صحيح، وإنى فخور بذلك. صدقينى يا سيدة ستوكمان إن العالم سيصبح بلا دين فى وقت قريب.

مـــــورتن : وعندئذ يتاح له أن يفعل ما يريد.

بيـــلنـــج : أنت ترى طبعًا. يا مورتن أن...

كاتـــرين : لا بد من ذهابكما الآن إلى غرفتكما يا ولدىَّ. لابد أن لديكما دروسا فى الغد واجبة الحفظ الليلة.

إبليـــف : أشتهى أن أبقى هنا قليلاً...

كاتـــرين : كلا. كلا، اذهب أنت وهو كلاكما.

(الولدان يحييان «سعيدة» ويذهبان داخلين إلى الغرفة اليسرى)

هوفستـــاد : أتعتقدين فعلا أن هذا الكلام يضر الأولاد فى شىء؟

كاتـــرين : لا أدرى، ولكنى لا أستحب ذلك.

بتـــرا : ولكن يا أمى، إنى أعتقد أنك لست على صواب فيما ترين.

كاتـــرين : قد يكون الأمر كذلك ولكنى لا أقره، لاسيما فى بيتنا.

بتـــرا : إن هناك أكاذيب كثيرة فى البيت أو المدرسة على السواء، ففى البيت يحتم علينا ألا نتكلم، وفى المدرسة يطلب إلينا أن نقف ونقول للتلاميذ أكاذيب صريحة.

هورستـــر : تقولين أكاذيب؟

بتـــرا : نعم. ألا تدرين أن علينا أن نعلمهم مسائل كثيرة لا نؤمن نحن بها؟

بيلنـــج : هذا هو الواقع فعلا.

بتـــــــرا : لو كانت عندى الوسيلة لفتحت مدرسة وسرت بهـــا على منهج يختلف عما هو جار تمام الاختلاف.

بيـلنـــــج : أوه. الوسيلة...! قبحا للوسيلة.

هورستــــر : إذا كنت تفكرين فى هذا فعلا يا آنسة ستوكمان فإنـــه يسرنى أن أهيئ لك مكان المدرسة التى تريدين. إن البيت الكبير الواسع القديم، الذى تركه لى والدى يكاد يكون خاليا، وفى الطبقة الأرضية منه غرفة فـــسيحة جدا للطعام يمكنك أن...

بتـــــــرا : (ضاحكة) شكرًا لك جزيلاً، بيد أنى أشفـــــق أن لا جدوى من هذا العمل.

هوفستـــاد : لا. الآنسة بترا أميل بفطرتها إلى الـــصحافة. علـــى فكرة، هل كان لديك متسع من الوقت لتنـــاول تلـــك الرواية الإنجليزية التى وعدت أن تترجميها لنا؟

بتـــــــرا : لا، لم يحن الوقت بعد، ولكنها ستصلك فـــى وقـــت ملائم.

(يأتى الدكتور ستوكمان من غرفته وفى يـــده خطاب مفتوح)

الدكتـــــور : (يهز الخطاب فى الهواء) آه! آه! سيكون فـــى البلـــد شىء جديد تلفظ به، أؤكد لكم.

بيلنج : شىء جديد؟

كاترين : ما هو هذا؟

الدكتور : استكشاف عظيم، يا كاترين.

هوفستاد : صحيح!!

كاترين : استكشاف منك؟

الدكتور : استكشاف منى. **(يمشى هنا وهناك)** والآن دعوهم يأتوا ويقولوا على عادتهم إن المسألة كلها خيال وأوهام من رجل مأفون، بيد أنهم لن يقولوا هذا الكلام بعد ذلك، أؤكد لكم.

بترا : حسن يا والدى. ما المسألة؟

الدكتور : نعم. نعم، أعطونى وقتا وأنتم تعرفون كل شىء. آه لو كان بيتر معنا الآن! هذا يرينا كيف أننا نحن الرجال نستمر فى تكوين أحكامنا على الأشياء، ونحن فى الواقع عمى كالجرذان المناجذ.

هوفستاد : ما قصدك يا دكتور؟

الدكتور : **(واقفا ساكناً بجوار المائدة)** أليس الرأى السائد أن بلدتنا بقعة صحية؟

هوفستاد : بكل تأكيد.

الدكتـــور : بقعة صحية فوق العادة فعلا، وجهة تستحق أن يدعى إليها الناس بكل وسيلة ممكنة سواء أكانوا مرضى أم أصحاء.

كاتـــرين : نعم، ولكن يا عزيزى توماس...

الدكتـــور : ولقد أخذنا نوصى بها الناس ونمتدحها، وكتبت فى صدد ذلك مقالات فى «رسول الشعب» وعدة من رسائل وعجالات.

هوفستـاد : نعم، ثم ماذا؟

الدكتـــور : والحمامات، لقد سميناها شريان البلدة المتدفق بدم الحياة ومركز القوة العصبية فيها، والشيطان أدرى ماذا قلنا غير ذلك.

بيلنـج : قلنا إنها قلب البلدة الخفاق، ولقد استعملت هذه الكلمة ذات يوم فى موقف خطير.

الدكتـــور : نعم. نعم، أتدرون ما حقيقة هذه الحمامات؟ هذه الحمامات العظيمة البديعة التى لم تفتر الألسن عن مدحها، والتى أنفق فى سبيل إنشائها مبالغ عظيمة من المال، أتعرفون ما حقيقة هذه الحمامات؟

هوفستـاد : كلا، ما هى؟

كاتـــــرين : أجل، ما هى؟

الدكتـــــور : المحل كله من أوله إلى آخره «خن» أوبئة.

بتـــــــرا : الحمامات يا أبى؟

كاتـــــرين : (فى نفس الوقت) حماماتنا؟

هوفستـــاد : ولكن يا دكتور...

بيلنـــــج : لا يمكن تصديق ذلك بتاتا؟

الدكتـــــور : منشأة الحمامات كلها ليست إلا بؤرة تجتمع فيها كل أنواع الأوبئة، أؤكد لكم. وهى أكبر مـورد لـلأذى والأضرار بالصحة العامـة؛ فـإن كـل قـاذورات «موليدال» وكل تلك الحثالات المتعفنة، تتسرب إلـى أقنية المياه المؤدية إلى الخزان وتفـسدها! كمـا أن نفس هذه السموم المتعفنة الملعونة ترشـح وتنـضح على الشاطئ...

هورستـــر : حيث توجد الحمامات؟

الدكتـــــور : هناك بالضبط.

هوفستـــاد : وكيف تثبت كل هذا الأمر يا دكتور؟

الدكتـــــور : بحثت الموضوع بكل دقة واهتمام، منذ مدة طويلـة كنت أُوجس شيئا من هذا القبيل. كان عندنا فى العام

الماضى عدة حوادث غريبة جدا من المـــرض بـــين الوافدين علينا، حوادث تيفويد وحمى معوية.

كاتـــــرين : نعم، هذا صحيح جدا.

الدكتـــــور : فى ذلك الوقت قدرنا أن الزوار كانوا مصابين بهـــا قبل أن يأتوا إلينا. ولكن بعد ذلك، فى الشتاء، أخذت أرى رأيا آخر، ولذلك أخذت أفحـــص المـــاء بقـــدر استطاعتى.

كاتـــــرين : إذن فهذا الذى كان يشغلك طول المدة؟

الدكتـــــور : فى الواقع يا كاترين إنى كنت مشغولاً، ولكن لم تكن عندى الأجهزة والأدوات العلمية اللازمـــة، ولـــذلك أرسلت إلى الجامعة عينات من ماء الشرب، وأخرى من ماء البحر، لتحليلها تحليلاً دقيقا على يد كيماوى متخصص.

هوفستـــاد : وهل وصلتك نتيجة التحليل؟

الدكتـــــور : ما هى ذى، وهى تثبت وجود مواد عضوية متحللـــة فى الماء، وأنه ملآن من جراثيم النقاعيـــات، ومـــن الخطر المحقق استعمال الماء، ســـواء أكـــان ذلـــك للشرب أو للاستحمام.

كاتـــــرين : الحمد لله على أنك استكشفت هذا فى وقته!

الدكتـــــور : لكِ الحق أن تقولى ذلك فعلا.

هوفستـــاد : وماذا تريد أن تفعل الآن يا دكتور؟

الدكتـــــور : أعمل على إصلاح الحالة بالطبع.

هوفستـــاد : وهل فى الاستطاعة ذلك؟

الدكتـــــور : إنه أمر واجب، وإلا أصبحت الحمامات عادمة الفائدة وضاعت مزيتها. ولكن لا يصح لنا أن نقدر ذلــك، إنى متبين ما يجب عمله.

كاتـــــرين : ولكن لماذا أبقيت هذه المسألة فى طيِّ الكتمـــان يـــا عزيزى؟

الدكتـــــور : أكنت تنتظرين أن أجرى فى البلد أخبر الناس بالواقع قبل أن يكون فى يدى البرهان القاطع؟ لا. لا، شكرا لك، لست من الجنون عند هذا الحد.

بتـــــــرا : مهما يكن من الأمر فقد كنت تــستطيع أن تخبرنـــا نحن.

الدكتـــــور : ولا أى إنسان حى، ولكن يمكنكم فى الغد أن تجـــروا به إلى السيد إليغر.

كاتـــــرين : توماس! توماس!

الدكتـــــور : (لبترا) إذن، إلى جدك. سيكون لذلك الغلام العجـوز من نبأك ما يدهشه، أنى أعلم أنه يعتقد أنى مجنـون، ولاحظت أن فى الناس كثيرا غيره على شاكلته فـى هذا الرأى، ولكن سيرى هؤلاء الصالحون، سـيرون فعلا، **(يتمشى فى المكـان ويفـرك يديـه إحـداهما بالأخرى)** سيكون فى البلدة ضجة عظيمة يا كاترين، لا يمكن أن تتصورى كيف تكون، يتحـتم أن تنـزع أقنية المياه من موضعها ويعاد بناؤها.

هوفستـاد : **(ناهضا)** كل الأقنية؟

الدكتـــــور : نعم، بالطبع. إن مأخذها منخفض جدا، فلابـد مـن رفعها إلى مستوى أعلى.

بتـــــرا : إذن فقد كنتَ على صواب يومئذ؟

الدكتـــــور : آه، أنت تتذكرين يا بترا، لقد كتبت أنتقد خطة العمل قبل شروعهم فيه، ولكن فى ذلك الوقت لم يستمع لى أحد، الآن سأسمعهم، ولقد أعـددت تقريـرًا فعـلا لعرضه على لجنة الحمامات، وهو جاهز عند منـذ أسـبوع، ولـكنى كنت أنتظـر ورود هـذا إلـىَّ. **(يرى الخطاب)** والآن فسأرسله إليهم علـى الفـور.

(يذهب إلى غرفته ويعود ومعه أوراق) انظروا! أربعة أفرخ مكتوبة كلها على أسطر ضيقة، وسأرسل خطابى مع التقرير. أعطينى قطعة من الورق يا كاترين، شيئا ألفّ فيه هذه الأوراق(*). هذا يكفى! والآن أعطيه إلىَّ، إلىَّ **(يضرب برجله على الأرض)** إيه، ما اسمها؟ أعطيه إلى الخادمة، وقولى لها أن تأخذه على الفور إلى العمدة. **(تأخذ السيدة ستوكمان ربطة الورق وتخرج بها مارَّة فى غرفة الطعام).**

بترا : ما ظنك يا أبى بما سيقوله عمى؟

الدكتور : وماذا له من القول فى هذا؟ أعتقد أنه سيسر لظهور حقيقة مهمة كهذه.

هوفستاد : أتسمح لى أن أنشر خبرًا قصيرًا عن هذا الاستكشاف فى رسول الشعب؟

الدكتور : لك الشكر إن فعلت.

هوفستاد : إنه يحسن جدا أن يعرف الجمهور ذلك على عجل.

الدكتور : فعلا.

(*) يستفاد من ترجمة ماركس أفلنج أنه طلب منها جريدة وأنها قدمتها إليه عندما طلب إليها قطعة الورق.

كاتـــــرين : (عائدة) لقد خرجت به الان تواً.

بيـــلنــــج : أقسم لك يا دكتور إنك ستصبح أشهر رجل فى البلد.

الدكتـــور : (يتمشى مسرورا) كلام فارغ، إنى لم أفعل على كل حال إلا ما هو من واجبى، لم أفعل شيئا سوى أنى وفقت إلى العثور على لُقية، هذا كل ما فى المسألة، ومع ذلك فالأمر على حد سواء.

بيـــلنــــج : هوفستاد، ألا ترى أن البلدة جديرة أن تقدم إلى الدكتور علامة عرفان بفضله؟

هوفستـــاد : سأقترح ذلك على كل حال.

بيـــلنــــج : وأنا سأكلم أسلاكسن فى الموضوع.

الدكتـــور : لا يا أصحابى، لا أريد أن تحدث مثل هذه البهارج السوقية. لا أطيق أن أسمع بشيء من هذا القبيل، وإذا فكرت لجنة الحمامات فى تقرير زيادة مرتبى فإنى لن أقبلها. أتسمعين يا كاترين؟ لن أقبل.

كاتـــــرين : أنت على حق يا توماس.

بتـــــرا : (رافعة كأسها) فى صحتك يا أبى.

هوفستـــاد وبيلنـــج : فى صحتك يا دكتور، فى صحتك.

هورستر : (يقرع كأسه بكأس الدكتور) أرجو ألا يعود عليك من هذا الاستكشاف إلا الخير و المسرة.

الدكتور : شكرًا لكم، شكرًا لكم يا إخوانى الأعزاء، إنى أشعر بتمام السعادة. من محاسن الأمور أنْ يرى الإنسان نفسه قادرًا على أن يعمل لبلده عملاً صالحًا ويؤدى لبنى وطنه خدمة طيبة، مرحى يا كاترين.

(يضع يده حول خصرها ويلفها لفًّا وهى تحتج بأصوات صراخ وضحك. الجميع يضحكون ويصفقون بأيديهم ويهللون للدكتور، وعند ذلك يطل الأولاد برءوسهم من الباب ليروا ما هو حادث).

«انتهى الفصل الأول»



الفصل الثانى



المنظر:

عين المنظر السابق، إلا أن الباب المؤدى إلى غرفة الطعام مقفل، والوقت صباح - تأتى كاترين ستوكمان ومعها خطاب مختوم من باب غرفة الطعام، وتذهب إلى باب غرفة مطالعة الدكتور، وتطل برأسها فيها.

كاترين : أنت هنا يا توماس؟

الدكتور : (من داخل غرفته) نعم دخلت توًّا. (يأتى فى غرفة الاستقبال) ماذا لديك؟

كاترين : خطاب من أخيك.

الدكتور : آها، هات لنرى! (يفض الخطاب ويقرأ) أعيد إليك المسودة التى أرسلتها إلىَّ. (ثم يقرأ بصوت خفيض) همْ.

كاترين : ماذا يقول؟

الدكتور : (واضعاً الأوراق فى جيبه) أوه، لا يقول شيئًا سوى أنه سيأتى هو نفسه هنا حوالى الظهر.

كاترين : إذن فحاول أن تُحسِن لقاءه.

الدكتور : لا تخشَىْ بأسا، لقد انتهيت من جميع عيادات الصباح.

كاتـــــرين : أنا فى غاية التلهف على معرفة أثر الخبر فى نفسه.

الدكتـــــور : سترين أنه يكره أن أكون أنا الذى استكشفت المسألة لا هو.

كاتـــــرين : ألا يُقلِق هذا الأمر بالك؟

الدكتـــــور : أوه، سيسره الأمر فى دخيلة قلبه. ولكن بيتـر مـن جهة أخرى شديد الخشية من أن يؤدى غيـره مـن الناس خدمة للبلدة.

كاتـــــرين : اسمع منى يا توماس، يجدر بـك أن تكـون سـمحًا وتقتسم فضل المسألة معه. ألا تستطيع أن تقول إنـه هو الذى نبَّهك إلى هذا الاستكشاف؟

الدكتـــــور : إنى على تمام الاستعداد لهذا، إذا أمكن بذلك أن يـتم الإصلاح المطلوب. إنى...

(مورتن كيل Morten Kiil يطل برأسه من باب البهو وينظر هنا وهناك فى الغرفة مستطلعًا ويضحك).

كيـــــل : **(وعليه سيما التهكم)** أهو، أهو صحيح؟

كاتـــــرين : أبى!، أهذا أنت؟

الدكتـــــور : آه مستر كيل، نهارك سعيد، نهارك سعيد يـا حمـىَّ العزيز.

كاتـــــرين : تفضل، ادخل.

كيـــــــل : إذا كان صحيحًا دخلــت، وإذا لــم يكــن صـــحيحًا انصرفت.

الدكتـــــور : إذا كان ماذا صحيحًا؟

كيـــــــل : هذا الخبر الخاص بمسألة مياه الشرب، أهو صحيح؟

الدكتـــــور : بالتأكيد صحيح. ولكن خبِّرنى كيف بلغك الخبر؟.

كيـــــــل : (داخلاً) مرت علىَّ بترا وهى ذاهبة فى طريقها إلى المدرسة...

الدكتـــــور : صحيح؟

كيـــــــل : نعم، وقد قالت. ظننت أنها تــضحك منـــى، ولكنـــى قدرت أن بترا بعيدة عن مثل هذا.

الدكتـــــور : محال طبعًا. كيف تتصور مثل هذا؟

كيـــــــل : أوه، خير للإنسان أن لا يثق بإنسان، قد تجد أنه كان يضحك منك قبل أن تعرف أين أنت، ولكــن الخبــر صحيح على كل حال.

الدكتـــــور : ثق أنه صحيح. ألا تجلس؟ (يُجلسه علـــى المقعـــد). أليس من حسن حظ البلدة أن...؟

كيـــــــل : (يخفى ضحكة) من حسن حظ البلدة؟

الدكتـــــور : نعم، كونى استكشفت الأمر فى وقت...

كيـــــــل : **(مخفيًا ضحكة)** نعم. نعم. نعم، غير أنى ما كنت أظن أنك تُزِل قدم أخيك كما فعلت.

الدكتـــــور : أزل قدمه؟

كاتـــرين : الواقع يا أبى العزيز...

كيـــــــل : **(واضعًا يديه وذقنه على مقبض عصاه وغامزًا بعينه غمز المكر بالدكتور)** هات لنرى. قل لى ما تفصيل الحكاية؟ نوع من الحيوانات دخل فى أقنية المياه، أهو كذلك؟

الدكتـــــور : النقاعية؟ نعم.

كيـــــــل : وإن مقدارًا من هذه الحيوانات قد دخل فى الأقنية، كما تقول بترا، مقدارًا كبيرًا.

الدكتـــــور : بالتأكيد، مئات الألوف منها، غالبًا.

كيـــــــل : ولكن لا يستطيع أحد أن يرى هذه الحيوانات. أليس كذلك؟

الدكتـــــور : مؤكد، لا يستطيع أحد أن يراها.

كيـــــــل : **(بضحك خفيف)** مصيبة! هذه ألطف حكاية سمعتها فى حياتى!

الدكتـــــور : ماذا تعنى؟

كبـــــــــل : ولكنك لن تستطيع أن تحمل العمدة علـــى تـــصديق شيء من هذا.

الدكتـــــور : سنرى.

كبـــــــــل : أتظن أنه سيكون من الجنون بدرجة أنه...؟

الدكتـــــور : أهل البلدة جميعهم سيصبحون من الجنون بحيث...

كبـــــــــل : جميع البلدة!؟ هذا جائز وربىِّ! لعمرى ليكونن هـــذا جزاء فى محله، ودرسًا مفيدًا. إنهم يظنون أنفـــسهم أمكر منا نحن كبار السن، لقد طاردونى وأخرجونى من المجلس. نعم. فعلوا ذلك، لقـــد طـــاردونى. الآن سيدفعون ثمن ما فعلوا، وأراك تستدرجهم إلى مزلـــة القدم.

الدكتـــــور : الواقع أنى...

كبـــــــــل : أنت تستدرجهم فعلاً، **(ينهض)** إذا استطعت أن تطبخ المسألة حتى يلتهمها العمدة وإخوانه، فـــإنى أتبـــرع بعشرة جنيهات فى سبيل الخير، على الفور.

الدكتـــــور : هذا فضل منك.

كيـــــــل : نعم، ليس عندى من المال ما يسمح بالرمى، أؤكـد لك. ولكن إذا استطعت أن تقوم بهذا العمـل فـإنى أعطى خمسة جنيهات تُنفق فى سبيل الخير يوم عيد الميلاد.

(يدخل هوفستاد من باب البهو)

هوفستــاد : نهاركم سعيد! (يقف) وى، معذرة.

الدكتـــور : لا داعى لذلك، ادخل.

كيـــــــل : (بضحكة أخرى)، أهو معكم فى هذا؟

هوفستــاد : ماذا تعنى؟

الدكتـــور : بالطبع معنا.

كيـــــــل : كان جديرًا بى أن أعرف ذلـك، لابـد أن المـسألة تنشرها الجرائد. أنت أعرف بطريق ذلك يا توماس. هلم، أرهف قلبـك وادخـل فـى المـضمار، والآن فلأنصرف.

الدكتـــور : ألا تجالسنا أكثر من هذا؟

كيـــــــل : لا، لا بد من الانصراف الآن. إنـك سـتستمر فـى المناضلة على كل حال، لن تندم على ذلك، لعنـة الله علىَّ إن أنت فعلت.

(يخرج وتتبعه كاترين ستوكمان إلى البهو).

الدكتـــــور : (ضاحكًا) تصور، إن هذا الرجل لا يصدق شيئا من حكاية أقنية المياه.

هوفستـــاد : أكان هذا إذن موضوع الـــ...؟

الدكتـــــور : نعم، هو الموضوع الذى كنا نتكلم فيه، ولعلـــه هـــو بعينه ما أتى بك هنا؟

هوفستـــاد : نعم، هو. أتسمح لى ببضع دقائق يا دكتور؟

الدكتـــــور : بما تريد يا صاحبى العزيز.

هوفستـــاد : هل عرفت رأى العمدة؟

الدكتـــــور : لا شىء بعد. إنه آتٍ هنا بعد قليل.

هوفستـــاد : لقد فكرت فى الموضوع طويلاً منذ ليلة أمس.

الدكتـــــور : ثم؟

هوفستـــاد : مسألة أقنية المياه هى من وجهة نظرك بصفة كونك طبيبًا ورجلاً من رجال العلم، مسألة مستقلة، أعنـــى إنك لا تدرك أنها تتـــضمن عديـــدًا مـــن المـــسائل الأخرى.

الدكتـــــور : ماذا تعنى؟ دعنا نجلس يا صاحبى العزيز. لا، بـــل أجلس هنا على المقعد. **(يجلس هوفستاد على المقعـــد والدكتور ستوكمان على كرسى إلى الجانب الآخر من المنضد)** الآن، أنت تعنى أن...

هوفستاد : قلت أمس إن فساد الماء مسبب عن مواد غير طاهرة موجودة فى تربة الأرض؟

الدكتور : نعم، إنه مسبب عن العفونة السامة الموجودة فى موليدال.

هوفستاد : معذرة يا دكتور، إنى أظن أنه مسبب عن عفونة أخرى.

الدكتور : أى عفونة هذه؟

هوفستاد : العفونة التى بنيت عليها حياة جميع بلدتنا والتى أخذت تعفنها معها.

الدكتور : عجبى، إلى أى شىء ترمى بهذا الكلام يا هوفستاد؟

هوفستاد : إن جميع مصالح البلدة قد انتقلت شيئًا فشيئًا إلى أيدى عصابة من الموظفين.

الدكتور : مهلاً، ليسوا جميعًا موظفين.

هوفستاد : أعرف ذلك، ولكن الذين ليسوا منهم موظفين هم أصدقاء الموظفين وأتباعهم. إن فريق الأغنياء والأسر القديمة فى البلد هو الذى يقبض علينا جميعًا بأيديه.

الدكتـــور : نعم، ولكنهم على كل حال أهل كفاءة ودراية.

هوفستـــاد : وهل أبدَوْا شيئًا من الكفاية أو الدراية يـوم وضـعوا أقنية المياه حيث وضعوها؟

الدكتـــور : لا، لقد كان هذا بالطبع عملاً فى منتهـى الحماقـة، ولكن هذا سيصلح.

هوفستـــاد : وهل تظن أن المسألة ستمر على الهين؟

الدكتـــور : على الهين أو غير الهين لا يهم، لا بد من الإصلاح على كل حال.

هوفستـــاد : نعم، بشرط أن تتناول الجرائد الموضوع.

الدكتـــور : لا أظن هذا ضروريًا يا عزيـزى، إنـى واثـق أن أخى...

هوفستـــاد : استسمحك يا دكتور، أرانى ملزمًا أن أخبـرك أنـى أميل إلى التصدى للمسألة.

الدكتـــور : فى الجريدة؟

هوفستـــاد : نعم، لمَّا توليت جريدة رسول الشعب كان قصدى أن أكسر حلقة تلك البقايا القديمة المتحجـرة المتـشبثة برأيها التى احتازت كل سلطة فى البلد.

الدكتــــور : فعلا، ولكنك تذكر أنك نفسك قلت لى كيــف كانــت عاقبة هذه السياسة. لقد خربت جريدتك يومئذٍ تقريبًا.

هوفستــاد : فعلاً، فى ذلك الوقت كنا مضطرين أن نتراجع خطوة أو خطوتين، لأنَّا كنا نخــشى أن يهملــوا مــشروع الحمامات بتاتًا إذا هم تخلوا عنا، أما الآن فقــد نفِّــذ المشروع ويمكننا أن نستغنى عــن هــؤلاء الــسادة العظماء.

الدكتــــور : تستغنى عنهم؟ نعم، ولكن فى رقبتنــا لهــم جمــيلاً عظيما.

هوفستــاد : سنقر لهم بذلك بلا استياء، ولكن صحفيًّا مثلــى مــن ذوى المبادئ الديمقراطية لا يمكن أن يفــوِّت علــى نفسه فرصة كهذه. يجب أن نغمز فقاعــة العــصمة الحكومية ونمزقها، هــذه الخرافــة يجــب أن تبــدد ويقضى عليها ككل خرافة سواها.

الدكتــــور : إنى معك فى هذا من كل قلبى يا سيد هوفــستاد، إذا كانت خرافة فليقض عليها.

هوفستــاد : إنى أتردد فى تناول العمدة لأنه أخوك، ولكنى واثــق أنك توافقنى على أن الحق أوجب بالرعاية.

الدكتـــــور : لا مراء فى ذلك. **(بتأكيد مفاجئ)** نعم، ولكن...

هوفستـــاد : إياك أن تسيء بى الظن، لست ذا مصلحة ذاتية أكثر من غالب الناس، ولا أنا أشد منهم طماعية.

الدكتـــــور : يا سيدى العزيز، من أشار إلى شيء من هذا القبيل؟

هوفستـــاد : إنى من أصل غير نابه كما تعرف، وقد أتاح لى هذا فرصة العلم بما يستشعره أمثـــالى أهـــل الطبقـــات المتضعة من الحاجة الشديدة، ألا وهى أن يسمح لهم بالاشتراك فى إدارة المصالح العامة يا دكتـــور. إن فى هذا عوناً لهم على تنميـــة مـــواهبهم وعقـــولهم، واحترامهم أنفسهم.

الدكتـــــور : إنى أقدر هذا حق التقدير.

هوفستـــاد : نعم، وفى اعتقادى أن الصحفى يتحمل أكبر الأوزار إذا هو لم ينتهز فرصة سنحت لتحريـــر الجمهـــور المسكين المضطهد. إنى لأعلم علم اليقين أنهـــم فـــى الدوائر العليا سيسموننى مهيِّجًا، ويرموننى بكل مـــا فى تلك الجعبة، ولكن فليسمونى كما يشتهون. إذا لم يؤنبنى ضميرى فإنى...

الدكتـــور : صدقت، صدقت يا سيد هوفستاد. ولكن علـى حـد سواء، فى داهية.

(يُسمع قرع على الباب) تفضل.

(يظهر أسلاكسن عند الباب وهو لا بس لباسًا حقيرًا، ولكنه ملائم. لونه أسود، أما ربـاط رقبتـه فأبيض مُنكمش وفى يديه قفازان قبعة لبّاد)

أسلاكسـن : (ينحنىّ) أرجو يا دكتور أن تصفح...

الدكتـــور : (ناهضًا) آه، أهو أنت يا أسلاكسن؟

أسلاكسـن : نعم، يا دكتور.

هوفستـاد : (ناهضًا) أتريدنى يا أسلاكسن؟

أسلاكسـن : لا. لم يخطر ببالى أن أجدك هنا. إنى أريد الدكتور.

الدكتـــور : إنى على أتم استعداد لخدمتك، هلم...

أسلاكسـن : أصحيح يا سيدى ما بلغنى من مستر بيلـنج؟ أعنـى أنك تريد أن تصلح مورد مائنا؟

الدكتـــور : نعم من أجل الحمامات.

أسلاكسـن : هذا ما فهمت، حسن. إنى أتيت أنهـى إليـك أنـى سأعزز هذه الفكرة بكل وسيلة فى يدى.

هوفستـاد : (إلى الدكتور) أرأيت؟

الدكتـــــور : أشكرك، ولكن...

أسلاكســـن : لأنه لا بأس أن يكون لك ظهير منا نحن أهل الحرف والصناعات، نحن فى الواقع نعد فى البلـــدة غالبيـــة متراصة إذا أردنا. ويحسن دائمًا أن تكـــون الغالبيـــة معك يا دكتور.

الدكتـــــور : هذا صحيح بلا أدنى شك، ولكنى أقر لكـــم أنـــى لا أدرى لماذا ترون هذه الاحتياطات الخارقـــة للعـــادة ضرورية فى هذه المسألة. يخيـــل إلـــىَّ أن مـــسألة بسيطة صريحة كهذه...

أسلاكســـن : قد يحتاج الأمر إلى ذلك على كل حال. إنى أعـــرف ولاة أمرنا المحليين معرفة جيدة، لـــيس مـــن عـــادة الموظفين أن يعملوا بناءً علـــى اقتراحـــات يقـــدمها غيرهم من الطبقات الأخرى، وهذا ما يدعونى إلـــى الاعتقاد بأنه يجدر بنا أن نقوم بمظاهرة صغيرة.

هوفستـــاد : فى محله.

الدكتـــــور : مظاهرة!؟ علام قيامك بمظاهرة!؟

أسلاكســـن : نحن سنسيـــر بغاية الـــهوادة والاعـــتدال، الاعتدال يا دكتور نصب عينى دائمًا. إنه أكبر فضيلة يتحلـــى بها الوطنى، أنا على الأقل أعتقد ذلك.

الدكتـــــور : معروف جدا أن الاعتدال صفة من لوازمك يا سـيد أسلاكسن.

أسلاكســـن : نعم، أظن ذلك، وإنى لفخور بهذه الـصفة. ومسألة مورد الماء هذه على جانب عظيم من الأهمية عندنا نحن أهل الحرف الصغار. إنه ينتظر أن تكون الحمامات بمثابة منجم ذهب دائم تملكه المدينة. وسنرتزق منها نحن جميعًا، ولاسيما من كان منا من أرباب المساكن. وهذا هو السبب الذى من أجله سنعزز المشروع بقدر ما يستطاع من القوة. وبما أنى الآن رئيس جمعية أرباب المساكن...

الدكتـــــور : نعم؟

أسلاكســـن : وفوق ذلك السكرتير المحلى لجمعية الاعتدال فى الشراب، ولعلك تعلم يا سيدى أننى أحد العاملين بقوة فى هذا السبيل.

الدكتـــــور : بالطبع، بالطبع.

أسلاكســـن : حسن، يمكنك أن تفهم أننى متصل بعدد كبير جدا من الناس وإذ إنى مشهور بأنى وطنى، عفيف عن الخمر، مطواع للقانون مثلك يا دكتور، فإن لى فى

البلد نوعًا من النفوذ وشيئًا من القوة إذا جاز أن أقول ذلك.

الدكتــــور : أعرف ذلك حق المعرفة يا سيد أسلاكسن.

أسلاكســن : وعليه، فأنت ترى أنه من السهل على أن أدعو إلـى القيام بواجب الاعتراف لك إذا قضت الضرورة.

الدكتــــور : واجب الاعتراف!؟

أسلاكســن : نعم، شيء مثل شكر من أهل البلد علىَّ ما لك من يد فى مسألة كهذه ذات أثر عظيم فى مصلحة المجتمع. لا حاجة بى إلى القول إنه يجب تحضير الكلمة، مع التزام جانب الاعتدال التزامًا تامًّا، حتى لا نُسيء إلى أولى الأمر الذين فى يدهم عنان الشئون علـى كـل حال. إذا راعينا هذا تمام المراعاة، فلن يُسيء أحـد تأويلها على ما أظن.

هوفستــاد : بل لنفرض أنها لم تكن على هواهم...

أسلاكســن : لا. لا، يجب أن لا يكون فيها مس لكرامة الحكومـة يا سيد هوفستاد. لا يليق أن نغاضب أولئـك الـذين تتوقف عليهم رفاهيتنا توقفًا تامًّا. لقد جربـت هـذه الخطة فيما مضى فلم أجد من ورائها خيرًا. أمـا إذا

أبدى الرجل الوطنى آراءه بطريقة معقولة خالصة فإنه لا يُغضب أحدا.

الدكتور : (هازًا يد أسلاكسن) اسمح لى يا عزيزى أسلاكسن أن أعبر لك عن مزيد اغتباطى إذ أجد مثل هذا التشجيع العلنى من إخوانى المواطنين. إنى مسرور، مسرور، والآن كأسًا صغيرة من نبيذ الشرى.

أسلاكسن : شكرًا لك. لا. لا، إنى لا أشرب كحولاً من هذا النوع.

الدكتور : إذن فما قولك فى قدح من البيرة؟

أسلاكسن : ولا هذا أيضًا. شكرًا لك يا دكتور، لا أشرب شيئًا فى وقت مبكر كهذا. إنى ذاهب إلى البلدة الآن لأتحادث فى المسألة مع واحد أو اثنين من أصحاب المنازل وأمهِّد السبيل.

الدكتور : هذا فضل عظيم منك يا سيد أسلاكسن، ولكنى فى الحقيقة لا أتبين ضرورة هذه الاحتياطات، يُخيل إلىَّ أن المسألة يجب أن تسير من تلقاء نفسها.

أسلاكسن : أولو الأمر بطيئو الحركة نوعًا ما يا دكتور، على أنى أبعد الناس عن العيب فى حقهم!

هوفستـــاد : أنا عازم على تحريكهم غدا فى الجريدة يا أسلاكسن.

أسلاكســـن : ولكن من غيرعنف يا سيد هوفستاد! خذهم بــالرفق وإلا فما نستطيع أن نجنى منهم ثمرة. اتبع مشورتي، إنى تلقيت الخبرة فى مدرسة الحياة. هه، لا بد لـــى من الانصراف يا دكتور، أنت تعرف الآن أننا نحـــن صغار أهل الحرف وراءك على كل حال مثل الجدار المتين، معك الغالبية المتراصة يا دكتور.

الدكتـــــور : إنى فى غاية الامتنان يا عزيزى الـــسيد أسلاكـــسن. **(يهز يده تحية)** مع السلامة، مع السلامة.

أسلاكســـن : أنت ذاهب فى طريقى صـــوب المطبعـــة يـــا ســيد هوفستاد؟

هوفستـــاد : سآتى بعد حين، عندى شىء لا بد من إنهائه أولاً.

أسلاكســـن : حسن. **(ينحنى ويخرج ويتبعه الدكتور إلى البهو)**

هوفستـــاد : **(عندمـــا يعـــود الدكتور)** هه، ما قولك فى هـــذا يا دكتور؟ ألا ترى أنه قد حان الوقت لنبعث شيئًا مـــن الحياة فى كل ذلك الخور والتردد والجبن؟

الدكتـــــور : أنت تعنى أسلاكسن؟

هوفستاد : نعم، أعنيه. إنه أحد هؤلاء المتخبطين فى الأحوال وإن كان الرجل فى ذاته رجلاً طيبًا، وغالب الناس فى هذا البلد على مثل حاله يترجَّحون، يميلون أولاً إلى جانب، وبعدئذٍ إلى الجانب الآخر. تراهم من الحذر والريب بحيث لا يجرءون على أن يخطوا خطوة ثابتة لا تردد فيها.

الدكتور : نعم، ولكنى أتبين حسن القصد على أتمه من أسلاكسن.

هوفستاد : هناك صفة أهم فى نظرى من ذلك، تلك هى أن يكون الرجل ثابت الاعتمادَ على نفسه مطمئنًا إلى رجولته.

الدكتور : إنك على تمام الحقّ فى ذلك.

هوفستاد : من أجل هذا أريد أن أنتهز هذه الفرصة وأرى هل أستطيع أن أبعث شيئًا من الرجولة فى أولئك الناس حسَنِى القصد؟ يجب أن يُحطم صنم السلطة المنصوب فى هذا البلد، يجب أن نُفهِم كل ذى صوت فى انتخابات أعضاء البلدية حقيقة هذا الحمق والعبث البالغ الذى تناولوا به مسألة الماء.

الدكتـــــور : لا بأس، إذا كنت ترى أن هذا فى مصلحة المجتمـــع فافعل، ولكن لا تفعل شيئاً قبل أن يتاح لى الحـــديث مع أخى.

هوفستـــاد : سأعد، على كل حال، مقالة افتتاحيـــة. وإذا رفـــض العمدة أن يهتم بالموضوع...؟

الدكتـــــور : كيف تقدر أن هذا ممكن؟

هوفستـــاد : إنه جائز، وفى هذه الحالة...

الدكتـــــور : فى هذه الحالة أعدك، أسمح لك فى هـــذه الحالـــة أن تنشر تقريرى بنصه وفصه.

هوفستـــاد : صحيح؟ أتعدنى بذلك؟

الدكتـــــور : **(يعطيه مسودة التقرير)** ها هى ذى مسودته، إليكهـــا، خذها معك. لا ضرر من اطلاعك عليها وإعادتهـــا إلىَّ بعدئذٍ.

هوفستـــاد : حسن. حسن، هذا ما سأفعله. والآن إلى اللقاء، إلـــى اللقاء يا دكتور.

الدكتـــــور : مع السلامة، مع السلامة. سنرى أن الأمور تجـــرى بلا عثار يا سيد هوفستاد، بلا أدنى عثار.

هوفستـــاد : هم. **(يهمهم)** سنرى. **(ينحنى ويخرج)**.

الدكتـــــور : (يفتح باب غرفة الطعام ويطل فيهـــا) كـــاترين! أوه، بترا؟ أنتِ عدت؟

بتـــــــرا : (تدخل) نعم عدت من المدرسة توًّا.

كاتــــرين : (تدخل) ألم يأت بعد؟

الدكتـــــور : بيتر؟ لا، ولكن كان لى حديث طويل مع هوفـستاد. إن نفسه مشغولة باستكشافى، وأجد لهذا الاستكـشاف مرامى أبعد مما كنت أظن، وقـد وضـع هوفـستاد جريدته تحت أمرى إذا قضت الضرورة.

كاتــــرين : هل ترى أن ستكون هناك ضرورة؟

الدكتـــــور : لا أظن ذلك لحظة، ولكنى أشعر على كل حال بشىء من الاغتباط؛ إذ أعرف أن الصحافة الحـرة الفكـر المستقلة فى جانبى. نعم، و... انظرى لقـد زارنـى اليوم رئيس جمعية أرباب المساكن.

كاتــــرين : أوه، ماذا كان يريد؟

الدكتـــــور : إنه يعرض علىَّ مساعدته أيضًا، وستؤيدنى هيئـتهم الكلية إذا اقتضى الأمر ذلك. كاترين! أتعرفين مـاذا ورائى؟

كاتــــرين : وراءك!؟ لا، ماذا وراءك؟

الدكتــــور : الغالبية المتراصة.

كاتـــرين : صحيح؟ أهذا شيء ينفعك يا توماس؟

الدكتــــور : أظن أنه شيء عظيم. **(يتمشى ذهابًا وجيئة إلى أعلى ثم إلى أدنى وهو يفرك كفيه)** أما والله إنه لمن أسعد الأمور أن يشعر الإنسان برباط الأخوة بينه وبين مواطنيه.

بتـــرا : وأن تكون قادرًا على أن تفعل ما فيه خير ونفع يا أبى.

الدكتــــور : ولاسيما إذا كان هذا موجهًا إلى بلد الإنسان الذى ولد فيه يا بنيتى.

كاتـــرين : دق الجرس...

الدكتــــور : لابد أن يكون هو إذن. **(يُسمع دقًا على الباب)** تفضل.

(يدخل بيتر ستوكمان من الغرفة الخلفية).

بيتـــر : نهاركم سعيد.

الدكتــــور : سعيد برؤيتك يا بيتر.

كاتـــرين : نهارك سعيد يا بيتر، كيف حالك؟

بيتر : لا بأس، شكرا لك. **(إلى الدكتور)** وصلنى منذ أمس بعد وقت العمل تقرير بشأن حالة المياه الواردة إلى الحمامات.

الدكتور : نعم، هل قرأته؟

بيتر : نعم، قرأته.

الدكتور : وما رأيك فيه؟

بيتر : **(بنظرة إلى جانب ويهمهم)** هم!

كاترين : هلم يا بترا. **(تخرج هى وبترا إلى الغرفة التى إلى اليسار)**.

بيتر : **(بعد سكوت)** أكان من الضرورى أن تعمل كل هذه التحريات من وراء ظهرى؟

الدكتور : نعم، لأنه يجدر بى أن أتأكد تمام التأكد من المسألة...

بيتر : إذن فأنت تعنى أنك الآن متأكد تمام التأكد؟

الدكتور : أنت بلا أدنى شك مقتنع بذلك.

بيتر : وهل فى عزمك أن تقدم هذه الوثيقة رسميًّا إلى لجنة الحمامات؟

الدكتور : أجل، لابد من عمل شىء فى هذا الصدد، وأن يكون ذلك على وجه السرعة.

بيتر : أنت على عادتك تستعمل عبارات شديدة فى تقريرك، تقول فيما تقول إن ما نقدمه لزوارنا فى الحمامات ليس إلا فيض سم مستديم.

الدكتور : ها! وهل يمكنك أن تصفه وصفًا آخر يا بيتر؟ بالله، ماء ملوث يشربه أو يستحم فيه. هذا ما نقدمه إلى الناس المرضى المساكين الذين يأتون إلينا، واثقين بنا، ويدفعون إلينا مبالغ عظيمة ثمنًا لاستشفائهم ورجوع العافية إليهم.

بيتر : ومقدماتك تؤدى بك إلى هذه النتيجة؟ وهى أنه يجب علينا أن نبنى خزان تصفية يسحب كل القاذورات الناشئة كما تقول من مدابغ موليدال، ويجب علينا أيضا أن نهدم أقنية المياه ثم نبنيها من جديد فى اتجاه آخر.

الدكتور : نعم، هل ترى وسيلة أخرى لإصلاح الحال؟ إنى لا أرى.

بيتر : لقد انتحلت اليوم عذرًا للخروج من المكتب، وقابلت مهندس البلدية، وفتحت له بشكل شبه جدى موضوع هذه الاقتراحات، على تقدير أنه قد ينظر فى أمرها يومًا من الأيام.

الدكتـــــور : يومًا من الأيام!؟

بـــيــتـــــر : فابتسم لأنه يعتقد أن هذا يكون إسرافا منى بـــالطبع. هل كلفت نفسك تقدير مبلـــغ النفقـــة التـــى تتطلبهـــا التغييرات التى نقترحها من المعلومات التى حصلت عليها؟ أفهم أن التكاليف قد تبلغ خمسة عشر ألفـــا أو عشرين ألف جنيه.

الدكتـــــور : تتطلب هذا المقدار؟

بـــيــتـــــر : نعم، وأسوأ ما فى الأمر أن العمل لا يتم فى أقل من سنتين.

الدكتـــــور : سنتين!؟ سنتين كاملتين!؟

بـــيــتـــــر : على الأقل. فماذا تفعل بالحمامات فى غضون هـــذه المدة؟ أنقفلها؟ هذا ما لابد منه. وهل تظن أحدا يأتى إلى المكان بعدما يكون قد شاع فى الآفاق أن المـــاء خطر؟

الدكتـــــور : فعلاً، ولكن يا بيتر هذا هو الواقع.

بـــيــتـــــر : وكل هذا فى هذا الوقت، فى الوقت الذى أخذت فيـــه الحمامات تعرف ويقبل عليها الناس، وبجوارنا بـــلاد أخرى تستهوى الناس إليها للاستحمام فيها. ألا ترى

أن أهلها لا يترددون فى انتهاز هذه الفرصة وتوجيه عزمهم إلى تحويل تيار الغرباء إلى ربوعهم؟ لا شك أنهم يفعلون ذلك، فإذا حدث هذا، فماذا يكون حالنا؟ لعلنا نضطر إذ ذاك أن نتخلى عن منشآتنا جميعها بعد ما كلفتنا مبالغ فادحة، وعندئذ تكون قد جررت الخراب على بلدك.

الدكتور : الخراب على بلدى!؟ أنا!؟

بيتر : ليس للبلد حظ ولا مستقبل إلا فى الحمامات وحدها، وأنت تعرف هذا كما أعرفه تمامًا.

الدكتور : إذن فماذا ترى أن نفعل؟

بيتر : تقريرك لم يقنعنى أن حالة الماء فى الحمامات بالدرجة التى وصفتها.

الدكتور : بل أؤكد لك أنها أسوأ من ذلك، أو أنها على كل حال ستكون كذلك فى الصيف يوم يدخل الحر.

بيتر : كما قلت لك، أعتقد أنك تبالغ وتهول، إن الطبيب المقتدر جدير أن يعرف ماذا نتخذ من الوسائل. يجب عليه أن يكون قادرًا على منع عوامل الأذى أو معالجتها إذا استقرت على صورة واضحة.

الدكتـــــور : ها، وبعد؟

بـــيـــتـــــر : أجهزة الماء اللازمة للحمامات قائمة لا تقبل التغيير، فالمسألة من هذه الناحية مفروغ منها ويجب أن تؤخذ دائمًا على هذا الاعتبار. ولكن إذا تراءى للجنـــة أن تعمل فإنها قد لا تكون غير ميالة إلـــى النظـــر فـــى الأمر لمعرفة مدى ما يمكن أن تدخله من التحسينات مع مراعاة وجاهة النفقة.

الدكتـــــور : وهل تظن أنى أشترك فى مثل هذا الاحتيال؟

بـــيـــتـــــر : احتيال!؟

الدكتـــــور : نعم، ألا يكون هذا العمل خديعـــة وتزويـــرًا وكـــذبًا وجريمة صريحة تقع على الجمهور بل على المجتمع بأسره؟

بـــيـــتـــــر : لم أستطع، كما قلت لك، أن أقتنع أن هناك ضــــررًا واقعًا فعلاً.

الدكتـــــور : بل أنت مقتنع، يستحيل أن لا تكون مقتنعًا. إنى واثق أننى شرحت الوقائع بتمام الصدق والإنصاف، وأنت تعرف ذلك يا بيتر حق المعرفة، ولكنك لا تريـــد أن تسلم به؟ لقد كان من عملك أنت أن الحمامات وأقنية

المياه بُنيت حيث هى الآن، هذا التعسف والخلط هو ما لا تريد أن تعترف به. أتظن أنى لا أرى دخيلة نفسك؟

بيتر : وعلى فرض أن هذا صحيح وأننى أدافع عن سمعتى بشيء من الاهتمام، فإنه فى مصلحة البلد. بغير سلطة أدبية لا تكون لى سلطة مطلقًا فى إدارة مصالح الجمهور بما يؤدى فى نظرى إلى الخير العام. وعلى هذا الاعتبار، ولأسباب أخرى كثيرة، يظهر لى أنه من المهم أن لا يقدم تقريرك إلى اللجنة. يجب عليك فى سبيل المصلحة العامة أن تسحب تقريرك، ثم بعد مدة أرفع أنا المسألة إلى اللجنة، وسنبذل قصارى جهدنا فى العمل فيما بيننا. ولكن لا يصل شيء عن هذه المسألة المشئومة، ولا كلمة عنها إلى أذن الجمهور.

الدكتور : أخشى أنك غير قادر الآن على منع هذا يا عزيزى بيتر.

بيتر : بل لابد من ذلك، وسيُمنع فعلاً.

الدكتــــور : لا فائدة من ذلك، أؤكد لك. كثير من الناس عــالمون به.

بــيــتــــر : عالمون به!؟ من؟ عسى أن لا يكون من بينهم أولئك الأشخاص الذين يحررون رسول الشعب.

الدكتــــور : نعم، هم أيضًا يعلمون. إن الصحافة الحرة المــستقلة أخذت على نفسها أن تلزمك القيام بالواجب.

بــيــتــــر : **(بعد سكوت قصير)** إنك رجل من قلة التبصر بدرجة خارقة للعادة يا توماس، ألم تفكر فيما يترتب علـــى ذلك من سوء العاقبة لك؟

الدكتــــور : العاقبة لى؟

بــيــتــــر : لك ولذويك، نعم.

الدكتــــور : ماذا تعنى؟

بــيــتــــر : أعتقد أنى كنت معك دائمًا على حد الأخوة، وكنــتُ دائمًا سريعًا إلى مرضاتك أو مساعدتك.

الدكتــــور : نعم، كنت كذلك، وأنا شاكر لك هذا الفضل.

بــيــتــــر : لا حاجة إلى هذا، الواقع أننى كنت إلـــى حـــد مـــا مضطرًا إلى ذلك، من أجل مصلحة نفسى. لقد كنت أؤمل دائمًا أنى إذا ساعدت علـــى تحــسين حالتـــك المالية، استطعت أن يكون لى بعض السلطان عليك.

الدكتـــــور : ماذا؟ إذن فقد كان لمصلحتك أن...

بــيـــتـــــر : إلى حدٍّ ما. نعم، إنه ليؤلم الرجل المتــولى وظيفـــة عامة أن يرى أقرب الناس إليه يوقع نفسه فى الشُّبه مرة بعد مرة.

الدكتـــــور : (ضاحكـــاً) وأنت ترى أننى أفعل ذلك.

بــيـــتـــــر : نعم، بكل أسف، من حيث لا تدرى أن من طباعـــك القلق والمشاكسة والثورة. ثم هناك ذلـــك الانـــدفاع القاتل وراء الكتابة فى كل أمر ممكن وغير ممكـــن. ما تأتى فكرة إلى دماغك حتى تذهب وتكتب مقالـــة لجريدة أو تصنع فى شأنها رسالة برَّمتها.

الدكتـــــور : ها، ولكن أليس مـــن واجـــب الـــوطنى أن يُـــشرِك الجمهور فى كل فكر جديد يعنُّ له؟

بــيـــتـــــر : أوه! إن الجمهور لا يريد شيئاً من الأفكار الجديـــدة. خير ما يخدم الجمهور مبادئه الطيبة المقررة لديه من قديم.

الدكتـــــور : أهذا رأيك الخالص؟

بــيـــتـــــر : فعلاً، والآن لا بد لى أن أكلمك صراحة بصفة نهائية إلى الآن حاولت أن أتجنب هذه الصراحة، لأنى أعلم

أنك سريع التهيُّج. أما الآن فلابد لى أن أقول لك الحق الصراح يا توماس، أنت لا تدرى أى ضرر توقعه على رأسك بنزقك. أنت تشكو من أولى الأمر، بل إنك لتشكو حتى من الحكومة. أنت دائم الطعن عليهم، ولا تفتر عن القول بأنك مهمَل مضطهَد، ولكن ماذا ينتظر غير ذلك من رجل مثلك شكس؟

الدكتور : ثم ماذا!؟ شكس؟ أنا؟

بيتر : نعم، يا توماس، أنت شكس جدا لا يطاق الشغل معك، أعرف هذا وغرمه علىَّ. أنت لا تبالى بالشىء الذى يجب عليك أن تبالى به، وكأنك تنسى نسيانًا تامًّا أنه يجب عليك أن تشكرنى لتعيينك مفتشًا صحيًّا للحمامات.

الدكتور : لقد كنت أستحق الوظيفة بطبيعة الحال، أنا لا سواى. كنت أول من رأى أن البلدة يمكن أن تصبح بلدة حمامات زاهية يستشفى بمائها، وكنت أول من رآها فى ذلك الوقت. ولقد جاهدت أنا وحدى مدى أعوام عديدة فى سبيل تحقيق هذه الفكرة، وكتبت وكتبت.

بيتر : لا إنكار فى ذلك، ولكن الأمور لم تكن مهيأة لتنفيذ المشروع يومئذٍ. وإن لم تكن تستطيع وأنت فى

أقصى البلاد أن تعرف ذلك، ولكن لمّا حان الوقت الملائم أخذت المسألة أنا والآخرون فى يدى.

الدكتور : نعم، وأتيتم كل ذلك الخبط والخلط الذى شوّه جمال مشروعى. لقد ظهرت الآن مهارتكم أيها السادة.

بيتر : يخيل إلىَّ أنك إنما عدت تلتمس منفسًا لما يجيش فى صدرك من الخصومة واللدد. أنت تريد أن تتقاتل مع رؤسائك وهى عادة فيك قديمة. أنت لا تطيق أن يكون عليك لأحد سلطة. تنظر شذرًا دائمًا إلى كل من هو فى مرتبة رسمية أعلى من مرتبتك، تنظر إليه كأنه ألد أعدائك، وعليه فكل عصا تلقاها تكون صالحة لضربه بها. ولكنى الآن قد لفتك إلى أن مصالح البلدة رهن الخطر، وبالمصادفة مصالحى أيضًا، وعليه فلابد لى أن أخبرك أنك ستجدنى ثابتًا صلبًا فيما أنا على وشك أن أطلب إليك فعله.

الدكتور : وما هو هذا؟

بيتر : بما أنك كنت غير حصيف حين تحدثت إلى الغرباء فى هذه المسألة الدقيقة، فى حين أنه كان يجب عليك أن تعدها مسألة رسمية جدا وسرية، فقد أصبح من

المستحيل الآن إسكات الألسنة، وستنشر على الفور أنواع مختلفة من الإشاعات، وسيعمل كل من عنده علينا حفيظة على تزويق هذه الإشاعات وترويجها، وعليه فلابد لك من إنكارها وتكذيبها علنًا.

الدكتور : أنا! كيف؟ إنى لا أفهم.

بيتر : إن ما يُنتظر منك فعله هو أن تعلن أنك بعد أن قمت بأبحاث أخرى وجدت أن المسألة ليست من الخطورة ولا من الحرج بالدرجة التى زعمتها أول الأمر.

الدكتور : أهذا ما تنتظره منى؟

بيتر : أجل، وفوق ذلك ننتظر منك أن تُقر علنًا بثقتك باللجنة، وبأنها على استعداد تام للنظر بعين الاهتمام والعناية فيما يلزم لملاقاة ما يحتمل وجوده من العيوب.

الدكتور : ولكنكم لن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك بالترقيع والرَّفْو. محال! صدقنى يا بيتر، إنى أعنى ما أقول صراحة وتأكيدًا.

بيتر : ليس لك الحق وأنت موظف تحت أمر اللجنة أن يكون لك رأى خاص.

الدكتـــــور : (دهشـــاً) ليس لى الحق؟

بـــيـتـــــر : بصفة رسمية، لا. إذا كنت شخصا حرًّا فالمسألة غير ذلك. أما وأنت موظـــف مـــرءوس مـــن مـــوظفى الحمامات فليس لك الحق فى أن تبدى رأيًا يخـــالف رأى رؤسائك.

الدكتـــــور : هذا كثير جدا. أنا دكتور ورجل من رجال العلم، ألا يكون لى الحق أن...؟

بـــيـتـــــر : ليست المسألة التى نحن فى صددها مـــسألة علميـــة مجردة، إنها مسألة مركبة، لها وجه اقتصادى كما أن لها وجهًا فنيًّا.

الدكتـــــور : لا يهمنى ماهيتها، إنى عازم على التمسك بحريتـــى فى إبداء رأيى فى أى موضوع تحت الشمس.

بـــيـتـــــر : كما تريد، ولكن ليس الحال كذلك إذا كان الموضوع خاصًّا بالحمامات. هذا ما أنهاك عنه.

الدكتـــــور : (يزعق) أنتم تنهونى عنه!؟ أنتم!؟ ثلة من...

بـــيـتـــــر : أنا أنهاك، أنا رئيـــسك! وإذا نهيتـــك فلابـــد لـــك أن تطيع.

الدكتـــــور : (يكبح جماح نفسه) بيتر، لو أنك لم تكن أخى..

بتــــــرا : (تفتح الباب بشدة) أبى ما عليك أن تحتمل هذا.

مدام ستوكمان: (تدخل وراءها) بترا! بترا!

بــيــتـــــر : ها، إذن فقد كنتما تسترقان السمع!؟

كاتـــــرين : لقد كنت تتكلم بصوت عالٍ فلم يكن فى استطاعتنا...

بتــــــرا : نعم، كنتُ أتسمَّع.

بــيــتـــــر : حسن، إنى مرتاح إلى ذلك على كل حال.

الدكتـــــور : (ذاهبــاً إليه) لقد كنت الآن تقول شيئًا عــن النهــى والطاعة.

بــيــتـــــر : لقد أجبرتنى أن أستعمل معك هذه اللهجة.

الدكتـــــور : وعليه فلابد لــى أن أكــذِّب نفـسى علــى رءوس الأشهاد.

بــيــتـــــر : نحن نرى ضرورةً وحتمًا أن تعلن بلاغاً من قبيل ما ذكرت.

الدكتـــــور : وإذا أنا لم... أطاوع؟

بــيــتـــــر : إذن فنحن أنفسنا ننشر بلاغاً نطمئن به الجمهور.

الدكتـــــور : حسن، ولكنى فى هذه الحالة سأستعمل قلمى ضدكم. إنى ثابت على ما قلت، سأبين أنى على حق وأنكـــم على باطل؛ فماذا أنتم فاعلون بعد ذلك؟

بيتر : إذن فلن أكون قادرًا على منع عزلك.

الدكتور : ماذا؟

بترا : أبى! يعزل!؟

كاترين : يعزل!؟

بيتر : يعزل من بين موظفى الحمامات. سأكون مضطرًا إلى اقتراح أن تُعطى إعلانًا بعزلك على الفور، وأن لا يسمح لك بالاشتراك بعد ذلك فى شئون الحمامات.

الدكتور : مثلك من يجرؤ على مثل هذا.

بيتر : إنما أنت الجرىء لا أنا.

بترا : عمى! من العار أن تعامل رجلاً مثل أبى هذه المعاملة.

كاترين : بترا! اخرسى.

بيتر : **(ناظرًا إلى بترا)** أوه، إذن فقد دخلنا فى دور التطوع بالآراء! بالطبع. **(إلى كاترين)** كاترين، إنى أرى أنك أعقل إنسان فى هذا المنزل، استعملى كل ما لك من التأثير فى زوجك وأبينى له ماذا يترتب على فعله من الأضرار به وبعائلته.

الدكتور : عائلتى شأنى لا شأن غيرى.

بيتر : بعائلته كما كنت أقول، وكذا بالبلدة التى يعيش فيها.

الدكتور : إذا كان فى البلدة من يهتم بها فهو أنا. أريد أن أكشف عن العيوب التى لابد أن ينكشف أمرها يومًا ما قريبًا أو بعيدًا وسأُرِى الناس أنى أحب بلدى.

بيتر : أنت! الذى تريد بعنادك الأعمى أن تقطع عن البلدة أهم موارد خيرها؟

الدكتور : هذا المورد مسموم يا رجل. أأنت مجنون!؟ إن معيشتنا على توزيع الأقذار والأوضار. كل حياتنا البلدية الزاهرة تستعيد وجودها من أكذوبة...

بيتر : كل هذا وهم، أو شىء أقبح من الوهم. والرجل الذى يرمى بلده بمثل هذه التهم الشنيعة لابد أن يكون عدوًّا للشعب.

الدكتور : (ذاهبًا إليه) أتجرؤ أن...!؟

كاترين : (تلقى نفسها بينهما) توماس.

بترا : (قابضة على ذراع أبيها) لا، هدئ جأشك يا أبى.

بيتر : لن أعرض نفسى للصدام، ها أنت ذا قد أتاك الإنذار ففكر فيما يجب عليك لنفسك ولذويك. الوداع. (يخرج).

الدكتـــور : **(متمشيـــاً هنا وهناك)** أيجدر بى أن أحتمل معاملــة كهذه؟ وفى بيتى يا كاترين!؟ ما رأيك فى هذا؟

كاتـــرين : حقا إنه لعيْبٌ ونكرٌ معًا يا توماس.

بتـــــرا : آه. لو أننى أستطيع أن أبدى لعمى بعض رأيى فيه.

الدكتـــور : الذنب ذنبى. كان يجب أن أهبَّ فيه من زمــن بعيــد وأكشِّر له عن أنيــابى، وأزجــره. يــسمينى عــدو الشعب!؟ أنا؟ لن أتجاوز عن هــذه الفريـــة، محــال وشرفى.

كاتـــرين : ولكن يا عزيزى توماس، أخوك فى جانبه القوة.

الدكتـــور : وأنا فى جانبى الحق، أؤكد لك.

كاتـــرين : الحق! الحق! ما فائدة أن يكون فى جانبك الحــق إذا لم تكن معك القوة؟

بتـــــرا : وى، أمى! كيف تقولين هذا الكلام!؟

الدكتـــور : أأنت ترين أنه لا فائدة من أن يكون الحق فى جانب الإنسان فى بلد حر؟ أمرك عجيب يا كاترين. ومــع ذلك، أليست الصحافة الحرة المــستقلة فــى طليعــة الطريق، والغالبية العظمى من ورائى؟ أرى فى ذلك قوة كافية!

كاتــــرين : ولكن، يا لله، توماس إنك لا تعنى أنك...

الدكتـــور : لا أعنى ماذا؟

كاتــــرين : أن تتصب نفسك لمناهضة أخيك.

الدكتـــور : بالله خبرينى، ماذا تظنين أنـــى فاعـــل إلا أن أقـــف موقف الحق والصدق؟

بتــــرا : أجل، هذا ما كنت على وشك أن أقوله.

كاتــــرين : ولكن هذا لا يفيدك فائدة دنيوية. إذا كانوا لا يريدون العمل بفكرتك. فإنهم لن يعملوا عليها.

الدكتـــور : أوه، كاترين، أعطينى الوقت وأنا أريك كيف أحاربهم فى عقر دارهم.

كاتــــرين : أجل، تحاربهم فى عقر دارهم ولا تأخذ إلا خطـــاب عزلك، هذا ما أنت فاعل.

الدكتـــور : سأكون قد قمت على كل حـــال بـــواجبى للجمهـــور وللمجتمع، أنا الذى أُسمَّى عدوًّا له.

كاتــــرين : وأين واجبك نحو عائلتك يا توماس؟ نحو بنيك أنـــت نفسك، أترى أنك بهذا تؤدى واجبًا لمن تعول؟

بتــــرا : لا تفكرى على الدوام فينا أولاً يا أمى.

كاتـــــرين : يسهل عليك أن تتكلمى، أنت قـــادرة علــــى تحــصيل عيشك بنفسك إذا اقتضى الحال، ولكن تذكر أولادك يا توماس، وفكر قليلاً فى نفسك أنت أيضًا، وكذلك فىَّ.

الدكتـــــور : أظن أنك فقدت رشدك يا كاترين. إذا أنا بلغت مـــن الخسة والجبن حد الذهاب والجثو أمام بيتر وعصبته السافلة، أتظنين أنى أعرف طعمًا لراحـــة الـــضمير طول عمرى بعدها؟

كاتـــــرين : لا أعرف شيئًا عن هذا ولكنى أدعو الله أن يحمينـــا من راحة الضمير التى ستكون لنا على كل حـــال إذا استمررتَ على مناهضته! ستجد نفسك معدمًا مـــرة أخرى لا تملك وسيلة القوت ولا إيراد لـــك تعتمـــد عليه. أظن أننا نلنا الكفاية من هذا فى الزمن السابق تذكر هذا يا توماس وفكر فى معناه.

الدكتـــــور : **(يسكن نفسه بالجهد ويشد على قبضة يده)** وهذا ما تجلبه هذه العبودية على رجل حر شريف! أليس هذا منكرًا يا كاترين؟

كاتـــــرين : حقًا إنه لحرام أن يعاملوك هكذا. لا. حرام حقًّا ولكن وأسفاه! على المرء أن يصبر لكثير من المظالم فـــى

هذه الدنيا. هاك الأولاد يا توماس. انظر إليهم. مـــاذا يحل بهم؟ لا. لا، لا يطاوعك قلبك. **(إيليف ومورتون يكونان قد دخلا أثناء كلامهما وكتبهما المدرسية فى أيديهما).**

الدكتـــــور : الأولاد! **(ينتبه على حين فجأة)** كلا. ولـــو تهـشمت الدنيا جميعها، لن أحنى رأسى لهذا النير.

(يذهب صوب غرفته).

كاتـــــرين : **(تتبعه)** توماس، علام عولتَ؟

الدكتـــــور : **(عند الباب)** عوّلت على أن أستبقى لنفسى الحق فى النظر إلى وجوه أولادى، يوم يكبـــرون ويـــصيرون رجالاً. **(يدخل غرفته).**

كاتـــــرين : **(تندفع باكية)** الله يسترنا جميعًا.

بتـــــــرا : أبى رجل عظيم. إنه لـــن يـــسلم. **(الأولاد ينظـــرون دهشين وبترا تشير إليهم إشارة الإسكات).**

«انتهى الفصل الثانى»

الفصل الثالث

المنظر:

مكتب تحرير «رسول الشعب» باب الـــدخول إلى يسار الجدار الخلفي. ويوجد إلى اليمين باب آخر ذو ألواح من الزجاج تبدو منه صـــناديق الطبَّـــاعين. وهناك باب فى الجدار الأيمن. وفى وسط الغرفة منضد كبير مغطى بالأوراق والجرائد والكتب. وفى مقدمـــة المرزح من اليسار نافذة أمامها مكتب وكرسى عالٍ، وهناك متكآن (فوتيلان) على جانبى المنضد، وعـــدة كراسى مرصوصة إلى جانب الجدار، والغرفة ضـــئيلة النور لا تتوفر فيها أسباب الراحة، والأثاث فيها قديم والكراسى ملوَّثة وممزقة.

فى غرفة المطبعة يُرى الجمَّـــاعون مـــشتغلين، وكذلك يُرى طباع يشتغل على مطبعة يد... هوفستاد جالس يكتب. يأتى بيلنج من اليمين ومعـــه مـــسودة مقالة الدكتور ستوكمان.

بيـــلنـــج : يجب أن أقول!

هوفستـــاد : (وهو مشغول بالكتابة) هل قرأتها؟

بيـــلنـــج : (يضع المسودة على المكتب) أجل ، فعلاً.

هوفستـــاد : ألا ترى أن الدكتور يضربهم ضربات قوية؟

بيـــلنـــــج : يا مغيث... إنها هاشمة. كل كلمة تقع كأنهـــا، مـــاذا أقول، كأنها مطرقة.

هوفستـــاد : نعم، ولكن هؤلاء الناس ليسوا ممن ينثنون تحت أول ضربة.

بيـــلنـــــج : هذا صحيح، ولهذا يجب أن نضربهم مرة بعد أخرى حتى ينهار بناء تلك الأرستقراطية حجرًا فوق حجر. لقد خُيِّل إليَّ وأنا أقرأ هذه المقالة أن الثـــورة علـــى الأبواب.

هوفستـــاد : **(يتلفت)** هش. صه. تكلم بحيث لا يسمعك أسلاكسن.

بيـــلنـــــج : **(يخفض صوته)** أسلاكسن ذو قلب كقلب الدجاج جبان، ليس فيه من صفات الرجولة شيء. ولابد لـــك هـــذه المرة أن تُصِرَّ على تنفيذ رأيك. أليس كذلك؟ لا بـــد من نشر مقالة الدكتور.

هوفستـــاد : نعم، وإذا لم يوافق العمدة عليها...

بيـــلنـــــج : سيكون من وراء ذلك نصب كبير.

هوفستـــاد : إيه. من حسن الحظ أننا نستطيع أن نستفيد من هـــذا الموقف مهما كانت النتائج. إذا لم يوافق العمدة على

مشروع الدكتور أصبح صغار أرباب الحرف كلُّهم ضدًّا له، وكل أعضاء جمعية أصحاب الأملاك وأضرابهم. وإذا وافق على المشروع فإنه يستغضب الجمهور الأعظم من أصحاب الأسهم الكبار فى الحمامات، وهم إلى الآن أقوى أنصاره.

بيلنج : نعم، لأنهم سيضطرون بكل تأكيد أن يدفعوا من جيوبهم ثمن الإصلاح.

هوفستاد : هذا ما لا بد أن يحدث، فأنت ترى أن رابطتهم لا بد أن تنفصم بهذه الطريقة. وعليه فإننا نستطيع أن ننشر فى كل عدد من الجريدة نبذة للدلالة على عدم كفاءة العمدة. مسألة بعد مسألة، ونبين للجمهور بأوضح عبارة ضرورة وضع كل وظائف المسئولية ومراقبة شئون البلدة برمّتها فى أيدى الأحرار.

بيلنج : هذا هو الحق! هذا هو. إنى أرى الساعة آتية. الساعة آتية، نحن على حافة الثورة!

(يُسمع دق على الباب)

هوفستاد : هش. صه. (ينادى) ادخل! **(يدخل الدكتور ستوكمان من باب الشارع، يذهب هوفستاد للقائه)** آه. أهو أنت يا دكتور!؟ خيرًا!؟

الدكتـــــور : لك الآن أن تشرع فى العمــل وتنــشرها يــا ســيد هوفستاد.

هوفستـــاد : وصلت المسألة إلى هذا، إذن.

بيـــلنــــج : مرحى!

هوفستـــاد : نعم، انشرها. فعلاً وصلت المســألة إلى هذا الحد... لا بد لهم الآن أن يأخذوا ما يستحقون. سيحدث فــى البلدة نضال يا مستر بيلنج.

بيـــلنــــج : آمل أن يكون قتالاً بالسكاكين، سنضع السكاكين على حلوقهم يا دكتور.

الدكتـــــور : هذه المقالة فتح باب فقط، لقد أعددت فى رأسى أربع مقالات أو خمسًا. أين أسلاكسن؟

بيـــلنــــج : **(ينادى داخل غرفة المطبعة)** أسلاكــسن! تعــال هنــا دقيقة.

هوفستـــاد : أربع مقالات أو خمسًا. تقول؟ فى نفس الموضوع؟

الدكتـــــور : لا يا عزيزى، لا، إنها بشأن موضوع يكــاد يكــون غير موضوعنا. ولكنهــا متفرعــة جميعهــا علــى موضوع مياه الشرب والصرف... شىء يؤدى إلــى شىء. أليس كذلك؟ الأمر أشبهُ شىءٍ بهدم بيت قــديم بالضبط.

بيلنج : حقًّا. حقًّا. لا تجد أنك انتهيت حتى تكون قد هدمت البيت القديم الدارس كلّه.

أسلاكسن : (داخلاً) هدم! عسى أن لا يكون قصدك هدم الحمامات يا دكتور.

هوفستاد : كلا. كلا، لا تخش بأسًا.

الدكتور : لا، نحن نعنى شيئًا غير هذا بتاتًا. ما رأيك فى مقالتى يا مستر هوفستاد؟

هوفستاد : أرى أنها آية من الآيات.

الدكتور : أترى ذلك حقًّا؟ إنى مسرور جدًّا، مسرور جدًّا.

هوفستاد : إنها واضحة المبنى والمعنى، لا يحتاج الإنسان لفهم محمولها إلى سبق علم خاص، وسيكون معك كل رجل مستنير.

أسلاكسن : وكل رجل حكيم، على ما أرجو.

بيلنج : الحكيم وغير الحكيم، جميع أهل البلدة تقريبًا.

أسلاكسن : فى هذه الحالة نستطيع أن نجرؤ فنطبعها.

الدكتور أظن ذلك.

هوفستاد : سننشرها فى عدد الغد.

الدكتـــــور : بالطبع، لا يصح أن نضيِّع يومًا واحــدًا. إن الـــذى أردت أن أرجوك له يا مـــستر أسلاكـــسن هـــو أن تُشرف على طبعها بنفسك.

أسلاكســـن : بكل ارتياح.

الدكتـــــور : احرص عليها كأنها كنز! لا يكن بها أغلاط مطبعية. كل كلمة فيها مهمة... سأرجع إليكم مرة أخرى بعـــد قليل... فعـــسى أن تـــستطيعوا تجهيـــز تجربـــة. لا أستطيع أن أعبر لك عن فرط شوقى إلـــى رؤيتهـــا مطبوعة، وأن أراها تنفجر فوق رأس الجمهور.

بيـــلنــــج : تنفجر فوق رأس الجمهور، نعم كالبرق الخاطف.

الدكتـــــور : وأن تقدَّم إلى محكمة المستنيرين من أهل بلدتى. إنك لا تدرى قدر ما قاسيت اليوم، لقد هُدِّدتُ أولاً بـــأمر ثم بآخر. حاولوا أن يسرقوا منى أبسط ما لـــى مـــن الحقوق بصفة كونى إنسانًا.

بيـــلنــــج : ماذا!؟ ما لك من الحقوق بصفة كونك إنسانًا؟

الدكتـــــور : لقد حاولوا أن يحطُّوا من كرامتى ويجعلوا منى رجلاً أخرق جبانًا، ويحملـــونى علـــى تقـــديم مـــصلحتى الشخصية على عقيدتى المقدسة.

بيلنج : هذا كثير جدا، أقسم أنه كثير جدا.

هوفستاد : لا تعجب لشيء يأتى من تلك الجهة.

الدكتور : لن يلقوا منى إلا الشر كله، ثق واطمئن. وسأجعل هذه الجريدة مِرساة لى ألقى عليهم منها كل يوم مقالة بعد مقالة كالقذيفة المتقدة.

أسلاكسن : نعم ولكن...

بيلنج : مرحى! حرب! حرب!

الدكتور : سأضربهم حتى أهدمهم، سأهشمهم. سأكسر كل حصونهم أمام أعين جمهورنا الكريم، هذا ما سأفعله حقا.

أسلاكسن : نعم. ولكن بالاعتدال يا دكتور، سر فى عملك بالاعتدال.

بيلنج : أبدًا. أبدًا، لا تبخل عليهم بالديناميت.

الدكتور : لان المسألة كما تعلم لا تقتصر الآن على كونها مسألة مورد الماء والمصارف. لا، إن حياتنا الاجتماعية كلها محتاجة إلى التطهير والتنقية.

بيلنج : كلام ككلام المخلِّصين!

الدكتـــــور : يجب طرد جميع الذين لا كفاءة لهم. فاهم؟ وذلك فى أى مجال من مجالات حياتنا! لقد لاحت لعينى اليـوم صور لا حدَّ لها. نعم، إننى لا أستطيع حتى الآن أن أتبينها جليًّا ولكننى سأتبينها فى حينها. شبان أقويـاء يحملون العلم، هؤلاء هم الذين ننـشدهم اليـوم يـا إخوانى، يجب أن يتولى زمام أمورنا رجال جدد.

بيـلنـــج : مرحى، مرحى!

الدكتـــــور : لسنا فى حاجة إلا إلى أن يقف بعضنا إلـى جانـب بعض ليسْهُل كل عسير، سندفع الثورة كالسفينة التى تدلى إلى الماء مزدلفة. ألا ترى ذلك؟

هوفستـــاد : أما أنا فأعتقد أن لدينا الآن ما يدل علـى أن سـلطة البلدة ستصبح فى الأيدى الجديرة بها.

أسلاكسـن : وإذا سرنا باعتدال فلا مخاطرة فى شىء.

الدكتـــــور : ومن ذا الذى يهتم بأمر المخاطرة أو غير المخاطرة؟ إن ما أنا فاعله أفعله باسـم الحـق ولأجـل راحـة ضميرى.

هوفستـــاد : أنت رجل تستحق أن تُنصر، يا دكتور.

أسلاكسن : نعم. لا شك فى أن الدكتور صديق صادق للبلدة، صديق حقيقى للمجتمع، هذا هو الواقع.

بيلنج : صدقنى يا أسلاكسن الدكتور ستوكمان هو صديق الشعب.

أسلاكسن : يُخيَّل إلىَّ أن جمعية أرباب الأملاك ستستعمل هذا التعبير فى وصف الدكتور عما قريب.

الدكتور : **(متأثرًا، يقبض على أيديهم)** أشكركم يا أصدقائى الأقوياء، إنه لينعشنى أن أسمعكم تقولون هذا. لقد نعتنى أخى نعتًا خلاف ما تذكرون، أما والله لأردنَّ إليه هذا بربحه. يجب على أن أنهض لأزور مريضًا وسأعود إليكم كما قلت. اعتن شديد الاعتناء بمسودة المقالة يا أسلاكسن، وإياك بحال من الأحوال أن تترك علامة من علامات التعجب وغير ذلك، تزدها واحدة أو اثنتين إذا شئت... عظيم، عظيم! هه. إلى اللقاء! ومؤقتًا إلى اللقاء، إلى اللقاء.

(يذهبون لتوديعه إلى الباب وينحنون له)

هوفستاد : قد يأتى من ورائه نفع كبير لنا.

أسلاكسن : نعم، ما دام لا يتخطى مسألة الحمامات هذه، أما إذا تخطاها وأوغل في الميدان فإني لا أرى من المستصوب أن نتبعه.

هوفستاد : (يهمهم) هذا يتوقف على...

بيلنج : أنت هيّابة يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، إذا كانت المسألة تمس رجال الإدارة المحليين فأنا هيّابة يا مستر بيلنج. هذا درس تعلمته في مدرسة التجاريب. دعنى أَقُلْ لك ذلك. أما المسائل السياسية العليا التى لها علاقة بالحكومة نفسها فجربنى فيها ثم انظر هل أنا هيّابة أو لا.

بيلنج : لا ، لست هيّابة. أُسلم لك، ولكنك تناقض نفسك.

أسلاكسن : إنى رجل ذو ضمير، وهذا هو الموضوع كله. إذا أنت طعنت رجال الحكومة فإنك لا تؤذى المجتمع أبدًا، لأن هؤلاء الأشخاص لا يهتمون بالمطاعن بتاتًا بل يستمرون فى طريقهم كما كانوا بغير ملكهم، أما رجال الإدارة البلدية المحليون فهم صنف آخر فى طاقتك طردهم، ولكن ربما أتيت يومئذٍ بفريق جاهل يتولى زمام العمل فيُحدِث أضرارًا أو ينزل بأرباب الأملاك وغيرهم خسائر لا تُعوَّض.

هوفستاد : ولكن ما قولك فى تربية مواطنيك بالحكم الذاتى؟ ألا تعلِّق أهمية على هذا؟

أسلاكسن : إذا كانت للإنسان مصالح خاصة تستوجب الصيانة فإنه لا يستطيع أن يفكر فى كل شىء، يا مستر هوفستاد!

هوفستاد : إنى أرجو أن لا تكون لى مصالح خاصة تلزمنى صيانتها.

بيلنج : مرحى، مرحى!

أسلاكسن : (بابتسام) هَم. (يشير إلى المكتب) لقد كان المستر ستنزجارد سلفًا لك على هذا المكتب فى رياسة التحرير.

بيلنج : (باصقًا) باه، ذلك المتلوِّن المذبذب؟

هوفستاد : لست كدوَّارة الرياح ولن أكونها.

أسلاكسن : يجدر بالسياسى أن لا يقطع بشىء يا مستر هوفستاد. وأنت يا مستر بيلنج، أرى أنه قد حان الوقت الذى يجدر بك فيه أن تطوى من شراع سفينتك قطعة أو اثنتين ما دمت قد قدمت طلبًا لوظيفة سكرتير المحكمة الخالية.

بيلنج : أنا!؟

هوفستاد : (لبيلنج): أحقًّا يا بيلنج؟

بيلنج : نعم، صحيح. ولكن يجب أن تعلم أنى إنما فعلت ذلك لأغيظ أولئك المتعصبين.

أسلاكسن : على كل حال، لا يهمنى هذا. ولكن إذا اتهمنى أحد بالجُبن وبعدم الثبات على مبدئى فهذا ما أريد أن أقوله، إن ماضىَّ السياسى كتاب مفتوح. لم أتغير بتاتا، اللهم إلا لأصبح معتدلاً قليلاً. إن قلبى لا يزال مع الشعب، ولكنى لا أنكر أن فى فؤادى شيئًا من الميل إلى وُلاة الأمر، الولاة المحليين أعنى. **(يذهب إلى غرفة المطبعة).**

بيلنج : ألا يجدر بنا أن نعمل على الخلاص منه يا هوفستاد؟

هوفستاد : أتعرف شخصًا سواه يقدم لنا المال اللازم لشراء الورق ودفع أجرة الطبع؟

بيلنج : من أعظم البلاء أننا لا نملك شيئًا من رأس المال للاشتغال به.

هوفستـــاد : **(جالســـاً إلى مكتبه)** فعلاً، لو كان عندنا رأس مال، إذن...

بيـــلنــــج : ما رأيك فى الالتجاء إلى الدكتور ستوكمان؟

هوفستـــاد : **(يقلــب أوراقـــاً أمامه)** وما الفائدة؟ الرجل لا يملك شيئًا.

بيـــلنــــج : لا، ولكن وراءه رجلاً مليئًا، مورتن كيـــل العجـــوز الذى يسمونه إليغر.

هوفستـــاد : **(يكتب)** أأنت متأكد أنه غنىٌّ؟

بيـــلنــــج : يا إلهى؟! بالطبع غنى، وسيكون جزء من مـــا لـــه لعائلة ستوكمان، ومن المحتمل جدا أن يعمل شيئًا من أجل الأولاد على كل حال.

هوفستـــاد : **(يلتفت نصف التفات)** أأنت معتمد على هذا؟

بيـــلنــــج : معتمد!؟ أنا لا أعتمد على شىء بالطبع.

هوفستـــاد : مرحى، وأنا أيضًا لا أعتمد على سكرتارية المحكمة لو كنت مثلك. إنك لن تحصل على هذه الوظيفة أؤكد لك.

بيـــلنــــج : أتظن أنى لست واثقًا من ذلك؟ إن جوهر قصدى هو أن لا أحصل عليها. قليل من هذا ينبِّه قوى الإنـــسان

للقتال، فهو أشبه شيء بتعاطيك مقدارًا جديدًا من مرارة الغلِّ. وإنى أعتقد أن الواحد منا فى مكان كهذا، حيث يندر أن يحدث شيء يحرك الإنسان، محتاج إلى مثل هذا المنبه القوى.

هوفستاد : (يكتب) صحيح، صحيح.

بيلنج : آه، سيكون لى نبأ عما قريب. والآن أنا ذاهب لكتابة نص الدعوة إلى جمعية أرباب الأملاك. **(يذهب داخلاً الغرفة الواقعة إلى اليمين).**

هوفستاد : **(جالسًا إلى مكتبه يعضُّ فى طرف ريشته ويقول على مهل)** هم! هو كذلك **(تُسمع دقة على الباب)** تفضل. **(تدخل بترا من الباب الخارجى، ينهض هوفستاد)** ما هذا! أنت! هنا؟

بترا : أجل، أرجو معذرتى.

هوفستاد : **(ساحبًا كرسيًا إلى الأمام)** ألا تجلسين؟

بترا : لا، لا بد لى من الذهاب على الفور، أشكرك.

هوفستاد : لعلك آتية فى رسالة من الوالد؟

بترا : لا، لقد أتيت بملكى. **(تتناول كتابًا من جيبها)** هذه هى الرواية الإنجليزية.

هوفستاد : لماذا تردّينها إلىّ؟

بترا : لأنى لا أنوى أن أترجمها.

هوفستاد : ولكنك وعدتنى بذلك.

بترا : نعم، ولكنى لم أكن قرأتها، ولا أظن أنك أيضًا قد قرأتها.

هوفستاد : لا، أنت تعلمين أنى لا أعرف الإنجليزية ولكن...

بترا : صحيح، ولهذا أردت أن أخبرك أنه يجدر بك أن تقدم شيئًا آخر. (**تضع مجلد الرواية على المكتب**). إنك لا تستطيع أن تنشر هذه الرواية فى جريدة رسول الشعب.

هوفستاد : ولماذا؟

بترا : لأنها تناقض كل آرائك.

هوفستاد : أوه، من هذه الوجهة!

بترا : إنك لم تفهم قصدى. إن محمول هذه الحكاية أن هناك قوة خارقة للطبيعة تتولى العناية بمن يسمونهم «الناس الأخيار» فى هذه الدنيا، وتجعل كل شىء فى النهاية على هواهم، أما من يسمونهم «الناس الأشرار» فيلقون جزاءً محتمًا.

هوفستـــاد : هذا ما يريده قرّاؤنا بعينه.

بتـــــــرا : أَوَ تنوى أن تكون أنت الواسطة فى وصـــول هـــذا إليهم؟ أما أنا فإنى لا أومن بشىء من هذا. أنت تعلم حق العلم أن الأمور لا تحـــدث كـــذلك فـــى عـــالم الحقيقة.

هوفستـــاد : أنتِ على تمام الحق، ولكن المحرر لا يستطيع دائمًا أن يعمل على ما يشتهى. إنه مضطر أحيانًا إلـــى أن يحنى رأسه للجمهور فى المـــسائل التـــى لا تكـــون مهمة. الأمور السياسية هى أهم الأمور فى الحياة فى نظر الجرائد على كل حال. وإذا كنت أريد أن آخـــذ قرّائى معى فى السبيل المؤدية إلى الحرية والفـــلاح فالواجب ألا أذعرهم. إذا وجد القراء قصة خلقية من هذا القبيل فى أسفل الصحيفة كانوا أقرب إلى قـــراءة ما هو مطبوع فوقها، يشعرون أنهـــم إذ ذاك آمـــن موقفًا وأسلم مكانًا.

بتـــــــرا : يا للعار! إنه لا يجمل بك أن تنصب أُحبولـــة كهـــذه لقرائك. إنك لست عنكبوتًا!

هوفستـــاد : (باسمًا) شكرًا لك على حسن ظنك بى. لا. الواقـــع أن الفكرة لبيلنج لا لى.

بتـــــــرا : فكرة بيلنج؟

هوفستـــاد : نعم، على كل حال لقد طرح هذه الفكرة هنا يومًا من الأيام، وهو الذى يشتهى أن تُنشر هذه الرواية بالذات فى جريدتنا، إنى لا أعرف شيئًا عن موضوعها.

بتـــــــرا : ولكن كيف يقدر بيلنج وهو من ذوى الأذهان الحـــرة والآراء الطليقة؟

هوفستـــاد : أوه، بيلنج رجل كثير النواحى، إنه متقـــدم لوظيفـــة سكرتير المحكمة أيضًا، كذلك سمعت.

بتـــــــرا : لا أصدق هذا يا مستر هوفستاد. كيف يسمح لنفـــسه أن يفعل شيئًا كهذا؟

هوفستـــاد : آه، هذا يجب أن يُسأل عنه بيلنج نفسه!

بتـــــــرا : ما كان يخطر لى عنه مثل ذلك.

هوفستـــاد : (ينظر إليها متمعنـــًا) أبدًا؟ أيدهشك الأمر جدا؟

بتـــــــرا : نعم، أو لعله ما كان يدهشنى قط. أؤكد لـــك أنـــى لا أدرى تمامًا.

هوفستـاد : نحن الصحفيين لا نساوى شـيئًا كثيـرًا يـا مـس ستوكمان.

بتـرا : أأنت تعنى ذلك حقيقة؟

هوفستـاد : أرى ذلك أحيانًا.

بتـرا : نعم، لعل ذلك إنما يكون فى أمور الحيـاة العاديـة، أستطيع أن أفهم ذلك. أما الآن وقد تناولـت مـسألة ذات بال...

هوفستـاد : مسألة أبيك، تقصدين؟

بتـرا : بعينها، يُخيَّل إلىَّ أنه يجب عليك أن تدرك أنك رجل تقوم بأكثر ما يقوم به الأكثرون.

هوفستـاد : نعم، اليوم أشعر أننى شيء من هذا القبيل.

بتـرا : بديهى أن تشعر بذلك، أليس الواقع هذا؟ لقد اختـرت لنفسك أجلَّ مهمة، أن تمهد الطريق لسير الحق الذى لا يقدره الناس، وللأفكار الجديدة الجريئة التـى لـم تعتقدها العقول، لعمرى لو لم يكن إلا أنك تقف فـى العراء شجاعًا تنصر مبدأ رجل مظلوم...

هوفستـاد : ولاسيما إذا كان هذا الرجل المظلوم. (**يهمهم**) لست أعرف فى الحقيقة كيف...

بتـــــــرا : تقصد ولاسيما إذا كان هذا الرجل على مثـل هـذه الاستقامة والنزاهة.

هوفستـــاد : (**بزيادة فى التلطف**) أردت أن أقول ولاسيما إذا كـان هذا الرجل أباك.

بتـــــــرا : (**تؤخذ على حين بغتة**) هذا؟

هوفستـــاد : نعم، يا بترا، يا مس بترا.

بتـــــــرا : أهذا هو السبب الأول المقدم عندك، وليس الموضوع نفسه، وليس ما فيه من الصدق، وليس ما يعى أبـى من قلب كريم نبيل؟

هوفستـــاد : بالطبع، مؤكد هذا أيضا.

بتـــــــرا : شكرًا لك... لا، لقد فضحت نفسك، لن أثق بك بعـد اليوم فى شىء.

هوفستـــاد : أيمكن أن يسوءك العلم بأنى من أجلك... بالأكثر...

بتـــــــرا : إن الذى يغضبنى منك أنك لم تكن شريفًا حيال أبى، لقد كنت تتحدث معه كأنما الحق والمصلحة العامـة كانا يملیان علیك الحدیث. لقد استغفلته واسـتغفلتنى أيضًا، لست أنت الرجل الذى صوَّرته لأعيُننا. مـن أجل هذا لن أغفر لك ولن أعفو، محال.

هوفستـــاد : لا يحسن بك أن تكلمينى بهذه الشدة يا مـــس بتـــرا، ولاسيما الآن.

بتـــــــرا : ولماذا لا يجمل الكلام الان، بالذات؟!

هوفستـــاد : لأن أباك لا يستطيع أن يعمل عملاً بغير مساعدتى.

بتـــــــرا : **(تنظر إليه من فرعه إلى قدمه)** أأنت من هذا الـــصنف من الناس؟ يا للعار!

هوفستـــاد : كلا. كلا، لست كذلك. لقد أُخِذت على حـــين فجـــأة، صدقينى.

بتـــــــرا : إنى أعرف أى شىء أصدق، سلام عليك.

أسلاكســـن : **(يأتى من غرفة المطبعة مسرعـــاً وعليه سيما الدهشة)** ياللعنة يا هوفستاد. **(يرى بتـــرا)** أوه! هـــذا شـــىء محرج.

بتـــــــرا : هذا هو الكتاب، أعطه لإنسان سواى. **(تذهب صوب الباب)**.

هوفستـــاد : **(يتبعها)** ولكن يا مس ستوكمان.

بتـــــــرا : الوداع. **(تخرج)**.

أسلاكســـن : اسمع يا مستر هوفستاد.

هوفستـــاد : طيب. طيب، ما وراءك؟

أسلاكسن : العمدة فى غرفة المطبعة.

هوفستاد : العمدة!؟ تقول؟

أسلاكسن : نعم إنه يريد أن يتحادث معك. أتى من الباب الخلفى لم يرد أن يراه أحد. أتفهم؟

هوفستاد : ترى ماذا يريد؟ تمهل، سأذهب أنا بنفسى. (يذهب إلى باب غرفة المطبعة. يفتحه وينحنى ويدعو بيتر ستوكمان إلى الدخول) خذ بالك يا أسلاكسن، لا يدخل علينا أحد.

أسلاكسن : معلوم، معلوم. (يخرج داخلاً غرفة المطبعة).

بيتر : لم تكن تنتظر أن ترانى هنا يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : أُقرُّ بذلك فعلاً.

بيتر : (ينظر إلى ما حوله) أنت مستكن هنا،محل لطيف جدا.

هوفستاد : أوه...

بيتر : وها أنا ذا قد أتيت بغير استئذان أستنفدُ وقتك !

هوفستاد : إنى فى خدمتك على كل حال يا حضرة العمدة، ولكن دعنى أخفف عنك هذه. (يأخذ قبعة بيتر وعصاه ويضعهما على كرسى) ألا تتفضل بالجلوس؟

بيتر : (يجلس بجوار المكتب) شكرا. (يجلس هوفستاد) لقد حدث لى ما ضايقنى اليوم مضايقة شديدة يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقا؟ آه، أظن أنه مع الأعمال الكثيرة التى تنظر فيها...

بيتر : إن المفتش الصحى الموكّل بالحمامات هو سبب ما حصل اليوم.

هوفستاد : حقا؟ الدكتور!؟

بيتر : كتب للجنة الحمامات شبه تقرير فى موضوع بعض عيوب زعم وجودها فى الحمامات.

هوفستاد : كتب فعلاً؟

بيتر : نعم، ألم يخبرك؟ أظن أنه قال لى...

هوفستاد : آه، نعم، أجل، ذكر لى شيئًا بشأن...

أسلاكسن : (آتيـًا من غرفة المطبعة) أوه، أريد المسودة.

هوفستاد : (بغضب) إحم، هاهى ذى على المكتب.

أسلاكسن : (يأخذها) حسن.

بيتر : تمهل قليلاً، هذا هو الشيء الذى كنت أتكلم فيه.

أسلاكسن : نعم، هذه مقالة الدكتور يا حضرة العمدة.

هوفستاد : أوه، أهذا ما كنت تتكلم عنه؟

بيتر : نعم، هو بعينه. ما رأيك فيه؟

هوفستاد : أنا بالطبع رجل عادى، ولم أطّلع على المقالة إلا مرورًا.

بيتر : ولكنك ستنشر المقالة.

هوفستاد : لا أستطيع بسهولة أن آبى على رجل فاضل..

أسلاكسن : ليست رياسة تحرير الجريدة من اختصاصى يا حضرة العمدة.

بيتر : مفهوم.

أسلاكسن : إنى إنما أطبع ما يُعطى إلىَّ.

بيتر : معلوم.

أسلاكسن : وعليه فيجب علىَّ... **(يذهب نحو غرفة المطبعة)**.

بيتر : لا ، بل تمهل قليلاً يا مستر أسلاكسن. أتسمح لى يا مستر هوفستاد؟

هوفستاد : كما تشاء يا حضرة العمدة.

بيتر : أنت يا مستر أسلاكسن رجل عاقل وبصير.

أسلاكسن : يزهينى أن ترى ذلك يا سيدى.

بيتر : وفضلاً عن ذلك فأنت رجل ذو سلطة عظيمة جدا.

أسلاكسن : وبخاصة بين صغار أهل الحرف يا سيدى.

بيتر : إن صغار دافعى الضرائب هم الغالبية هنا كما فى كل مكان آخر.

أسلاكسن : هذا صحيح.

بيتر : ولا شك عندى فى أنك أعرف الناس بميولهم. ألست كذلك؟

أسلاكسن : نعم، كذلك. أظن أنى أستطيع القول إنى أعرف يا حضرة العمدة.

بيتر : أجل، وعليه فإنه إذ يوجد بين المواطنين الذين هم أقل ثروة من إخوانهم فى البلدة روح تضحية محمودة كما أرى فإنى...

أسلاكسن : كيف هذا؟

هوفستاد : روح تضحية؟

بيتر : هذا برهان عظيم على وجود شعور وطنى عام، برهان يدعو إلى الزهو والتفاخر، بل أكاد أقول إنى لم أكن أنتظره، بيد أنكم أعرف بالرأى العام منى.

أسلاكسن : ولكن يا حضرة العمدة...

بيتر : الواقع أن الأمر سيقتضى من البلدة تضحية ليست صغيرة.

هوفستـــاد : البلدة؟

أسلاكســـن : إنى لا أفهم، أهو موضوع الحمامات؟

بـيــتـــر : بالتقدير الإجمالى وُجِد أن التغييـــرات التـــى يقـــول الدكتور بضرورة إجرائها تقتضى حـــوالى عـــشرين ألف جنيه.

أسلاكســـن : هذا مبلغ كبير، ولكن...

بـيــتـــر : سيكون من الضرورى بالطبع أن نعقد سُلفة بلدية.

هوفستـــاد : (ناهضـــاً) لست تعنى بالطبع أن البلدة ستدفع...

أسلاكســـن : أتقصد أن هذه السُّلفة لا بد أن تؤخـــذ مـــن أمـــوال البلدية، من جيوبنا الخاليـــة نحـــن صـــغار أربـــاب الحِرف؟

بـيــتـــر : يعنى يا عزيزى مستر أسلاكـــسن، مـــن أيـــن إذن نحصل على المال؟

أسلاكســـن : السادة الذين يملكون الحمامات يجب أن يقدموا المال اللازم.

بـيــتـــر : أصحاب الحمامات ليسوا على استعداد للقيام بنفقـــات أخرى.

أسلاكســـن : أهذا صحيح لا شك فيه يا حضرة العمدة؟

بيتر : لقد ثبت لى أن الواقع كذلك، فإذا أرادت البلدة هذه الإصلاحات الواسعة فلابد لها من دفع قيمتها.

اسلاكسن : ولكن، الله يلعن هذه الحكاية. أرجوك المعذرة، هذا موضوع آخر يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقيقة؟

بيتر : بل أنكى شيء فى الأمر أننا سنضطر مع ذلك أن نقفل الحمامات مدة سنتين كاملتين.

هوفستاد : نقفلها؟ نقفلها بتاتا؟

أسلاكسن : سنتين؟

بيتر : نعم، إن العمل اللازم يتطلب كل هذه المدة على الأقل.

سلاكسن : لعنت، إن كنا نستطيع أن نتحمل هذا يا حضرة العمدة. على أى شيء نعيش إذن نحن أصحاب المنازل فى هذه الأثناء؟

بيتر من سوء الحظ أن هذا سؤال يصعب الجواب عليه جدا يا مستر أسلاكسن. ولكن ماذا نعمل نحن؟ أتظن أننا سنملك أن نرى وجه سائح واحد فى البلدة إذا أخذنا نذيع أن الماء عندنا ملوث وأننا عائشون على بؤرة طاعون، وأن البلدة من أولها إلى آخرها...

أسلاكسن : مع أن الحكاية كلها وهم فى وهم.

بيتر : مع منتهى حسن الظن لم أستطع أن أستنتج غير هذه النتيجة.

أسلاكسن : إذن فيجب أن أقول إنه ما كان يليق مطلقا بالدكتور ستوكمان... أرجو منك المعذرة يا حضرة العمدة.

بيتر : إن ما تقوله حق يؤسف له يا مستر أسلاكسن، لقد كان أخى لسوء الحظ رجلاً عنيدًا دائمًا.

أسلاكسن : وبعد هذا تريد أن تنصره يا مستر هوفستاد!؟

هوفستاد : أيخطر فى بالك لحظة أننى...؟

بيتر : لقد وضعت خلاصة مختصرة عن الحالة كما تلوح لعينىْ رجل عاقل. فى هذه الخلاصة بينت كيف يمكن معالجة بعض ما يحتمل وجوده من العيوب من غير أن نوقع لجنة الحمامات فى الإفلاس.

هوفستاد : أهى معك يا حضرة العمدة؟

بيتر : (يعبث بجيبه) نعم، أحضرتها معى عسى أن نرى...

أسلاكسن : يا إلهى، هذا هو.

بيتر : من؟ أخى؟

هوفستاد : أين؟ أين؟

هوفستـــاد : نعم ولكن يا دكتور...

الدكتـــور : إنى أعرف ماذا تقصد أن تقول، أنـــت لا تـــرى أن عملى هذا كان أكثر مما يتطلبـــه واجبـــى، واجبـــى كوطنى طبعًا لم يكن كذلك، إنى أعرف هـــذا كمـــا تعرفه أنت، ولكن إخوانى فى الوطنية، أنت تعـــرف ذلك. يا إلهى، فكِّر فى كل تلك الأرواح التى تُحـــسن الظن بى!

أسلاكســـن : نعم، لقد كانوا حتى اليوم يُحسنون بك الظن يا دكتور.

الدكتـــور : وهذا الذى من أجله أخشى أنهم... هذه هى المسألة. إذا بلغت مقالتى إليهم ولاسيما الطبقات الفقيرة مـــنهم ورنَّ فى آذانهم رنين الدعوة إلى تولىِّ مصالح البلدة بأيديهم من الآن فصاعدًا...

هوفستـــاد : (ناهضـــًا) إحم، دكتور، لا أُخفى عنك أن...

الدكتـــور : آه، لقد عرفت أن فى الجو شيئًا، ولكنى لـــن أسـمع عنه شيئًا، إذا كان فى النية ترويج شىء مـــن هـــذا القبيل.

هوفستـــاد : من قبيل ماذا؟

الدكتـــور : أى شىء، سواء كان مظاهرة تكريم لى أو دعـوة أو اكتتاب بشىء يقدم إلىَّ، أو أى شىء آخر، فلابد لـك أن تعدنى وعد صدق وشرف أن توقفه. وأنت أيضًا يا مستر أسلاكسن، فاهم؟

هوفستـاد : عفوك يا دكتور، فإنه يجب علينا أن نخبرك بحقيقـة الحالة قريبًا أو بعيدًا...

(يوقفه عن الاسترسال فى الكلام دخول مسز ستوكمان وهى تدخل من باب الشارع).

كاتـــرين : **(وقد رأت زوجها)** كما قدَّرت بالضبط.

هوفستـاد : **(ذاهب نحوها)** وأنت أيضًا يا مسز ستوكمان.

الدكتـــور : أى شىء تريدين هنا يا كاترين؟

كاتـــرين : أعتقد أنك تعرف لماذا أتيت هنا.

هوفستـاد : ألا تجلسين؟ أو ربما كنت...

كاتـــرين : شكرًا لك. لا، لا تشغل بى. ولايسوءك مجيئى لأخذ زوجى. إنى أم لثلاثة كما تعرف.

الدكتـــور : كلام فارغ، نحن نعرف ذلك.

كاتـــرين : لن يذكر لك أحد اليوم فضل التفكير فـى زوجتـك وأولادك، لو كنت تهتم بنا لما ألقيت بنا اليوم جميعًـا فى الشقاء.

الدكتـــــور : أجُننتِ يا كاترين؟ أإذا كان الرجل ذا زوجة وأولاد لا يُسمح له أن يجهر بالحق؟ ألا يُسمح لــه أن يكــون وطنيا ناشطا فى خدمة الوطن؟ ألا يُسمح له أن يؤدى خدمة واجبة لوطنه؟

كاتـــــرين : إذا أردت الحق، لا يُسمح له.

أسلاكســـن : هذا على حد ما أقول، الاعتدال فى كل شىء.

كاتـــــرين : وهذا الذى من أجله تسىء إلينا يا مستر هوفــستاد إذ تغرر بزوجى، تخرجه من بيته وتجعل منه ألعوبة.

هوفستـــاد : أؤكد لكِ أنى لا أغرر بأحد.

الدكتـــــور : يجعل منى ألعوبة؟ أتظنين أنى أنا ممن يُغرر بهم؟

كاتـــــرين : أنت كذلك فعلا، إنى واثقة أن فى دماغك عقلا أكبــر من كل من فى البلد، ولكنــك ســهل الانخــداع يــا توماس. **(إلى هوفستاد)** أرجو أن تتذكر أنه يُفــصل من وظيفته فى إدارة الحمامات إذا أنت نــشرت لــه مقالته.

أسلاكســـن : ماذا؟

هوفستـــاد : استمع لى يا دكتور...

الدكتـــــور : (ضاحكـــاً) ها، ها. فلنر، فلنر. كـــلا، كـــلا، إنهـــم يحرصون علـــى أن لا يفعلـــوا هـــذا، إن الأغلبيـــة الساحقة فى جانبى، تذكرى ذلك!

كاتـــــرين : نعم هذا أقبح ما فى الأمر فعلاً، أن يكون فى جانبك هذا الشىء الشنيع.

الدكتـــــور : كلام فارغ، اذهبى إلى بيتك وانظرى فـــى شـــئونه ودعينى أرعَ مصلحة المجتمع. كيف تخشين كل هذه الخشية؟ وأنا مطمئن وسعيد؟ **(يتمشى ويفرك كفَّيـــه)** تأكدى أن الحق والشعب أغلـــب، وأكـــاد أرى ذوى العقول الكبيرة من أهل الطبقـــة الوســـطى يمـــشون كالجيش المنتصر. **(يقف بجانب الكرسى)** وى، مـــا هذا الذى على الكرسى؟

أسلاكســـن : يا إلهى!

هوفستـــاد : **(يتنحنح)** إحم.

الدكتـــــور : هنا أعلى شارات المجد والسلطة. **(يأخذ قبعة العمدة الرسمية بين أطـــراف أصـــابعه بلطـــف ويرفعهـــا فى الهواء)**.

كاتـــــرين : قبعة العمدة!

الدكتــــور : وهذى عصا الإدارة أيضًا، خبِّرونى بحق كل عجيب فى هذه الدنيا...

هوفستـــاد : أنت ترى...

الدكتــــور : أوه، إنى فاهم. لقد أتى يحاول بالكلام أن يجعلكم فى جانبه. ها، ها، أراه أخطأ فى هذا، وعندما لمحتنــى عينه فى غرفة المطبعة **(ينفجر ضاحكًا)** لاذ بالفرار. أليس كذلك يا أسلاكسن؟

أسلاكســن : **(بسرعة)** نعم لاذ بالفرار يا دكتور.

الدكتــــور : لاذ بالفرار من غير عصاه، ليس بيتر بالرجل الــذى يهرب ويترك بضاعته وراءه. ولكن خبِّرونى مــاذا فعلتم به؟ آه، هو هنا بالطبع، سترَيْن الآن يا كاترين.

كاتـــرين : توماس، بالله لا تفعل.

أسلاكســن : لا تتهور يا دكتور.

(يضع الدكتور قبعة العمدة ويأخذ عــصاه فى يده، يذهب بهذه الصورة إلى الباب يفتحه ويقف ويده إلى قبعته مسلــِّما، يدخل بيتر ستوكمان محمرَّ الوجه غضبًا، يتبعه بيلنج).

بـيـتــر : ما معنى هذه الأعمال الجنونية؟

الدكتـــــور : كن عند حد الاحترام يا سيد بيتر، إنى صاحب أعلى سلطة فى البلدة الآن. (يتمشى ذهابًا وجيئة).

كاتـــــرين : (وهى تكاد تبكى) حقًا يا توماس.

بـيـتـــــر : (يسير وراءه فى الغرفة) أعطنى قبعتى وعصاى.

الدكتـــــور : (بنفس اللهجة كما سبق) إذا كنت حكمدار البلدة فأنا العمدة، أنا حاكم البلدة جميعها افهم من فضلك.

بـيـتـــــر : انزع عنك قبعتى، أقول لك، تذكر أنها مــن اللِّبــاس الرسمى.

الدكتـــــور : هو، أتظن أن الشعب المتنمر الذى اســتيقظ حــديثًا تذعره قبعة رسمية؟ سيكون فى البلدة ثورة فى الغد. أقول لك، لقد ظننت أنك تستطيع أن تفصلنى، ولكــن أنا الذى سأفصلك، أفصلك من كل وظائفــك. أتظــن أننى لا أستطيع؟ أصغ إلىَّ، إنَّ ورائى قوى اجتماعية قاهرة، هوفستاد وبيلنج سيطلقان الرعد من جريدتهما وأسلاكسن سينزل الميدان على رأس جميــع أفــراد جمعية المُلاَّك.

أسلاكســـن : إنى لا أفعل ذلك يا دكتور.

الدكتـــــور : بل إنك لفاعل.

بيتر : هل لى أن أسأل مستر هوفستاد إذن، أفى نيته أن يكون له يد فى هذا التهييج؟

هوفستاد : لا يا حضرة العمدة.

أسلاكسن : لا، ليس مستر هوفستاد أحمق حتى يعمل على خراب جريدته ونفسه من أجل شكوى موهومة.

الدكتور : **(متلفتًا فيما حوله)** ما معنى كل هذا؟

هوفستاد : : لقد عرضت موضوعك فى أنوار كاذبة يا دكتور، ولذلك لا يسعنى أن أكون معك.

بيلنج : وبعدما تفضّل به الآن حضرة العمدة من البيان لا أرانى...

الدكتور : أنوار كاذبة؟ دع هذا الجانب من الموضوع لى. ما عليك إلا أن تنشر المقال، إنى قادر تمام القدرة على الدفاع عنه.

هوفستاد : إنى لا أنشره. أنا لا أستطيع ولا أريد، بل ولا أجرؤ أن أنشره.

الدكتور : لا تجرؤ؟ ما هذا الهراء؟ أنت رئيس التحرير ورئيس التحرير هو المتصرِّف فى الجريدة.

أسلاكسن : لا يا دكتور، إن الذى يتولى الجريدة ويتصرف فيها هم المشتركون.

بيتر : نعم لحسن الحظ.

أسلاكسن : إنه هو الرأى العام، الجمهور المستنير، أصحاب المنازل ومن على شاكلتهم من الناس. إنهم هم الذين يتولون الإشراف على الجرائد.

الدكتور : **(برباطة جأش)** وكل هذه القوى والعوامل ضدى؟

أسلاكسن : نعم ضدك، وأرى نشر مقالتك مؤديًا حتمًا إلى خراب المجتمع.

الدكتور : صحيح!

بيتر : قبعتى وعصاى من فضلك **(ينزع الدكتور القبعة ويضعها على المكتب مع العصا، فيأخذها بيتر ستوكمان)** لقد ماتت سلطتك عمدة قبل أوانها.

الدكتور : نحن لم نصل إلى النهاية بعد **(إلى هوفستاد)** إذن فإنه من المستحيل عليك بتاتًا أن تنشر مقالتى فى جريدة «رسول الشعب».

هوفستاد : مستحيل بتاتًا، رعايةً لعائلتك أيضًا.

كاتريـن : لا تشغل نفسك بأمر عائلة الدكتور، شكرًا لك يا مستر هوفستاد.

بيتر : (يُخرج ورقة من جيبه) إذا نشرت هذا كان كافيًا في إفادة الجمهور بالواقع، إنه بلاغ رسمى. أتسمح؟

هوفستاد : (آخذًا الورقة) فعلاً، سأنشرها بكل تأكيد.

الدكتور : أما مقالتى فلا... أتظن أنك تستطيع إخماد صوتى وخنق الحق، ستجد أن الأمر ليس من السهولة بالدرجة التى تظن. مستر أسلاكسن، من فضلك خذ مسودة مقالتى من فورك واطبعها على شكل رسالة على حسابى. أريد أربعمائة نسخة منها، بل خمسمائة نسخة.

أسلاكسن : لو عرضت علىَّ وزنها ذهبًا ما أعرت مطبعتى لطبع شىء من هذا القبيل، ولن تجد أحدًا فى البلدة يطبعها لك.

الدكتور : إذن فأعدها إلىَّ.

هوفستاد : (يعطيه المقالة) هاهى ذى.

الدكتور : (آخذًا قبعته وعصاه) سينشر أمرها على الجمهور على كل حال، سأتلوها بنفسى على جمع حاشد من

أهل البلد، ويسمع إخوانى المواطنون إذ ذاك صـــوت الحق.

بـيـتــــر : لن تجد فى البلدة هيئة عامة تسمح لـــك باســتعمال دارها لمثل هذا الغرض.

أسلاكســن : ولا واحدة، إنى واثق من ذلك.

بيـلنـــج : لا، ملعون أنا إن وجدت واحدة.

كاتـــرين : ولكن هذا منتهى العار. لماذا ينقلب عليك كل واحــد منهم هكذا؟

الدكتـــور : **(بغضب)** سأخبرك السبب، هو لأن كل رجل فى هذه البلدة امرأة عجوز مثلك. كلهم لا يفكــرون إلا فـــى عائلاتهم، أما المجتمع فلا.

كاتـــرين : **(تضع ذراعه فى ذراعها)** إذن فسأريهم أن... أن امرأة عجوزًا تقدر أن تكون رجلاً مرة. أنا ســأكون فـــى جانبك يا توماس.

الدكتـــور : مرحى لكاترين كلام شجعان، سأعلن الحــق للنــاس وشرفى... إذا أنا لـــم أســتطع أن أســتأجر صـــالة فسأستأجر طبلة وأمشى أدق عليها فى جميع أنحـــاء المدينة، وأقرأها فى جميع مفترقات الشوارع.

بيتر : لست من شدة الحمق والجنون بهذه الدرجة!

الدكتور : بل أنا كذلك.

أسلاكسن : لن تجد فى المدينة رجلاً واحدًا يسير معك.

بيلنج : كلا... ملعون أنا إن وجدت رجلاً واحدًا.

كاترين : لا تقنط، سأكلف الأولاد المسير معك.

الدكتور : هذه فكرة سامية!

كاترين : سيفرح مورتن بهذا، وسيعمل إيليف ما يعمل.

الدكتور : نعم، وبترا! وأنت أيضا يا كاترين.

كاترين : لا، لا أفعل هذا، ولكنى سأقف فى النافذة أراقبكم. هذا ما سأفعل.

الدكتور : **(يضع ذراعه حولها ويقبِّلها)** شكرًا لك يا عزيزتى، الآن سنتصارع أنا وأنتم أيها السادة، وسأرى هل تستطيع ثلة من الجبناء أن يكمموا وطنيًا يريد أن يطهِّر الوطن! **(يخرج هو وزوجته من باب الشارع).**

بيتر : **(يهز رأسه بجد)** هاهو ذا قد جنَّن المرأة أيضًا.

«انتهى الفصل الثالث»

الفصل الرابع



المنظر:

غرفة فسيحة قديمة الطراز فى منزل القبطان هورستر ويُرى فى المؤخرة باب (إنجليزى) ذو مصاريع هى إذ ذاك مطوية، ويرى من ورائها وصيد غرفة أولية. فى الحائط الأيسر ثلاث نوافذ، وفى وسط الحائط المقابل الأيمن نصبت منصة، وعلى المنصة منضد صغير عليه شمعدان وزجاجة ماء وكوب وجرس صغير، والغرفة مضاءة بمصابيح موضوعة بين النوافذ وفى مقدمة المسرح (خشبة المسرح) إلى اليسار منضد وشموع وكرسى، وفى اليمين يوجد باب وعدة من كراسى صفت بجواره، والغرفة مملوءة تقريبا بجمهور من أهل البلدة مختلف الأصناف، بينهم بضع نسوة وتلاميذ مدارس، وإذا أزيح الستار يكون بعض الجمهور آتيًا من الخلف، ولا تلبث الغرفة أن تمتلئ.

مواطن أول : (مقابلا غيره) هالو ! لا مستاد ! أنت أيضا هنا؟

مواطن ثان : إنى أحضر كل اجتماع عام، نعم، أحضر.

مواطن ثالث : أحضرت معك صفارتك أيضا، على ما أظن!

مواطن ثان : أظن ذلك، أو لم تحضر صفارتك أنت؟

مواطن ثالث : بلى، وقد قال أيفنسن العجوز إنه عازم على أن يجيء معه بقرن ثور. أجل قال.

مواطن ثان : أيفنسن العجوز الصالح؟ **(ضحك بين الجمهور)**.

مواطن رابع : **(يأتي إليهم)** يا أصحابي، خبروني ماذا يجري هنا الليلة.

مواطن ثان : سيلقي الدكتور ستوكمان خطبة يحمل فيها على العمدة.

مواطن رابع : ولكن العمدة أخوه!

مواطن أول : هذا لا يهم ، ليس الدكتور ستوكمان بالرجل الذي يهاب.

مواطن ثالث : ولكنه على باطل، قيل كذلك في «رسول الشعب».

مواطن ثان : نعم، أقدر أنه لا بد أن يكون هذه المرة مخطئا، فلا جمعية أصحاب المساكن ولا نادي المواطنين قبل أن يعيره بهوه ليعقد فيه اجتماعه.

المواطن الأول : بل ولم يستطع أن يستعير البهو الذي في الحمامات.

المواطن الثاني : لا، محال.

رجـــــل : **(فى جهة أخرى من الجمع)** ترى فى أى جانب نكون؟

رجل آخـــر : **(فى جانبه)** راقب أسلاكسن وافعل كما يفعل.

بيـلـنــــج : **(يفسح طريقه فى الجمهور ومعه تحت ذراعـــه عـــدة الكتابة)** معذرة يا سادة، أتسمحون لى بالمرور؟ إنى مكاتب جريدة رسول الشعب. أشكركم شكرا جزيلا. **(يجلس إلى المنضد الموضوع إلى اليسار).**

أحد العمال : من كان هذا؟

عـــامل ثان : ألا تعرفه؟ هذا بيلـــنج الـــذى يحــــرر فـــى جريـــدة أسلاكسن. **(يأتى هورستر ومعه كاترين وبتـــرا مـــن الباب الذى إلى اليمين ويتبعهم إيليف ومورتن).**

هورستـــر : رأيت أن تجلسوا هنا جميعــا، فـــى اســـتطاعتكم أن تنسلوا من هنا بسهولة إذا احتدم الأمر.

كاتــــرين : أتظن أن سيحدث شجار؟

هورستـــر : من يدرى؟ فى مثل هذا الجمهور، ولكن اجلـــسى لا يساورك قلق.

كاتــــرين : **(جالسة)** لقد كان فضلا منك عظيما أن تعير زوجى هذه الغرفة.

هورستـــر : إذ لم يسمح أحد أن يعيره مكانا...

بتـــــــرا : (وقد جلست بجوار والدها) ولقد كان من الشجاعة ما فعلت يا قبطان هورستر.

هورستـــر : ليس الأمر من العظم عند هذا. (يـــدخل هوفـــستاد وأسلاكسن مخترقين الجمهور).

أسلاكســن : (ذاهبًا إلى هورستر) ألم يأت الدكتور بعد؟

هورستـــر : إنه في الغرفة المجاورة ينتظر. (حركة فى الجمهـــور عند الباب الذى فى الخلف).

هوفستـــاد : انظروا، لقد حضر العمدة.

بيـــلنـــج : نعم، لعنت إن هو لم يأت على كل حال!

(يخترق بيتر ستوكمان الجمهور وينحنى تجلة، ويجلس بالقرب من الحائط الأيسر، وبعد ذلك بقليل يأتى الدكتور ستوكمان من الباب الأيمن، وهو مرتـــد ثياب السهرة السوداء «الفراك» ورباط رقبته أبيض، يصفق بعض الناس تصفيقا ضعيفا يخفته على الفـــور صوت «هس» ويتم السكوت).

الدكتـــور : (بصوت منخفض) كيف حالكِ يا كاترين؟

كاتـــرين : أنا بخير، شكرا لك. (تخفض صوتها) املك عواطفـــك يا توماس.

الدكتـــــور : إنى أعرف كيف أضبط نفسى. **(ينظـــر إلى ســـاعته ويرتقى المنصة وينحنى تحية للجمهور)** لقـــد تجاوزنـــا الموعد بربع ساعة فلأبتدئ. **(يستخرج صورة الخطبة من يده).**

أسلاكســـن : أظن أنه يجدر بنا أولاً أن نختار رئيسا للاجتماع.

الدكتـــــور : لا، ليس هذا ضروريا جدا.

بعض الجمع : بلى. بلى.

بـــيـــتـــــر : أعتقد، فى الواقع، أنه يجـــدر أن يكـــون للاجتمـــاع رئيس ليدير المناقشات.

الدكتـــــور : ولكنى إنما دعوت إلى هذا الاجتماع لألقى محاضرة يا بيتر.

بـــيـــتـــــر : قد تؤدى محاضرة الدكتور ستوكمان إلـــى اخـــتلاف كبير فى الرأى.

أصوات من بين الجمهور: رئيس! رئيس!

هوفستـــاد : الظاهر أن الرغبة العامة تقول باختيار رئيس.

الدكتـــــور : **(كابحا نفسه)** حسن! ليكن للحاضرين ما شاءوا.

أسلاكســـن : أيتفضل حضرة العمدة بقبول هذه المهمة؟

بيتر : لأسباب شتى ستدركونها بلا عناء ألتمس منكم إعفائى. بيد أن بيننا اليوم لحسن الحظ رجلاً أعتقد أنكم تقبلون رياسته. أعنى به رئيس جماعة أرباب المساكن، السيد أسلاكسن.

(أصوات عدة) نعم. أسلاكسن. مرحى لأسلاكسن.

(يتناول الدكتور ستوكمان المسودة ويسير ذهابا وجيئة على منصته).

أسلاكسن : لا يسعنى الرفض وقد رأى إخوانى المواطنون أن يعهدوا إلىَّ هذه المهمة.

(تصفيق شديد. يعتلى أسلاكسن المنصة).

بيلنج : **(وهو يكتب)** وقد انتخب أسلاكسن لرياسة الاجتماع بتحمس عظيم.

أسلاكسن : والآن إذ أنا فى هذا المقام أريد أن أقول بضع كلمات موجزة. إنى رجل هادئ مسالم، أومن بفضل الاعتدال الحكيم و... و... وبالحكمة المعتدلة، ويشهد جميع أصدقائى بذلك.

أصوات شتى : نعم. نعم، يا أسلاكسن.

أسلاكسن : لقد تعلمت فى مدرسة الحياة و التجاريب أن الاعتدال أعلى فضيلة يتحلى بها المواطن.

بيتر : بخ. بخ.

أسلاكسن : وفضلا عن هذا فإن الحكمة والاعتدال هما اللذان يساعدان الرجل على أن يكون أشد صلاحية لخدمة المجتمع. ولذلك أنصح لحضرة مواطننا المحترم الذى دعا إلى هذا الاجتماع أن يبذل جهده حتى لا يخرج عن حدود الاعتدال.

رجل : (بجوار الباب) اهتفوا ثلاثا لجمعية الاعتدال.

صوت : اخرس!

عدة أصوات : س. س.

أسلاكسن : لا تقاطعوا يا سادة من فضلكم. هل يريد أحدكم أن يتقدم بملاحظات؟

بيتر : يا حضرة الرئيس.

أسلاكسن : العمدة يلقى كلمة.

بيتر : كنت أحب، نظرا إلى علاقة القربى الشديدة التى بينى، كما تعلمون جميعا، وبين مفتش صحة الحمامات الحالى، أن لا أتكلم هذه العشية. ولكن

مركزى الرسمى فيما يختص بالحمامات، وعنـــايتى بالمصالح الحيوية التى للبلدة، تلزمنى أن أقدم اقتراحا بقرار. إنى لأجرؤ على الظن أنـــه لا يوجـــد بـــين مواطنينا الحاضرين هنا، من يرى من المستحسن أن تذاع بيانات غير موثوق بها، بل مبالغ فيهـــا، عـــن الحالة الصحية فى الحمامات وفى البلدة.

عدة أصوات : كلا. كلا، بالتأكيد كلا. نحتج على ذلك.

بـيـتـــــر : لذلك أريد أن أقترح ألا تـــسمح الهيئـــة المجتمعـــة للمفتش الصحى بقراءة محاضرته التى نواها، أو أن يعلق عليها.

الدكتـــــور : **(بغضب)** لا تسمح!؟ أى شيطان...؟

كاتـــــرين : **(ساعلة)** إحم. إحم.

الدكتـــــور : **(ضابطا نفسه)** حسن، استرسل.

بـيـتـــــر : فى بلاغى الذى أرسلته إلى رسول الشعب، أوضحت للشعب الحقائق الجوهرية، بحيث يسهل علـــى كـــل عاقل أن يكوِّن لنفسه منها رأيًا. منها يتضح لكـــم أن اقتراحات المفتش الصحى تتلخص – بصرف النظر عن تضمنها اقتراحا بتأنيب ذوى الأمر فى البلـــدة – فى أنه يريد أن يحمِّل من يـــدفعون فيهـــا ضـــرائب

مقدار نفقة غير ضرورية تبلغ على الأقل عدة ألوف من الجنيهات.

(أصوات استنكار من بين الحاضرين، وبعض أصوات موائية كالهررة).

أسلاكسن : (يدق جرسه) سكوتًا، من فضلكم أيها السادة. إنى ألتمس أن أزكى اقتراح العمدة. إنى على تمام الاتفاق معه على أن هناك شيئا وراء هذه الدعاية التى بدأها الدكتور. إنه يتكلم عن الحمامات، ولكن الواقع أنه يريد ثورة، يريد أن يضع مقاليد إدارة البلدة فى أيدٍ أخرى. لا يشك أحد فى خلوص مقاصد الدكتور من رغبة الأذى - فلا يمكن أن يكون بين الناس اثنان يقولان بذلك - إنى أنا نفسى ممن يقولون بضرورة الحكم الذاتى للشعب، بشرط أن لا يكون فيه إرهاق لمن يدفعون الضرائب، بيد أن هذا ما يراد بنا اليوم. وهذا الذى من أجله أود أن تسقط اللعنة على رأس الدكتور ستوكمان - أستميحكم عذرًا - قبل أن أسايره فى الأمر. قد يدفع الإنسان فى الشىء ثمنا فادحا فى بعض الأحيان، هذا رأيى.

(تصفيق عال من جميع النواحى)

هوفستـــاد : أنا أيضا أشعر أن من واجبى أن أشرح موقفى. لقـد لاحت الحركة التى قام بها الدكتور ستوكمان فى أول الأمر كأنما يشايعها بعـض المناصـرين، ولـذلك ناصرتها بلا أقل تحيز، أما اليوم فقد لاح لنـا مـن الأسباب ما حملنا على توجس أننا سمحنا لأنفسنا أن تضل بتلبيس حقائق الواقع.

الدكتـــور : تلبيس...!؟

هوفستـــاد : إذن فلنقل بتمثيل الحقـائق فـى صـورة لا يوثـق بصحتها تمام الثقة، ولقد أثبت لنا ذلك بلاغ العمـدة. إنى لأرجو ألا يكون فى الجمع من يخامره الشك فى مبادئى الحرة، فإن خطة «رسول الـشعب» حيـال المسائل السياسية الخطيرة معروفة لكل إنسان. ولكن نصيحة الرجال أولى الخبرة والبصيرة قد دلتنى على أنه يجب فى المسائل المحليـة البحتـة ألا تخطـو الجريدة خطوة إلا بالحذر.

أسلاكسـن : إنى أوافق الخطيب تمام الموافقة.

هوفستـــاد : ومما لا شك فيه أن الرأى العام فى المـسألة التـى أمامنا ضد الدكتور ستوكمان. والآن مـا هـو أول

واجب على الصحفى أيها السادة؟ أليس هو أن يعمل وفاق قرائه؟ ألم يعطوه نوعا من التوكيل الضمنى ليعمل بالمثابرة والجد فى سبيل مصلحة من يعبر عن آرائهم؟ أم يمكن أن أكون مخطئا فى هذا؟

أصوات : لا. لا، إنك على تمام الحق.

هوفستاد : لقد قاسيت عراكا نفسيا كبيرا لا ضطرارى أن أخرج على رجل كنت فى بيته منذ عهد قريب ضيفا كثير التردد عليه، رجل كان من حقه حتى اليوم أن يفخر بحسن رأى مواطنيه فيه، رجل عيبه الوحيد، أو على كل حال، عيبه الجوهرى أنه مطواع لقلبه لا لعقله.

بعض أصوات مبعثرة : هذا صحيح، مرحى يا ستوكمان.

هوفستاد : ولكن واجب المجتمع علىَّ ألزمنى أن أخرج عليه. وهناك اعتبار آخر يدفعنى إلى مناهضته، وإلى منعه بقدر الإمكان عن السير فى الطريق الخطر الذى اختطه لنفسه، ألا وهذا الاعتبار هو عائلته.

الدكتور : الزم من فضلك موضوع مياه الشرب والصرف!

هوفستـــاد : أكرر القول بأنه اعتبار مصلحة زوجته وأولاده الذين لم يعمل لهم حسابًا.

مـــــورتن : أهو يعنينا يا أمى؟

كاتـــــرين : صه.

أسلاكســـن : سآخذ الأصوات الآن على اقتراح حضرة العمدة.

الدكتـــــور : لا ضرورة إليه، ليس فى عزمى الليلة أن أتناول كل تلك القاذورات المزدحمة فى الحمامات. كـــلا... إن لدى للقول شيئا آخر يختلف عن ذلك كل الاختلاف.

بـــيـــتـــــر : **(لنفسه)** ماذا يقصد يا ترى؟

ســـــكران : **(عند باب الدخول)** أنا أحد دافعى الضرائب، ولذلك لى الحق أن أتكلم أنا أيضا. ورأيى الشامل، الثابـــت غير المفهوم...

عدة أصوات : أقفل فمك أنت يا من عند الباب.

غـــــيرهم : إنه سكران، أخرجوه. **(يخرجونه)**.

الدكتـــــور : أمسموح لى أن أتكلم؟

أسلاكســـن : **(يدق جرسه)** الكلمة للدكتور ستوكمان.

الدكتـــــور : كنت أشتهى لو جرؤ أحد منذ بضعة أيام أن يسكتنى كما حدث الليلة، يومئذ كنت أستطيع أن أدافـــع عـــن

حقوقى المقدسة كإنسان دفاع الأسد. أما الآن فالأمر عندى سواء. لدى شىء أراه أجـدر أن يقـال لكـم جدارة أعظم وأهم. **(يزدحم النـاس صـوبه ويُـرى مورتن كيل ظاهرا بينهم).**

الدكتـــور : **(مستمرا)** لقد فكرت كثيرا وتأملت مليا مدى بـضعة الأيام الماضية، تأملت فى عدة من أمور شتى، حتى رأيت فؤادى فى النهاية قد امتلأ ولم يعد يسع مزيدا.

بـيـتـــر : **(بسعال)** إحم.

الدكتـــور : ولكن راقت أفكارى فى النهاية، وإذ ذاك تبـيَّن لـى الواقع برمته فى جلاء ووضوح، وهذا الذى من أجله ترونني واقفا هنا هذه الليلة. إن لدى وحيًـا عظـيم القدر أطلعكم عليه، إخوانى المواطنين. سأخبركم عن استكشاف أوسع مدى من القول التافـه بأن مـورد مائنا مسموم وأن حماماتنا الاستشفائية قائمـة علـى أرض موبوءة.

عدة أصوات : **(زاعقين)** لا تتكلم عن الحمامات، لا نسمع لك عنهـا شيئا، أقصر عن هذا.

الدكتـــــور : لقد قلت لكم الآن توّا أن ما أريد أن أتكلم عنـــه هـــو الاستكشاف العظـــيم الـــذى اهتـــديت إليـــه قريبـــا، استكشاف أن كل منابع حياتنا الخلقية مـــسمومة، وأن مجتمعنا المدنى برمته قـــائم علـــى أســـاس موبـــوء بالأكاذيب.

أصوات مواطنين : (بدهشة) ماذا يقول؟

بـيـتـــــر : مثل هذا التعريض...

أسلاكســـن : **(ويده على الجرس)** أدعو حضرة الخطيب أن يخفف من لهجته.

الدكتـــــور : لقد أحببت هذا البلد الذى ولدتُ فيه حبَّ الإنسان داره التى قضى فيها أيام صباه، ولم أكن كبير السن يـــوم رحلت عنها. ولقد خلعت الغربة والشوق والـــذكرى عليه وعلى ساكنيه مطرفا آخر من البهاء. **(بعـــض تصفيق واستحسان ضعيف)** وهناك بقيـــت ســـنوات عدة، فى جحر شنيع فى الشمال النائى. فلما اتصلت ببعض الناس الذين يعيشون مبعثرين بين الـــصخور، كنت كثيرا ما أرى خيرا لأولئك المـــساكين الـــذين يعيشون فى شبه مجاعة لو أرســـل إلـــيهم طبيـــب بيطرى بدلا من رجل مثلى. **(تذمر بين الجمع)**.

بيلنج : **(واضعا قلمه)** عليَّ اللعنة إذا كنت قد سمعت...!

هوفستاد : هذه إهانة لجماعة محترمة.

الدكتور : تمهل قليلا، لا أظن أحدًا يتهمني بأني وأنا هناك قد نسيت بلدي، فلقد كنت أشبه شيء بالأوزة الراخمة في عشها، وكان ما أفرخت لكم هو مشروع هذه الحمامات، **(استحسان واحتجاج)** ثم إذ كتب لي القدر عظيم السعادة بالعودة إلى الوطن، أؤكد لكم يا سادة خيل إليَّ أني قد بلغت غاية المنى، فلم يعد لي ما اشتهي، اللهم إلا شيئًا واحدًا، أشتهيه بحمية وهُيام، وبلا ملل، وذلك هو وذلك هو أن أوفق إلى خدمة مسقط رأسي ونفع مواطنيَّ.

بيتر : **(ناظرا إلى السقف)** لقد اخترت لذلك طريقة عجيبة، إحم...

الدكتور : وإذ عميت عيناي عن حقائق الواقع، أغرقت في السعادة. ولكن أمس صباحا – لا، بل للتحقيق – أمس عصرا، تفتحت عيون عقلي تفتحا واسع المدى، وأول شيء أدركته هو عظيم ما انطوى عليه أولو الأمر من البلادة. **(ضجيج وصياح وضحك، وكاترين تسعل باستمرار)**.

بيتر : حضرة الرئيس!

أسلاكسن : (داقا الجرس) بمالى من السلطة...!

الدكتور : إنه لجميل أن تأخذ علىَّ الطريق من أجل كلمة يا مستر أسلاكسن. ليس ما أعنيه سوى أننى تبينت ما لا يكاد يصدقه العقل من خطل القادة الذين يتولون شئون الحمامات وجمودهم، إنى لأمقت من يتولون أمور الناس، لقد تحملت فى حياتى من أمثالهم فوق حد الكفاية. إنهم أشبه بالتيوس المسومة فى حقل حديث الزرع، حيثما سارت أحدثت تلفا. يقفون فى وجه الرجل الحر حيثما يمم، وأقصى أمانى نفسى أن أراهم يبادون كما تباد الهوام السامة الأخرى. (ضجيج).

بيتر : حضرة الرئيس! أنجيز مثل هذا الكلام؟

أسلاكسن : (ويده على الجرس) يا دكتور!

الدكتور : ليس فى استطاعتى أن أدرك كيف أنى لم أتبيَّن إلى الآن حقيقة هؤلاء السادة، على حين أن لدىَّ كل يوم فى هذه البلدة مثلا أىَّ مثل لهم - أخى بيتر - البطىء الإدراك الجامد النفس كالبُهم بتعصبه **(ضحك وضجيج وصياح، وتأخذ كاترين فى السعال بلا انقطاع، ويقرع أسلاكسن جرسه بعنف).**

الرجل السكران : (وقد تسلل ودخل) أعنِّى يتكلم؟ اسمى بيترسون، لا بأس، ولكن ليأخذنى الشيطان إذا...

أصوات مغضبة: أخرجوا هذا السكران، أخرجوه. **(يخرجونه مرة أخرى).**

بيتر : من كان هذا الرجل؟

مواطن أول : لا أدرى من هو يا حضرة العمدة.

مواطن ثان : ليس من أهل البلدة.

مواطن ثالث : أظن أنه بحار من بلدة... **(لا يسمع باقى الكلام).**

أسلاكسن : الظاهر أنه شرب كثيرا من الجعة. استمر يا دكتور، ولكنى أرجو منك أن تعمل على تخفيف لهجة كلامك.

الدكتور : حسن يا سادة، لن أتكلم بعد ذلك شيئا عن قادتنا. وإذا خيل إلى أحد منكم أننى عنيت بما قلت الآن الطعن فى هؤلاء الناس هذه الليلة، فليعلم أنه مخطئ بعيد كل البعد عن القصد، لأنى مملوء القلب بالاعتقاد المسعد المغذى للنفس أن هؤلاء الطفيليين تراث العهد القديم المحتضر، إنما يمهدون السبيل بأيديهم أحسن تمهيد لفناء أنفسهم وزوالها. وماهم بحاجة إلى

نطاسيٍّ خبير لتعجيل آخرتهم، بيد أن لـيس هـؤلاء الناس بالذين يخشى منهم الخطـر الـداهم علـى المجتمع، ليسوا أنشط العاملين على تـسميم مـوارد حياتنا الخلقية وتلويث الأرض التـي نحـن عليهـا بصنوف الأوبئة. ليس أولئك أعـدى أعـداء الحـق والحرية بيننا.

صائحون من جميع الجهات : من إذن؟ من هم؟ اذكرهم، سمِّهم.

الدكتـــور : تمهلوا وثقوا أنى سأسميهم. هذا هو الاستكشاف الذى وُفِّقت إليه بالأمس. **(يرفع صوته)** أخطر أعداء الحق والحرية بيننا، هم الغالبية المتراصة. نعـم، الغالبيـة المتراصة الملعونة. الغالبيـة الحـرة، أولئـك هـم فاعرفوهم. **(ضجيج عال جدا، غالب الجمهور يصيح. ويضرب الأرض برجليه ويصفر ، ويتناول النظـرات بعض كبار السن من بينهم وتلـوح علـيهم سـيما الارتياح. وتنهض كاترين قلقة، وإيليـف ومـورتن يتقدمان مهددين بعض تلاميذ يصيحون صياح الهررة والكلاب وغيرها. ويقرع أسلاكسن جرسه ويلتمس من الحاضرين أن يسكتوا. وهوفستاد وبيلنج يتكلمان**

فى وقت واحد، ولكن لا يسمع كلامهمـــا، وأخـــيرا يعود الجمع إلى السكون).

أسلاكســن : بصفة كونى رئيسا أكلف الخطيـــب أن يـــسحب مـــا تعجل به لسانه من القول بلا روية.

الدكتـــور : محال يا سيد أسلاكسن، إنها هى الغالبية فى مجتمعنا التى أنكرت علىَّ حريتى وعملت على منعى من أن أنطق بالحق.

أسلاكســن : الحق دائما فى جانب الغالبية.

بيـــلنـــج : والصدق كذلك، وربى.

الدكتـــور : لا يكون الحق فى جانب الغالبية بتاتا - أقـــول لكـــم بتاتا - تلك إحدى الأكاذيب الاجتماعية التـــى يجـــب على كل رجل مستقل حصيف أن يحاربهـــا. ممـــن تتألف غالبية السكان فى هذا القطر يا تـــرى؟ أمـــن الألباء أم من السفهاء؟ لا يخـــامرنى الظـــن بـــأنكم تنكرون الواقع، وهو أن السفهاء هم الآن أصـــحاب الغالبية الغامرة فى الدنيا برمتها، ولكن يا إلهـــى... فهل منكم من يستطيع أن يقـــول إن مـــن الحـــق أن يتولى السفهاء حكم العقلاء؟

(صياح وضجيج)

أجل: أجل، يمكنكم أن تخفتوا صوتى بالصياح، ولكنكم لا تستطيعون أن تحيروا جوابا. الغالبية فى جانبها القوة، نعم، واأسفاه. أما الحق فلا. إنى على الحق – أنا وبضعة أفراد متوزعين – القلة دائما على حق. (ضجيج وصياح).

هوفستاد : آها، إذن فقد أصبح الدكتور ستوكمان أرستقراطيا منذ أمس الأول.

الدكتور : لقد سبق لى القول إننى لا أريد أن أنفق كلمة واحدة فى الكلام عن الفئة الضئيلة، الضيقة الصدر، القصيرة النفس، التى تتولى الزمام. لا، لم تعد الحياة النابضة تشغل نفسها بأمرهم؛ إنما أنا أفكر فى العدد القليل من الرجال المبعثرين بيننا الذين اشتفوا حقائق جديدة عفية. أولئك الرجال يقفون فى الطليعة، على مدى أبعد من أن تلحقهم لديه الغالبية المتراصة. وهناك هم يقاتلون فى سبيل الحقائق التى لم تتمخض دنيا العقل عنها إلا منذ عهد قريب جدا، فلم يتيسر أن يكون لها من الأنصار عدد يذكر.

هوفستـــاد : ها قد أصبح الدكتور الآن ثوريا.

الدكتـــــور : يا إلهى، بالطبع أنا كذلك يا سيد هوفستاد! فى عزمى أن أثير ثورة على الأكذوبـــة الـــسائرة، أكذوبـــة أن الغالبية وحدها صاحبة الحقيقة. وما نوع هذه الحقيقة التى تنصرها الغالبية عادة؟ إن هى إلا حقيقـــة قـــدُم عهدها حتى أخذ بنيانها يتداعى. وإذا كانـــت هنـــاك حقيقة من القِدم عند هذا الحد فهى توشك أن تنقلـــب أكذوبة. (**ضحك ومواء وعواء**) أجل، هذا هو الواقـــع صدقتم أم لم تصدقوا. ولكن الحقائق ليست كما يتوهم البعض طويلة العمر كنوح فى الـــسالفين. فالحقيقـــة المؤسسة على بنيان صحيح لا يطول عمرها، فيمـــا تقول، أكثر فى العادة من سبعة عشر عاما أو ثمانية عشر وعلى الأكثر عشرين، وقلما زادت عن ذلـــك. ولكن الحقائق التى تبلغ من العمر هذا القدر تكون قد هزلت حتى بدت كلاها. ومع ذلك فهى لا تبدو لعين الغالبية إلا وهى فى هذه الصورة، ويومئذ يتواصون بها فى المجتمع ويرونها غذاء عقليا صالحا. لا، يـــا سادة، ليس لمثل هذه المادة قيمة غذائيـــة. هـــذا مـــا

أؤكده لكم، ومن حقى - إذ أنا طبيب - أن أعرف ذلك. هذه الحقائق التى تقول بها الغالبية هى أشبه شيء باللحم المملح من العام الماضى، مثل لحم الخنزير الزنخ العفن، وهى مصدر الأسقربوط النفسى الشائع فى مجتمعاتنا.

أسلاكسن : يخيَّل إلىَّ أن الخطيب قد شرد شرودًا كبيرًا عن موضوعه.

بيتر : أنا على رأى حضرة الرئيس بتمامه.

الدكتور : أزايلك الرشد يا بيتر؟ إنى ملتزم جانب موضوعى تمام الالتزام، لأن موضوعى هو هذا. إن هذه الغالبية المتراصة السافلة... هى التى تسمم موارد حياتنا الخلقية، وتعدى بوبائها الأرض التى نحن عليها.

هوفستاد : وكل هذا لأن الغالبية العظيمة، الواسعة العقل، هى من الصواب بحيث لا تقر إلا الحقائق الممحصة، الحقائق المقررة.

الدكتور : آه، يا سيد هوفستاد. خلِّ عنك الكلام الفارغ عن الحقائق الممحصة. إن الحقائق التى تسلم الدهماء بها

اليوم، هى الحقائق التى ناصرها المجاهــدون فـــى الطلائع أيام أجدادنا. أما نحن المجاهدين فى الطلائع فى هذه الأيام، فلم نعد نقرها. ولست أظن أن هنـــاك حقيقة ممحصة مجربة غير ما أقول لك، وهو أنه لا يستطيع مجتمع أن يحيا حياة سليمة إذا هو لم يطعـــم إلا تلك الحقائق النخرة.

هوفستـــاد : ولكن بدلا من وقوفك هكذا تلقى نظريـــات عامـــة، يحسن بك أن تذكر لنا ما هى هذه الحقائق النخـــرة، التى جعلناها غذاء لنا.

(استحسان من جميع الجهات)

الدكتـــــور : أوه، فى إمكانى أن أعطيك ركاما من هذه الحثالات، ولكنى سأقتصر فى المبدأ على إحدى الحقائق المسلم بها، وهى فى أساسها أكذوبة فظيعة. يتغذى بها السيد هوفستاد ورسول الـــشعب. وجميـــع أنـــصار هـــذه الجريدة.

هوفستـــاد : وتلك الأكذوبة هى...؟

الدكتـــــور : هى تلك العقيـــدة التـــى ورثتموهـــا عـــن آبـــائكم، ونشرتموها بلا رويـــة فـــى الخـــافقين، عقيـــدة أن

الجمهور، أن الدهماء الغوغاء، هم الجزء اجوهرى من سكان كل بلد، وأنهم هـم الـذين يتـألف منهم الشعب، وأن الناس العاديين الجهلة، العنصر الناقص التكوين فى المجتمع، لهم من الحق فى الحكم والتقدير، وفى الإدارة والحكومة، مثل ما للأفذاذ أولى الذاتية الفكرية العليا.

بيلنج : علىَّ لعنة الله إن كان قد سبق لى...

هوفستاد : **(فى نفس الوقت، صائحا)** أيها الإخوان المواطنون تنبهوا إلى هذا الكلام جيدا.

بعض أصوات: **(مغضبة)** أوه! ألسنا نحن الشعب! لا يحكمنا إلا السراة! هم فقط!

أحد العمال : أخرجوا هذا الرجل من هنا، جزاء كلامه الفارغ.

غيره : أخرجوه.

غيره : **(صائحا)** انفخ فى القرن، يا إيفنسون!

(ينفخ فى قرن بصوت عال جدا، بين أصوات صفير وضجيج من مغضبين).

الدكتور : **(لما يهدأ الصياح قليلا)** ارشدوا! ألا تطيقون صوت الحق مرة! لا أرتقب منكم بحالٍ ما أن توافقونى

برمتكم، ولكن لا بد لى أن أقول إنى كنت أرتقب أن يسلم السيد هوفستاد بأنى كنت علـــى حـــق، عنـــدما يستجمع قوى نفسه قلـــيلا، إنـــه يـــدعى أنـــه حـــر العقيدة.

أصـــــوات : (**متعجبة**) حر العقيدة! هوفستاد حر العقيدة!

هوفستـــاد : (**صائحا**) أثبت ذلك يا دكتور ستوكمان، متـــى قلـــت ذلك فى مطبوع؟

الدكتـــور : كلا، خسئت. أنت على حق، لم يكن عندك الـــشجاعة لذلك. لا بأس، لا أريد أن أزج بك فى مأزق، ولنقل إنى أنا ذو العقيدة الحرة إذن. سأثبت لكم بالبرهـــان العلمى أن جريدة رسول الشعب تجركم من أنـــوفكم بطريقة مخزية حين تقول لكـــم إن عامـــة النـــاس، الدهماء الغوغاء، هم روح الشعب الحقيقية. ليس هذا الكلام، أؤكد لكم، إلا أكذوبة صحفية، ليس العامة إلا المادة الغفل التى يصاغ منهـــا الـــشعب. (**تأوهـــات وضحك وضجيج**) ها، أليس هذا هو الواقع، ألـــيس هناك فرق عظيم بين نسيلة من الحيـــوان أُحـــسنت تربيتها وأخرى أسيئت؟ خذوا مثلا دجاجة عادية من

الدجاج المسوَّم بعيدا عن الإهراء. أى لحم تـصيبون من مثل هذه الجلدة الهزيلة؟ لا تصيبون غير قليـل، أؤكد لكم! وأى بيض تضعه؟ خير منـه مـا يـضع الغراب. ثم خذوا دجاجة مرباة إسبانية أو يابانيـة أو خذوا درَّاجا أو دجاجة رومية وانظـروا الفـرق، أو خذوا للمثل، الكلاب التى نعيش معهـا نحـن بنـى الإنسان على شرعة المودة، فكروا أولاً فـى كلـب عادى، أعنى أحد تلك الكلاب البشعة، الخشنة الشعر، المنحطة التربية التى لا تفعل شيئا غير الجرى فـى الشوارع وتوسيخ جدران المنازل. قارنوا أحد هـذه الكلاب بكريم رُبى أبواه مدى أجيال عدة فـى بيـت سرى من السراة، كان لها فيه خير طعـام، وأجمـل فرص الاستماع إلى الصوت الجميـل والموسـيقى، ألا ترون أن عقل الكريم يكون قد نما وتهذب حتـى بلغ درجة تختلف عن عقل الكلب الحطيط؟ لا شـك فى ذلك. أجراء مثل ذلك الكلب الكريم هـى التـى يعلمها العارضون فتأتى من أفعال المهارة ما لا يكاد يصدقه العقل؟ أشياء يستحيل على الكلب العـادى أن

يتعلمها ولو وقف على رأسه. (ضحح بأصوات تقليدية، عواء ومواء... إلخ).

أحد المواطنين : (مناديا) أتريد أن نستنتج من ذلك الآن اننا كلاب؟.

مواطن آخر : لسنا حيوانات يا دكتور!

الدكتور : بل وربى يا صاحبى كلنا كذلك، نعم، إننا أرقى الحيوانات طرا، ولكن الكرام من بيننا قليل. إن هناك فرقًا شاسعًا بين حطيط الناس وكريمهم، وألطف ما في الأمر أن السيد هوفستاد يتفق معى فى الرأى ما دام الكلام خاصًّا بذوات الأربع من الحيوانات.

هوفستاد : نعم هذا حق صراح فيما يختص بها.

الدكتور : حسن جدا. ولكنى ما أشرع أطبق القاعدة على ذوات الاثنتين من الحيوانات حتى ينكص السيد هوفستاد على أعقابه. لا يجرؤ إذ ذاك أن يطلق عنان فكره مستقلا أو يواصل آراءه حتى تنتهى إلى نتيجة منطقية. ولذلك يقلب النظرية على وجهها ويصيح فى «رسول الشعب» معلنا أن الدجاجة السائمة والكلبة الشريدة هما أرقى ما فى الحظيرة. بيد أن هذا هو المسلك الطبيعى الذى لا بد أن يسير فيه الإنسان ما

دام فى بدنه أثر من أرومة منحطة، ولم يعبِّد لنفسه دربًا يرقاه إلى مراتب التفوق العقلى.

هوفستاد : أنا لا أدعى الصلة بشىء من هذا التفوق، إنى ابن ناس قرويين متَّضعين، وإنى لفخور أن الأرومة التى نسلت منها تضرب جذورها إلى عمق بعيد فى صميم الدهماء التى يسبها.

أصوات : مرحى، هوفستاد! مرحى، مرحى!

الدكتور : ليس نوع العامة الذى أعنيه مما لا يوجد إلا عند أسفل درجات السلم الاجتماعية، فإنهم يدبون ويتجمعون فيما حولنا، ونراهم حتى فى أرقى المراتب الاجتماعية. ما عليكم إلا أن تنظروا إلى عمدتكم المبرز المحترم، فما أخى بيتر إلا رجل عامى من فرعه إلى قدمه، ككل رجل من الدهماء يمشى فى حذاءين. **(ضحك وصفير)**.

بيتر : إنى أحتج على مثل هذه التعريضات الشخصية.

الدكتور : **(برباطة جأش)** وليس هذا لأنه مثلى متناسل من أحد لصوص البحر الأقدمين فى بلاد بوميرانيا أو جيرتها، كما هو الواقع...

بيتر : هذا إفك، خرافة، وأنا أنكرها.

الدكتور : بل لأنه لا يفكر إلا كما يفكر رؤساؤه، ولا يقول إلا بما يقولون. والذين يجرون هذا المجرى، هم على القول المعنوى، من صميم العامة. وهذا هو السبب فى أن أخى المكرم بيتر، هو فى الواقع أبعد ما يكون إنسان عن حقيقة التفوق، ومن ثم كان بعيدا عن الحرية فى تفكيره.

بيتر : يا حضرة الرئيس...!

هوفستاد : إذن، فالرجال البارزون هم وحدهم أحرار الرأى فى هذا القطر؟ إنك لتعلمنا الليلة شيئا جديدا. **(ضحك)**.

الدكتور : نعم، هذا جانب من استكشافى. وهناك جانب آخر، هو أن سعة العقل عبارة تكاد تكون مرادفة للفضيلة. وهذا هو السبب فى أنه لا وجه للعذر فى أن تكتب جريدة «رسول الشعب» كل يوم وتعلن أن الجمهور والدهماء والغالبية المتراصة هى وحدها صاحبة العقول السمحة الواسعة مجال الفكر، وصاحبة الفضيلة معا، وأن الرذيلة والفساد وكل نوع من أنواع النقص العقلى هى نتيجة التثقف، كما أن كل

القاذورات الناشئة من حماماتنا نتيجة المدابغ القائمة فى موليدال. **(ضجيج ومقاطعة، ولكن الدكتور ستوكمان يظل رابط الجأش، فيبتسم ويستمر فى كلامه مدفوعا ببغيته)** ومع ذلك فإن جريدة «رسول الشعب» نفسها لا تنقطع عن القول بضرورة ترقية العامة إلى مستوى حياة أرقى مما هى عليه. ولكن يا عجبى لهذا التناقض إذا أخذنا بما تقول به هذه الجريدة، لم يكن معنى هذه الترقية التى تريدها للعامة إلا تركها على الفور فى طريق الفساد والشر. ولكن من حسن الحظ أن القول بأن الثقافة مفسدة ليس إلا أكذوبة قديمة، آمن بها آباؤنا وورثناها نحن عنهم. لا يا سادة، إنما الجهل والفقر وقبح أحوال المعيشة هو الكفيل بأعمال الشيطان! البيت الذى لا يُهوَّى ويكنس كل يوم – بل ترى كاترين زوجتى ضرورة مسح البلاط أيضا، وإن كانت هذه مسألة للجدل – مثل ذلك البيت، أقول لكم، يفقد أهله فى مدى سنتين أو ثلاث سنين، ما يكون لديهم من قوة التفكير أو السير الأدبى. قلة الأوكسجين تضعف الضمير، ويخيَّل إلىَّ أن كثيرا من البيوت فى هذه البلدة يعوزها

الأوكسجين إعوازًا بالغًا. وذلك حكما بما أوجسه من أن الغالبية المتراصة من فقدان الوعى بحيث تريد أن تبنى مستقبل البلدة على أوحال الغش والأكاذيب.

أسلاكسن : لا نسمح بإلقاء مثل هذه التهم الخطيرة فى وجه مجتمع من المواطنين.

مواطن أول : أقترح أن يأمرْ الرئيسُ الخطيبَ بالجلوس.

أصوات : (مغضبة) مرحى! مرحى! فى محله! مره بالجلوس.

الدكتور : (فاقدا رباطة جأشه) إذن فعلىَّ أن أذهب وأعلن هذا الحق فى كل طريق. سأكتبه فى جرائد بلدان أخرى وسيعلم القطر برمته ما هو جارٍ هنا!

هوفستاد : يكاد يكون واضحا أن الدكتور ستوكمان لا يبغى إلا خراب بلدتنا.

الدكتور : نعم إن لمسقط رأسى من الحب عندى ما أوثر معه خرابه بدلا من أن أشيد سعادته على أكذوبة.

أسلاكسن : هذا كلام شديد. **(ضجيج ومواء، تسعل كاترين ولكن بغير جدوى، ولايعود زوجها يستمع لها).**

هوفستاد : **(صائحا فوق الرءوس)** لا شك فى أن الرجل الذى يريد أن يخرب المجتمع برمته هو عدو للشعب.

الدكتور : **(بتحمس متزايد)** ماذا فى هدم مجتمع من الخطورة إذا كان هذا المجتمع يعيش على الأكاذيب، الواجب أن يهدم حجرا على حجر. نعم، كل من يعيشون بالأكاذيب جديرون أن يبادوا كما تباد حشرات الأرض. سينتهى بكم الأمر إلى إيصال العدوى إلى القطر برمته، وستجلبون بعملكم على القطر سوءا يستدعى أن يهدم كله، وإذا بلغت الأمور هذا المبلغ، فلا يسعنى إلا أن أقول من صميم القلب دعوا القطر كله يفنى، ودعوا أولئك الناس جميعهم يبيدون.

أصوات من الجمهور : هذا كلام يدل على أنه عدو الشعب.

بيلنج : ها! لقد صاح صائح الشعب، وحق كل ما هو مقدس.

الجمهور برمته : **(صائحا)** نعم. نعم، إنه عدو للشعب، إنه يكره وطنه، يكره أهله أنفسهم.

أسلاكسن : بصفة كونى مواطنا وفردا من الأفراد، أشعر بقلق عظيم فى نفسى إثر ما قدر لنا أن نستمع له. لقد تبدى الدكتور ستوكمان فى لون ما كنت أتوهم أن أراه فيه. وأرانى مضطرا مع مزيد الأسف، إلى

إقرار الرأى الذى سمعته الآن من أقــوال إخــوانى المواطنين الموقرين، ولذلك أقترح أن نعبر عن هــذا الرأى فى صورة قرار تصدره الهيئــة، وأقتــرح أن يكون القرار بالنص الآتى:

«يعلن المجتمعون هنــا أنهــم يعتبــرون الــدكتور ستوكمان مفتش صحة الحمامات عدوًّا للشعب».

(عاصفة من الاستحسان والتصفيق، ويحــيط عدة من الناس بالدكتور ويصفرون فى وجهه، وتكون كاترين وبترا قد نهضتا، ومورتن وإيليف يتضاربان مع بعض التلاميذ الحاضرين من أجــل هــذا الــصفير، ويفرقهم بعض كبار التلاميذ)

الدكتـــــور : **(للأفراد الذين يصفرون فى وجهه)** أوه، إنكم مجانين، أقول لكم...

أسلاكســن : **(داقــًّا جرســــــه)** لا نستطيــع أن نستمـــع لك الآن يا دكتور، نحن على وشــك أن نأخــذ قــرارا رسميا. ولكن سيكون هذا القرار رعيا لكرامتك، سرا بالكتابة لا علنا بالشفاه. أعندك ورق يا سيد بيلنج؟

بيــلنـــج : عندى النوعان، الأزرق والأبيض.

أسلاكسن : (ذاهبا إليه) هذا يكفى الغرض على أتمه، سنسرع فى عملنا بهذه الطريقة، قسمه قطعا صغيرة. أجل، هكذا.
(إلى الجمهور) الأزرق معناه لا، والأبيض معناه نعم، وسأمر أنا نفسى وأجمع الأوراق. **(يترك بيتر ستوكمان محل الاجتماع ويذهب أسلاكسن وواحد أو اثنان مطوِّفين فى القاعة، يتناولون قطع الورق المجموعة فى قبعاتهم).**

مواطن أول : قل لى! ماذا أصاب الدكتور؟ ما معنى هذا كله؟

هوفستاد : عجبا، ألا ترى أنه صلب متهور؟

مواطن ثان : (إلى بيلنج) بيلنج، إنك تذهب إلى بيتهم كثيرا، ألم تلاحظ أنه يشرب الخمر؟

بيلنج : علىَّ اللعنة إذا كنت أعرف ماذا أقول، كلما ذهبت وجدت على المائدة خمرًا.

مواطن ثالث : يخيل إلىَّ أنه يفقد صوابه فى بعض الأحيان.

مواطن أول : ترى هل يُعرف فى أسرته شىء من الجنون.

بيلنج : لا أعجب أن يكون ذلك.

مواطن رابع : لا، لا يخرج الأمر عن حفيظة فى قلبه على بعضهم لأمر ما، فهو يريد أن ينتقم لنفسه منه.

بيلنج : أجل، الواقع أنه اقترح زيادة مرتبه منذ عهد قريب، ولم ينل هذه الزيادة.

المواطنون : **(معا)** آه، إذن فمن السهل أن ندرك السبب.

الرجل السكران : **(وقد دخل مرة ثالثة بين الجمهور)** أريد ورقة زرقاء، أريد. وأريد ورقة بيضاء أيضًا.

أصوات : أهذا هو السكران مرة أخرى، أخرجوه.

مورتن كيل : **(ذاهبا إلى الدكتور ستوكمان)** ها، أرأيت كيف أدت بك هذه الألاعيب الفردية؟

الدكتور : لقد أديت واجبى.

مورتن كيل : ما هذا الذى قلته عن المدابغ القائمة فى موليدال؟

الدكتور : لقد سمعتها بوضوح تام، قلت إنها مصدر جميع القاذورات.

مورتن كيل : ومدبغتى من بينها؟

الدكتور : مدبغتك لسوء الحظ أشدها أذًى.

مورتن كيل : وهل فى نيتك أن تنشر ذلك فى الجرائد؟

الدكتور : لن أخفى شيئا.

مورتن كيل : قد يعود عليك من ذلك ضرر بالغ يا ستوكمان. **(يخرج)**.

رجل ضخم : (ذاهبا إلى القبطان هورستر بغير اعتداد بالسيدات) أنت يا قبطان هورستر تعير منزلك لأعداء الشعب؟

هورستر : أظن أن لى الحق فى أن أصنع بملكى ما أريد يا سيد ويك.

الرجل الضخم : إذن فلن يكون لك اعتراض على أن أصنع بملكى ما صنعت أنت.

هورستر : ماذا تعنى بذلك يا سيدى؟

الرجل الضخم : ستسمع منى جواب ذلك فى الصباح. **(يدور على عقبه وينصرف).**

بترا : أليس هذا الرجل صاحب السفينة، يا قبطان هورستر؟

هورستر : أجل، هذا هو السيد ويك صاحب السفينة.

أسلاكسن : **(ومعه أوراق التصويت فى يديه، يصعد المنصة ويدق جرسه)** أيها السادة اسمحوا لى بإعلان النتيجة بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا واحدًا.

أحد الشبان : هذا صوت الرجل السكران...

أسلاكسن : بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا رجلا سكران يعلن هذا الاجتماع قراره بأن الدكتور توماس ستوكمان عدو للشعب. **(صياح وتصفيق)** مرحى ثلاث مرات لمجتمعنا القديم الشريف. **(تصفيق مجدد)** مرحى ثلاث مرات لعمدتنا النشيط الذى أخمد لولائه العميق صوت عواطف القرابة. **(هتاف)** انفض الاجتماع. **(ينزل)**.

بيلنج : مرحى ثلاث مرات للرئيس!

الجمهور برمته : مرحى ثلاث مرات لأسلاكسن.

الدكتور : قبعتى ومعطفى يا بترا. يا حضرة القبطان!... هل عندك فى السفينة مكان لراحلين إلى أرض الدنيا الجديدة.

هورستر : لك ولذويك نفسح المكان يا دكتور.

الدكتور : **(حين تساعده بترا على ارتداء معطفه)** حسن، تعالَىْ يا كاترين، تعالَوْا يا أولاد.

كاترين : **(بصوت منخفض)** توماس عزيزى، دعنا نذهب من الطريق الخلفى.

الدكتـــور : لا ألجأ إلى الطرق الخلفية يا كاترين. **(رافعا صــوته)** ستسمعون أكثر مما سمعتم عن عدو الشعب هذا، قبل أن ينفض تراب نعليه عليكم! لست عفــوًّا كــبعض الأشخاص، فلا أقول إنى أعفــو عــنكم، لأنكــم لا تعرفون ما أنتم فاعلون.

أسلاكسـن : **(صائحا)** فى هــذه المقارنــة تجـديف يــا دكتــور ستوكمان.

بيـلنــج : إنها تجديف، وربى! ومن الكفر أن يستمع لها رجــل تقى...

صوت خشن : يتهددنا الآن هو! يتهددنا!

أصوات أخرى : هلم بنا نذهب ونكسر نوافذ بيته، ونغطه فى الخليج.

صوت آخــر : انفخ فى البوق يا إيفنسون، بيب، بيب. **(نفخ فى بوق، صفير، وصراخ عال، يخرج الدكتور ستوكمان مــن القاعة، ومعه عائلته وذلك بأن يفسح لهم هورســتر الطريق).**

الجمهور كله : (صارخـــاً **وراءهم وهم ذاهبون)** عدو الشعب، عدو الشعب!

بيلنج : (وهو يجمع أوراقه) علىَّ اللعنة إذا أنا ذهبت لأشرب التودى مع ستوكمان وعائلته الليلة.

(يتجمع الجمهور عند باب الخروج ويستمر الضجيج فى الخارج، ويسمع صراخهم قائلين: عدو الشعب).

«انتهى الفصل الرابع»



الفصل الخامس



المنظر:

(غرفة مطالعة الدكتور ستوكمان، ترى خِزانات الكتب والعيِّنات الجراحية الطبية بجوار الحيطان، وفى المؤخرة باب يؤدى إلى غرفة الجلوس، وفى الحائط الأيمن نافذتان زجاجهما كله مكسور، وقد وُضع مكتب الدكتور مثقلاً بالكتب والأوراق فى وسط الغرفة، والغرفة تبدو عادمة النظام، الوقت صباح، والدكتور لا بسٌ بذلة البيت (روب دى شامبر) وخفَّيْن (شبشب) وعلى رأسه قبعة التدخين، وتراه مكبًّا يعبث بمظلة تحت إحدى الخِزانات، وبعد قليل يُخرِج قطعة من الحجر).

الدكتور : (مناديًا من باب غرفة الجلوس المفتوح) كاترين! وجدت حجرًا آخر.

كاترين : (من غرفة الجلوس) هوه، ستجد عدة أحجار أخر. فيما أرجِّح.

الدكتور : (يضع الحجر فوق كومة أحجار على المنضد) سأدّخر هذه الأحجار كما تُدخر الآثار. سينظر إليها إيليف ومورتن كل يوم، وإذا كبرا ورثاها فيما يرثان من

المخلفات. **(يعبث تحت إحدى خزانات الكتب)** ألم تذهب تلك للشيطان، ما اسمها؟ تلك الفتاة، أنت عارفة، - لإحضار الزجاج، بعد.

كاترين : **(داخلة)** بلى، ولكنه قال إنه لا يدرى هل يستطيع الحضور اليوم.

الدكتور : سترين أنه لا يجرؤ أن يجىء.

كاترين : أجل، هذا بعينه ما قدَّرته راندين، إنه لا يجرؤ على الحضور خوفًا من جيرانه. **(تُنادِى فى غرفة الجلوس)** ماذا تريدين يا راندين؟ أعطنيه. **(تذهب داخلة فى غرفة الجلوس وتعود على الفور)** هذا خطاب لك، يا توماس.

الدكتور : دعينى أرَه **(يفتحه ويقرأه)** هاهو ذا، بالطبع.

كاترين : ممن هو؟

الدكتور : من صاحب الملِك، إنذار بالإخلاء.

كاترين : أهذا ممكن؟ مثل هذا الرجل اللطيف...؟

الدكتور : **(ناظرًا فى الخطاب)** لا يجرؤ أن يفعل غير هذا، هكذا ما يقوله. إنه لا يحب ما يفعل، ولكنه لا يجرؤ أن يفعل غير ذلك، حذرًا من إخوانه فى الوطن؛ مراعاة

للرأى العام. إنه فى مركز ذى صلات و لا يملــك أن يُغضِب بعض ذوى النفوذ.

كاتـــرين : ها أنت ذا ترى يا توماس...

الدكتـــور : نعم، نعم، أرى حق الرؤية، الجميع فى البلدة برمَّتها جبناء، ليس فيهم رجل واحد يقوى على عمل شــيء خشية غيره. **(يُلقِى الخطاب على المكتب)** ولكن هــذا لا يهمنا، يا كاترين، نحن مبحرون عن هذه الأرض إلى الدنيا الجديدة و...

كاتـــرين : ولكن، يا توماس، أأنت واثق أننا على صــواب فــى هذا الرأى؟

الدكتـــور : أتعنين أنه يجب علىَّ أن أبقى هنا، حيث شهَّروا بــى ووسمونى بأنى عدو للشعب؟ وكسروا نوافــذ دارى؟ وإليك فانظرى هنا يا كاترين، إنهم أحدثوا مزقًا كبيرًا فى بنطلونى الأسود أيضًا.

كاتـــرين : ويحى! هذا أحسن بنطلون عندك.

الدكتـــور : لا يصح لك أن تلبسى أحسن بنطلون عندك عنــدما تخرجين للقتال فى سبيل الحرية والحق، ليس ذا لأنه يهمنى الحرص على البنطلون، كما تعلمين فإن مــن

السهل أن تخبطيه لى وتعيديه سيرته الأولى. وإنمـــا كون القطيع العام يجرؤ أن يبغى علىَّ هــذا البغـــى، كأنما هم نظرائى، هذا ما لا أستطيع تحمله، ولو كان فى ذلك حياتى.

كاتـــــرين : لا شك أنهم أساءوا إليك إساءة سمجة يـــا تومـــاس، ولكن أهذا سبب يكفى لتركنا وطننا تركًا باتًّا.

الدكتـــــور : أترين أننا إذا ذهبنا إلى بلدة أخرى لم نجد العامة بها وقحاء كما هم هنا؟ ثقى أنه لا فرق بينهم مما يـــؤثر به فريق على فريق، أوه، لا بأس، دعـــى الكـــلاب تنبح، ليس هذا أسوأ ما فى الأمر. أسوأه أنه لا يوجد رجل فى هذا القطر من طرفه إلى طرفه الآخـــر إلا وهو عبد لحزبه، وإن أكن أعتقد أن الحال فى هـــذا الصدد ليس خيرًا من هذا فى بلاد الغـــرب الحـــرة. فأكبر الظن أن الغالبية المتراصة هناك، والرأى العام الحر، وكل ما يتضمن ذلك الكشكول القديم من الزور والأكاذيب، على مثل ما هى عليه هنا مـــن الـــذيوع والانتشار. ولكن الأمور هناك تجرى علـــى نطـــاق واسع، قد يقتلونك هناك، ولكنهم لا يعملـــون علـــى

موتك بالتعذيب البطىء. هناك لا يعتصرون روح الرجل الحر فى المقطرة كما يفعلون هنا، وقد يستطيع الرجل أن يعيش فى عزلة إذا هو أراد ذلك (**يتمشى ذهابًا وجيئة**) لو أننى أعرف غابة عذراء أو جزيرة صغيرة فى البحر الجنوبى معروضة للبيع بثمن رخيص...

كاترين : ولكن فكِّر فى الأولاد يا توماس!

الدكتور : (**يقف ساكنًا**) إنك امرأة عجيبة يا كاترين. أتؤثرين أن يشبَّ الأولاد فى مجتمع كهذا المجتمع؟ لقد رأيت بعينيك ليلة الأمس أن نصف سكان هذه البلدة قد فقدوا عقولهم. وإذا لم يكن النصف الآخر قد فقدوا عقولهم، فذلك لأنهم من العجماوات، ليس لهم من العقل شىء يفقد.

كاترين : ولكن، يا عزيزى توماس، إن الأمور الخالية من الرويةَّ التى قلتها بالأمس، كان لها كما تدرى يد فيما جرى.

الدكتور : جرى! كيف؟ ألم يكن ما قلته صدقًا صريحًا؟ ألم يقلبوا كل فكرة على وجهها؟ ألم يصنعوا من الحق

والباطل خبيصة معصَّدة؟ ألم يقولوا عما أعرف أنه حق، إنه أكاذيب؟ وأبلغ ما فى الأمر من الحق كون أولئك الذين يسمون أنفسهم أحرارًا، أولئك الرجال البالغون، يسيرون فى البلدة جموعًا وهم يتصورون أنهم أهل العقول الراجحة السمحة، أسمعتِ بمثل ذلك يا كاترين؟

كاترين : أجل. أجل، ما أشد حمقهم فى ذلك، حقا، ولكن... **(بترا تدخل آتية من غرفة الجلوس)** عدتِ من المدرسة فى هذا الوقت المبكر...؟

بترا : أجل، أعطونى إنذارًا بالعزل.

كاترين : بالعزل!؟

الدكتور : أنتِ أيضا؟

بترا : أعطتنى السيدة باسك الإنذار، ولذلك رأيت أن أترك المكان على الفور.

الدكتور : لقد أحسنت أنت أيضًا.

كاترين : من كان يظن أن السيدة باسك امرأة من هذا الطراز!

بترا : لا يا أمى ليست السيدة باسك من ذلك الطراز بتاتًا، فلقد رأيت بعينى كيف أنها كانت متألمة لما جرى،

ولكنها كما قالت لم تجرؤ أن تفعل غير ذلك، ولـــذلك طردتنى.

الدكتـــــور : (ضاحكـــــاً وماسحـــــاً يديه إحداهما بالأخرى) لم تجرؤ أن تفعل غيرذلك! هى أيضًا. أوه، هذا شـــىء لذيذ!

كاتــــرين : نعم، بعد تلك المشاهد المخيفة التى وقعت ليلة أمس.

بتـــــــرا : لم يقتصر الأمر على ذلك، إليك يا والدى ، استمع.

الدكتـــــور : ماذا!؟

بتـــــــرا : أطلعتنى السيدة باسك على ما لا يقــلُّ عــن ثــلاث رسائل وصلت إليها هذا الصباح.

الدكتـــــور : غفل لا توقيع عليها فيما أظن؟

بتـــــــرا : نعم.

الدكتـــــور : نعم، لأنهم لم يجرءوا أن يخاطــروا بإمــضاءاتهــم يا كاترين.

بتـــــــرا : ومنها خطابان فحواهما أن رجلاً كان ضيفًا علينـــا، سمعوه ليلة الأمس يعلن فى النادى أن أرائـــى فـــى كثير من المسائل طليقة من كل قيد.

الدكتـــــور : وأنت لم تنكرى ذلك طبعًا؟

بترا : أنت تدرى أن هذا محال، آراء السيدة باسك طليقة هى أيضًا إلى حد ما، عندما نكون على انفراد، أما الآن وقد ذاع هذا الرأى عنى فإنها لم تجرؤ أن تستبقينى بعد ذلك.

كاترين : وهذا من واحد كان ضيفًا من ضيوفنا أمس... هذا يريك ما تناله من الجزاء على كرمك يا توماس.

الدكتور : لن نعيش بعد اليوم فى هذا الجحر القذر، اجمعى أشياء المنزل بأسرع ما تستطيعين يا كاترين، كلما عجَّلنا بالرحيل كان أحسن لنا.

كاترين : اسمع - يُخيَّل إلىَّ أنى أسمع أحدًا فى البهو، انظرى من هو يا بترا.

بترا : (فاتحة الباب) أوه، هذا أنت يا قبطان هورستر، تفضل بالدخول.

هورستر : (داخلاً) سعد صباحكم، رأيت أن آتى وأرى كيف حالكم فى هذا الصباح؟

الدكتور : (هازًّا يده) شكرًا، هذا كرم منك.

كاترين : وشكرًا لك أيضًا على مساعدتك إيانا فى اختراق الجمهور يا قبطان هورستر.

بتـــــــرا : كيف أمكنك أن تعود إلى منزلك بعد ذلك؟

هورستـــر : لم يكن فى ذلك صعوبة؛ إنى قوى نوعــا مــا كمـــا تعلمين، وأولئك الناس ينبحون ولا يعضُّون.

الدكتـــــور : أجل، أليس جبن هؤلاء الخنــازير مدهــشاً؟ انظــر سأريك شيئًا، هناك كل الأحجار التــى ألقوهــا فــى نوافذ بيتى، انظر وتمعن فيها. أراهن برقبتى علــى أنه لا يوجد فى هذه الكومة حجران فى حجم وجيه، أما سائر الأحجار فليست إلا حصًى، هنات صــغيرة حقيرة، ومع ذلك فقد وقفوا فــى الخــارج ينبحــون ويتوعدون بالأذى، أما الفعل فإنك لا ترى منه شــيئًا كثيرًا فى هذا البلد.

هورستـــر : من حسن حظك هذه المرة يا دكتور.

الدكتـــــور : فعلا، ولكنه يثير غضب الإنسان على كل حال، لأنه إذا حدث ذات يوم ما يستدعى جهادًا قوميًّــا جــديًا، رأيت الرأى العام فى جانب الفرار، وترى الغالبيــة المتراصة قد أدارت ظهورها وأذنابها كقطيــع مــن الأغنام، يا قبطان هورستر، هذا ما تأسى له الــنفس. يشغل بالى كثيرا أن... كلا، خَسئت! من المــضحك

أن أهتم بذلك. لقد سمّونى عدو الشعب، إذن فلأكن عدوًا للشعب حقًّا.

كاتـــــرين : لن تكون كذلك يا توماس.

الدكتـــــور : لا تقسمى على ذلك يا كاترين، قد يكون لإطلاق تسمية قبيحة على الإنسان من الأثر فيه ما يكون لوخز الإبرة فى الرئة، وهذا النعت الكريه لا يمكن أن أبرأ منه. إنه لاصق هنا فى نقرة أحشائى يفرى منى كالحامض الأكال. ولن تستطيع أية مغنيسيا أن تزيله.

بتـــــرا : هوِّن عليك، أجدر بك أن تضحك منهم يا دكتور.

هورستـــر : سيغيرون رأيهم يومًا ما، يا دكتور.

كاتـــــرين : نعم يا توماس هذا أمر مؤكد، كتأكُّدى من أنك واقف هنا.

الدكتـــــور : ربما حصل ذلك بعد فوات الأوان، وقد يكون فى ذلك فائدة لهم. سيخوضون فى أقذارهم يومئذٍ، ويذمون اليوم الذى دفعوا فيه بوطنىٍّ مثلى إلى المنفى. متى تسافر يا قبطان هورستر؟

هورستر : (يهمهم) هم، هذا فى الواقع ما جئت أتكلم معك فى شأنه.

الدكتور : لم؟ هل حدث للسفينة...؟

هورستر : كلا، وإنما الذى حدث أنى لن أسافر فيها.

بترا : أتعنى أنك عُزلت من قيادتها؟

هورستر : (باسمًا) نعم هذا ما قد حدث فعلاً.

كاترين : إليك يا توماس، أترى!

الدكتور : وهذا من أجل الحق. آه، لو أننى عرفت إمكان حصول ذلك.

هورستر : لا تأسَ لهذا، إنى واثق أنى سأجد عملاً عند أحد أصحاب السفن فى جهة أخرى.

الدكتور : وهذا هو ويك، الرجل الغنى المستقل عن كل إنسان وكل شىء! قُبِّح الرجل!

هورستر : إنه فى الواقع رجل خيِّر، وقد قال لى هو نفسه إنه كان يسره أن يستبقينى لو أنه يقوى أن...

الدكتور : ولكنه لا يجرؤ، لا. لا، بالطبع!

هورستر : قال: ليس هيِّنًا على رجل حزبى أن...

الدكتـــــور : لقد نطق الرجل بالصواب، الحزب أشـــبه بمفرمـــة اللحم تهرس كل أنواع الرءوس معًا، السمين منهـــا والهزيل، وتجعلها كلها خبيصة واحدة.

كاتـــــرين : وى! وى، يا عزيزى توماس.

بتـــــــرا : **(إلى هورستر)** لو أنك لم تصحبنا إلى المنـــزل لمـــا انتهى الأمر إلى ذلك.

هورستـــر : لست آسفًا على ذلك.

بتـــــــرا : **(تقدِّم يدها إليه تحية)** شكرًا لك على هذا!

هورستـــر : **(للدكتور)** ولذا فإن الذى أتيت إليكم من أجلـــه هـــو هذا، إذا كنتم قد عزمتم على الرحيل فقد فكرت فـــى خطة أخرى.

الدكتـــــور : حسن جدًّا،لو أننا نستطيع أن نرحل على الفور.

كاتـــــرين : س، س. أليس الباب يُقرع؟

بتـــــــرا : إنه عمى ولا شك.

الدكتـــــور : آها، **(بصوت عالٍ)** ادخل!

كاتـــــرين : يا عزيزى توماس عِدنى وعدًا قاطعًا.

(يدخل بيتر من البهو)

بـيـتـــــر : أوه، أنت مشغول؛ لذلك فإنى...

الدكتـــــور : لا. لا، أدخل.

بـيـتـــــر : ولكنى أردت أن أتكلم معك على انفراد.

كاتـــــرين : سنذهب نحن أثناء ذلك إلى غرفة الجلوس.

هورستـــر : وسأعود إليكم بعد فترة.

الدكتـــــور : لا. لا ادخل هناك معهما يا قبطان هورستر، أريد أن أقف أكثر على...

هورستـــر : لا بأس، ســأنتظر إذن. **(يلحـــق بكـــاترين وبتـــرا خارجـــاً إلى غرفة الجلوس).**

الدكتـــــور : لا بد أنك تشعر بتياراتٍ هوائية فى هذا المكان الليلة، البس القبعة.

بـيـتـــــر : شكرًا لك، إذا استطعت. **(يلبس القبعة)** أظـــن أنـــى اصبت بردا ليلة الأمس، لقد شعرت بقشعريرة وأنـــا واقف هناك.

الدكتـــــور : حقًّا؟ لقد كانت فيما وجدت دفيئة جدا.

بـيـتـــــر : إنى لآسف أنى لم أستطع أن أمنع مظاهر التطـــرف التى بدت ليلة أمس.

الدكتـــــور : هل عندك شىء آخر ذو أهمية خاصة تتحدث عنـــه خلاف ذلك؟

بيتر : **(يخرج خطابًا كبيرًا من جيبه)** عندى لك هذه الوثيقة من لجنة الحمامات.

الدكتور : وثيقة عزلى؟

بيتر : أجل، ابتداء من اليوم. **(يضع الخطاب على المنضد)** يؤلمنا أن نفعل ذلك، ولكن إذا نحن تكلمنا بصراحة لم نجرؤ أن نفعل غير ذلك حذر الرأى العام.

الدكتور : **(باسمًا)** لم تجرأوا - يظهر أنى سمعت هذه الكلمة اليوم مرارًا.

بيتر : لا بد لى أن أرجو منك أن تتبيَّن حالتك بوضوح، لا يصح لك أن تعتمد فى المستقبل على شغلك الحر فى البلدة.

الدكتور : ليذهب الشيطان بالشغل الحر، ولكن كيف تأكدت من ذلك؟

بيتر : إن جماعة أرباب المساكن، كتبوا نشرة بأسماء جميع السكان لتمريرها من بيت لبيت. وقد أهابوا فى النشرة بكل صحيح الوجدان من المواطنين أن لا يستشيرك أو يلجأ إليك، وأؤكد لك ليس بين أصحاب العائلات فرد واحد يرفض التوقيع على النشرة بالإذعان، إنهم لا يجرأون.

الدكتـــــور : فعلاً، فعلاً، لا شك فى ذلك. ثم ماذا؟

بـيـتـــــر : إذا كان لى أن أنصحك فإنى أرى أن تهجر البلدة مدة قليلة.

الدكتـــــور : نعم.، لقد بدا لى صواب ترك البلدة فعلاً.

بـيـتـــــر : حسن، وإذا مضى عليك ستة أشهر تكون فيها قد فكرت فى الأمور مرة أخرى وتدبرتها بالعقل الناضج، فأقنع نفسك بكتابة بضع كلمات أسف، تقر فيها بخطئك.

الدكتـــــور : وبهذا أسترد وظيفتى، تعنى ذلك؟

بـيـتـــــر : ربما، ليس هذا مستحيلاً، قطعًا.

الدكتـــــور : ولكن ما قولك فى الرأى العام يومئذ؟ حقًّا إنكم لا تجرأون يومئذ أن تعيدونى إلى وظيفتى رعيًا للشعور العام.

بـيـتـــــر : الرأى العام شىء قُلَّبٌ حُوَّلٌ بدرجة عظيمة. وأصارحك القول إنه يهمنا جدا أن يكون لدينا مثل هذا التصريح منك كتابة.

الدكتـــــور : إذن فهذا ما أنت وراءه. اسمح لى أن أتعبك قليلاً فى تذكر ما سبق لى أن قلته لك منذ عهد قريب عن الحيل الثعلبية التى من هذا القبيل.

بيتر : كان مركزك يختلف يومئذ عما أنت فيه اليوم تمام الاختلاف، ولقد كنت يومئذ على حق فى تصور أن البلدة كلها وراء ظهرك.

الدكتور : والآن أجد جميع البلدة فوق ظهرى (**منتفضًا إباءً**) لا أفعل ذلك ولو كان الشيطان وامرأته فوق ظهرى، محال، محال، أؤكد لك.

بيتر : ليس لرجل مثلك ذى عائلة أن يسلك هذا المسلك، ليس لك حق أن تفعل ذلك يا توماس.

الدكتور : ليس لى حق! ليس فى الدنيا من شىء لا حق للإنسان الحر أن يفعله إلا أمر واحد، أتعرف ما هو؟

بيتر : كلا...

الدكتور : بالطبع أنت لا تعرفه ولكنى سأذكره لك، ليس للرجل الشريف أن يلوث نفسه بالقذر، ليس له الحق فى أن يسير فى هذه الحياة سيرًا يلزمه أن يبصق فى وجه نفسه.

بيتر : يطِنُّ هذا النوع من الكلام طنين الاستحسان العظيم. نعم، وإذا لم يكن هناك إلا هذا تعليلاً لعنادك... ولكن الواقع أنه يوجد.

الدكتـــــور : ماذا تعنى؟

بـيـيـتــــر : أنت مدرك معناى تمام الإدراك، ولكنى كـأخ لـك، وكرجل حصيف، أنصحك أن لا تعول كثيرًا علـى الآمال، أو تركن إلى المطامح؛ فإنهـا قـد تكـذبك وتخيب قصدك.

الدكتـــــور : ليت شعرى فيم كل هذا؟

بـيـتــــر : أتريدنى حقًّا على أن أظن أنك تجهل وصـية الـسيد مورتن كيل؟

الدكتـــــور : إنى أعرف أن القَدْر القليل الـذى يملكـه مقـدر أن يُعطى إلى ملجأ العجزة والمعوزين من العمال. وماذا فى هذا مما يهمنى؟

بـيـتــــر : أولاً، ليس المال الذى نحن فى صدده قلـيلاً، الـسيد مورتن كيل رجل يعد غنيًّا.

الدكتـــــور : ليس عندى خبر عن ذلك.

بـيـتــــر : (يهمهم) هم، ألم يكن عندك حقا؟ إذن فلعلك لا تدرى أيضًا أن قسطًا عظيمًا من ثروته مكتـوب لأولادك، وأن لك ولامرأتك ربح رأس المال طول حياتكما. ألم يسبق له ذِكر هذا لك؟

الدكتـــــور : لا، وشرفى، الأمر على العكس، إنه لم ينقطع عن أن يُصعد دخان التأفف من أنه مثقل بالضرائب، ولكـــن أأنت واثق من ذلك يا بيتر تمام الثقة؟

بـيـتـــر : أعرف الأمر من مصدر لا شك عندى فى صدقه.

الدكتـــــور : إذن فالشكر لله، لقد ضمنت معيشة كـاترين والأولاد كذلك. لا بد لى أن أطلعها على ذلك مـن فـورى. **(ينادى)** كاترين، كاترين...

بـيـتـــر : **(يمانعه)** هش، لا تقل لها الآن شيئًا.

كاتـــــرين : **(فاتحة الباب)** ما الخبر؟

الدكتـــــور : لا شيء، لا شيء، لا بـأس، عـودى. **(تُـقفل كاترين الباب ويمشى الدكتور فى الغرفة فى اضطراب)** ضمان العيش - قدر هذا الحـال - عيـشنا جميعًـا مضمون، وذلك طول الحياة، ما أشد سعادة الإنـسان بمعرفة أن عيشه مضمون له!

بـيـتـــر : أجل، ولكن هذا بالتحقيق ما لست فيه، فـى إمكـان السيد مورتن كيل أن يغيِّر وصيته أى يوم يريد!

الدكتـــــور : ولكنه لن يفعل ذلك، يا عزيـزى بيتـر، إن إليغـر مرتاح تمام الارتياح. لحملتى عليك وعلى إخوانـك الراشدين.

بيتر : **(يؤخذ وينظر إليه متمعناً)** آه، هذا يلقى نورا ويكشف لى كثيرًا من الأمور.

الدكتور : أية أمور؟

بيتر : أرى الآن أن المسألة برمَّتها مؤامرة بينك وبينه، هذه الحملات العنيفة الحمقاء التى طالعت بها قادة البلد تحت ستار الحق...

الدكتور : ما لها؟

بيتر : أرى أنها لم تكن إلا العوض المشروط فى مقابل ما تضمنته وصية ذلك الرجل الضغين.

الدكتور : **(وهو يكاد يكون مقطوع الأنفاس)** بيتر، أنت أقبح عامِّى لقيته فى حياتى برمَّتها.

بيتر : لقد انتهى كل شىء بيننا الآن، إن عزلك لا مرد له... فى يدنا اليوم سلاح ضدك. **(يخرج)**.

الدكتور : قبحًا لك! قبحًا لك! **(ينادى)** كاترين، امسحى البلاط وراءه، دعى - ما اسمها؟ خسئت - البنت التى على أنفها هباب دائمًا.

كاترين : **(فى غرفة الاستقبال)** هس، توماس، أمسك.

بتـــــــرا : (آتية إلى الباب) أبى، جدى هنا، يتساءل هل يستطيع أن يلقاك على انفراد؟

الدكتـــــور : نعم (**ذاهبـــًا إلى الباب**) ادخل يا سيد كيل (**يـــدخل مورتن كيل، ويقفل الدكتور باب الغرفة وراءه**) ماذا أستطيع فعله لك؟ ألا تجلس؟

كيـــــــل : لا أريد الجلوس. (**يلتفت حوله**) أراك علـــى راحـــة تامة اليوم هنا يا توماس.

الدكتـــــور : نعم، أليس كذلك؟

كيـــــــل : تمام الراحة، قدر وافر من الهواء النقى، فيما أعتقد. عندكم اليوم كثير من ذلك الأوكسجين الـــذى كنـــت تتكلم عنه ليلة أمس. لا بد أن يكون ضميرك اليـــوم رائقًا جدًا، ولا مراء.

الدكتـــــور : بلا شك.

كيـــــــل : هذا ما أعتقد (**يقرع صدره**) أتعرف ما الذى هنا؟

الدكتـــــور : ضمير رائق أيضًا فيما أؤمل.

كيـــــــل : ها، لا شىء أفضل من هذا. (**يُخرِج من جيب صدره دفترًا سميكًا ويفتحه ويظهر منه ربطة من الورق**).

الدكتـــــور : (**ناظرًا إليه بدهشة**) سهوم فى الحمامات؟؟

كيـــــــــل : لم يكن من الصعب الحصول عليها اليوم.

الدكتـــــور : وقد كنت تشترى...؟

كيـــــــــل : أكثر ما كنت أستطيع دفع ثمنه...

الدكتـــــور : ولكن، يا عزيزى كيل، فكر فى حالة الحمامات.

كيـــــــــل : إذا أنت سلكت فى الأمر مسلك رجل رشيد فإن فـــى استطاعتك ردَّها سيرتها الأولى.

الدكتـــــور : لقد رأيت بعينك أننى بذلت كل جهدى ولكن... إنهـــم جميعًا مجانين فى هذه البلدة.

كيـــــــــل : قلت أمس إن أكبر الشر فى ذلك التلويث متأتٍ مـــن مدبغتى، فإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن جدى وأبـــى وأنا منذ عهد بعيد كنا نسمم البلدة، كأننا ثلاثة ملائكة موكَّلين بالهلاك، أتظن أنى سأصبر على هذه التهمة؟

الدكتـــــور : أشفق لسوء الحظ أن هذا ما لا بد لك منه.

كيـــــــــل : لا، يا سيدى، شكرًا لك. إنى أغـــار علـــى اســـمى وسمعتى، يقولون إنهم يسموننى «إليغر» وهو نـــوع من الخنزير، ولكنى لا أريد أن أعطيهم الحـــق فـــى تسميتى بذلك، إنى أريد أن أعيش رجلاً نظيف اليـــد، وأن أموت كذلك.

الدكتــــور : وكيف تستطيع ذلك؟

كيــــــل : عليك أن تنظفنى يا توماس.

الدكتــــور : أنا!؟

كيــــــل : أتعرف بأى قدر من المال اشتريت هذه السهوم؟ كلا، إنك لا تستطيع بالطبع أن تعرف، ولكنى سأخبرك. إنه المال الذى تصيبه كاترين وبترا والولدان حين أقضى نحبى، لأنى استطعت كما تعرف أن أدخر بعض الشيء.

الدكتــــور : (ذهابـــًا) وأنت ذهبت فأخذت مال كاترين من أجل هذا؟

كيــــــل : أجل، جميع المال موظف فى الحمامات. والآن أريد أن أعرف هل أنت أحمق حمقًا صريحًا يا توماس؟ فإذا أصررت على رأيك أن تلك الحيوانات وغيرها من الهنات القذرة التى من هذا القبيل، ناشئة من مدبغتى، فكأنما أنت تسلخ من جلد كاترين وبترا والولدين سلخة كبيرة، ولا يفعل أحد هذا الفعل إلا إذا كان مجنونًا.

الدكتــــور : (متمشيـــًا) حقا، ولكنى مجنون، أنا مجنون.

كيـــــــل : لا يمكن أن تكون عند هـــذه الدرجـــة البالغـــة مـــن الجنون، وأنت فى صدد أولادك وامرأتك.

الدكتـــــور : **(يقف ساكنـــــاً أمامه)** ولماذا لم تستشرنى فى الأمر قبل أن تذهب وتشترى كل هذه الأوراق الوسخة.

كيـــــــل : ما أُبرم لا يُنقض.

الدكتـــــور : **(يتمشى وهو ثائر النفس)** لو أننى لم أكن متأكدًا مـــن الأمر! ولكنى مقتنع تمام الاقتناع أنى على صواب.

كيـــــــل : **(وازنـــــاً الدفتر فى يده)** إذا تمسكت برأيك الأحمق فلن يكون لكل هذا الورق أدنى قيمة، كمـــا تـــدرى. **(يضع الدفتر فى جيبه)**.

الدكتـــــور : ولكن – خسئت – قد يكون فى طاقة العلم اســـتنباط دواء واق، أو ترياق من نوع ما...

كيـــــــل : لقتل تلك الحيوانات تعنى؟

الدكتـــــور : أجل ليجعلها غير مُضرَّة.

كيـــــــل : ألا يمكن أن تجرب سم الفأر؟

الدكتـــــور : لا تتكلم كلامًا فارغًا. كلهم يقولون إن المسألة كلهـــا أوهام، إذن فلتكن كذلك، وليتـــصرفوا فيهـــا علـــى هواهم. ألم يسمنى أولئك الكـــلاب الجهلـــة الـــضيقة

العقل، عدو الشعب؟ ثم ألم يكونوا علـــى وشـــك أن يمزقوا ثيابى عن ظهرى أيضًا!؟

كيــــــــل : ويكسروا نوافذ بيتك كلها.

الدكتـــــور : وبجوار ذلك يقف واجبى حيال عـــائلتى. لا بـــد أن أتكلم فى الأمر مع كاترين، إنها سديدة الرأى فى هذه المسائل.

كيــــــــل : هذا فى محله، اهتد دائمًا بنصيحة المرأة الرشيدة.

الدكتـــــور : **(متقدما نحوه)** كلما فكرت فى أنك تُقدِم علـــى هـــذا العمل الأحمق إذ تخـــاطر بـــأموال كـــاترين بهـــذه الطريقة، وتضعنى فى هذه الحيرة المؤلمة الـــشنيعة! عندما أنظر إلى المسألة يُخيَّل إلىَّ أنى أرى الشيطان بعينه.

كيــــــــل : إذن فخير لى أن أنصرف، ولكن لا بـــد أن يـــصلنى منك رد قبل الساعة الثانية – إما نعـــم أو لا – فـــإن كان لا ، ذهبت السهوم إلى جهات الإحسان ويكـــون ذهابها فى هذا اليوم نفسه.

الدكتـــــور : وماذا تأخذ كاترين؟

كيـــــــل : ولا فلسًا واحدًا. **(ينفتح الباب المؤدى إلى البهو ويبدو هوفستاد وأسلاكسن)** انظر إلى هذين الاثنين.

الدكتــــور : **(محملقــًا فيهما)** يا للشيطان! ألكما وجه تجيئان بــه إلى بيتى؟؟؟

هوفستـــاد : نعم.

أسلاكســن : لدينا شىء نقوله لك.

كيـــــــل : **(همسًا)** نعم أولا، قبل الساعة الثانية.

أسلاكســن : **(ناظرًا إلى هوفستاد)** آها! **(مورتن كيل يخرج).**

الدكتــــور : نعم! ماذا تريدان منى؟ أوجزا.

هوفستـــاد : إنى أرى وجه غضبك علينا لموقفنا فى الاجتماع ليلة أمس.

الدكتــــور : موقفكما! تسميانه موقفًا. نعم لقد كان موقفًا ســاخرًا، إنى أسميه موقفا خاسرًا نسويًّا، مزريــًا إلـــى حــدٍّ يستوجب اللعنة.

هوفستـــاد : سمِّه ما شئت، لم نكن نستطيع أن نفعل غير ذلك.

الدكتــــور : لم تجرؤا أن تفعلا غير ذلك. أليس هذا هو الواقع؟

هوفستـــاد : إذا أردت أن تعبر عنه بهذا التعبير.

أسلاكسن : ولكن لماذا لم تعطنا خبرًا عن هذا من قبل؟ إشارة تلميح بسيطة إلى السيد هوفستاد أو إليَّ.

الدكتور : إشارة تلميح إلى ماذا؟

أسلاكسن : إلى ما هو وراء كل هذه المسألة.

الدكتور : لست أفهم ما تعنى بتاتًا.

أسلاكسن : **(يحني رأسه إحناء الواثق)** بل إنك تفهمه يا دكتور ستوكمان.

هوفستاد : لم تعد هناك فائدة من كتمان الأمر.

الدكتور : **(ناظرًا مرة إلى أحدهما وأخرى إلى الآخر!)** يا للشيطان ماذا تعنيان كلاكما؟

أسلاكسن : أتسمح لي أن أسألك أليس حموك مطوِّفًا فى البلد يشترى كل سهوم الحمامات؟

الدكتور : بلى. لقد كان يشترى اليوم سهوما من سهوم الحمامات، ولكن...

أسلاكسن : كان أحكم لو أنه كلَّف غيره شراءها، شخصًا قرابته منك أبعد من قرابته.

هوفستاد : وكان يجب أن لا يظهر اسمك فى المسألة، ما كانت هناك ضرورة لأن يعرف الناس أنك أنت صاحب

الحملة الموجهة إلى الحمامات، كان يحسن بك أن تستشيرنى يا دكتور.

الدكتور : **(ناظرًا أمامه، ثم كأنما أشرق عليه نور فيقول فى ذهول)** أمثل هذه الأمور مما يمكن إدراكه؟ أمثل هذه الأمور ممكنة الحدوث؟

أسلاكسن : **(بابتسامة)** يظهر أنها كذلك، ولكن يحسن أن يستعمل الإنسان فيها شيئًا من اللباقة.

هوفستاد : ويحسن جدا أن يكون فى مثل هذه الأمور أشخاص متعددون، لأن التبعة التى تقع على عاتق كل واحد منهم تخفُّ عندما يكون معه غيره!

الدكتور : **(وقد استجمع نفسه)** الخلاصة يا سادة، ماذا تريدون؟

أسلاكسن : لعله يحسن أن السيد هوفستاد...

هوفستاد : كلا خبره أنت يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، الواقع أننا نرى وقد عرفنا القصد الذى وراء المسألة برمَّتها، أن نجرؤ فنضع جريدة «رسول الشعب» فى خدمتك.

الدكتـــــور : أتجرءون أن تفعلوا ذلك الآن؟ وماذا تصنعون بالرأى العـــام؟ ألا تخـــشون أن تـــسقط الـــصواعق علـــى رءوسنا؟

هوفستـــاد : سنحاول أن نردها عنا.

أسلاكســـن : ويجب أن تكون مستعدًّا لأن تولى وجهك شطر ناحية أخرى يا دكتور، فمتى تبينت أن طعنتـــك أصـــابت الكبد...

الدكتـــــور : تعنى أنه عندما أكون أنا وحَمِىَّ قد وضعنا يدنا على سهوم الحمامات بأبخس ثمن...

هوفستـــاد : أفهم أن ما دعاك إلى المطالبة بجعل رقابة الحمامات فى يدك، أسباب فى جوهرها علمية بحتة.

الدكتـــــور : بالطبع؛ لم يكن إلا لأسباب علمية إقنـــاعى الخنزيـــر العجوز أن يقف إلى جانبى فى هذه المسألة، على أن نعود فنجرى شيئًا من أعمال السمكرة فـــى أنابيـــب المياه، ونقوم بشىء من أعمال الحفر فى الـــشاطئ، وينتهى الأمر دون أن نتكلف عند ذلك قرشًا. أترون هذا يكفى؟

هوفستـــاد : أظن ذلك، إذا وقفت الجريدة من ورائك تشد أزرك.

أسلاكسن : الصحافة فى البلد الحر قوة عظيمة يا دكتور.

الدكتور : نعم، فى الواقع، وكذلك الرأى العام، وأنت يا سيد أسلاكسن فيما أرى تتحمل مواجهة جماعة أرباب المساكن؟

أسلاكسن : جماعة أرباب المساكن، وجمعية الاعتدال فى تعاطى المسكر، اعتمد علىَّ فى ذلك.

الدكتور : ولكن يا سادة، فى الواقع أنا خَجِل أن أسأل، أى مقابل ترون أن...؟

هوفستاد : كنا نفضل أن نساعدك بلا مقابل بتاتًا، صدقنى يا دكتور. ولكن جريدة «رسول الشعب» فى حالة متداعية، فهى غير سائرة كما يجب، ولا أطيق أن أقطع الجريدة عن الظهور فى هذه الأيام التى تتطلب فيها الحالة السياسية جهدًا كبيرًا.

الدكتور : نعم. نعم، قطعها يكون فى الواقع مؤلمًا لنفس رجل مثلك، محب للشعب. **(يهبُّ فى وجهه)** أما أنا فعدوٌّ للشعب، تذكر ذلك. **(يتمشى فى الغرفة)** أين وضعت عصاى، أين، للشيطان، عصاى؟

هوفستاد : ما هذا...

أسلاكسن : حقا إنك لا تعنى أن...

الدكتور : **(يقف ساكنًا)** وإذا أنا لم أعطكم فلسًا واحدًا مما أستفيده من هذه المسألة؟ ليس من السهل الحصول على نقود منا نحن الأغنياء، تذكروا ذلك من فضلكم!

هوفستاد : وأنت من فضلك تذكّر أن مسألة الحمامات ممكن عرضها فى صورتين مختلفتين.

الدكتور : نعم، وأنت عين الرجل الذى يستطيع ذلك. فإذا أنا لم أبادر بإنجاد رسول الشعب فإنك لا شك تلمح وجه السوء من المسألة وتطاردنى، هذا ما أتصوره، وتقتفى أثرى، وتحاول أن تخنقنى كما يخنق الكلب أرنبًا.

هوفستاد : هكذا حال الدنيا وشِرعتها، توجب على كل حيوان أن يجاهد فى سبيل عيشه.

أسلاكسن : ويحصل على طعامه من حيث قدر.

الدكتور : **(متمشيًا فى الغرفة)** إذن فاذهبوا وابحثوا عن طعامكم فى مجارى المراحيض، لأنى سأريكم أننى الحيوان الأقوى. **(يجد مظلته فيرفعها فوق رأسه ويهزها)** آه، الآن.

هوفستـــاد : لا تعنى بالطبع أن تستعمل العنف معنا.

أسلاكســـن : احذر ما أنت صانع بهذه المظلة.

الدكتـــــور : اخرج من النافذة، يا سيد هوفستاد.

هوفستـــاد : (عند الباب) أأنت مجنون؟

الدكتـــــور : من النافذة! يا سيد أسلاكسن، اقفز، أقول لك. لا بـــد لك من ذلك عاجلاً أو آجلاً.

أسلاكســـن : (جاريًا وراء منضد الكتابة) الاعتدال يا دكتور، إنـــى رجل ضعيف لا قدرة لى علـــى تحمـــل... النجـــدة! النجدة!

(تدخل كترين وبترا وهورســـتر مـــن غرفـــة الجلوس)

كاتـــــرين : يا إلهى! توماس ما هذا!؟

الدكتـــــور : (هازًّا المظلة) اقفز إلى الخارج، هلـــم اقفـــز... إلـــى المجارى.

هوفستـــاد : هذا اعتداء على رجل لم يسئ! أدعوك للـــشهادة يـــا قبطان هورستر. (يخرج مسرعًا من البهو).

أسلاكســـن : (يتردد) لو أننى أعرف الطريق فى هذا البيت؟ (يسترق نفسه ويخرج من غرفة الجلوس).

كاتـــــرين : (مانعة زوجها) اضبط نفسك يا توماس.

الدكتــــور : (ملقيًا المظلة) أما وحقى لقد فرًّا فى النهاية.

كاتـــــرين : ماذا كانا يريدان منك؟

الدكتــــور : سأخبرك فيم بعد، عندى شىء آخر أفكر الآن فيـــه. **(يذهب إلى منضد الكتابة ويكتب شيئًا على بطاقـــة زيارة)** انظرى إلى هذا يا كاترين، ماذا كتبت علـــى البطاقة؟

كاتـــــرين : كتبت «كلا» بالثُّلث ثلاث مرات. ما معنى هذا؟؟

الدكتــــور : سأخبرك عن ذلك أيضًا فيما بعد. **(يمد يده بالبطاقـــة إلى بترا)** إليك يا بترا، قولى لذات الوجـــه المهيـــب، تجرى بهذا إلى إليغر بأسرع ما يمكنهـــا، أســـرعى. **(تأخذ بترا البطاقة وتخرج إلى البهو)** نعم، أظن أنـــى حظيت بزيارة من كل فرد من رسل الشيطان اليوم، ولكنى سأرهف قلبى حتى يشعروا بسنه، سأغمـــسه فى السم والمرارة، وسأقرع رءوسهم بدواتى!

كاتـــــرين : نعم، ولكننا راحلون يا توماس عن هذا البلد. **(تعود بترا).**

الدكتــــور : ها...

بتـــــــرا : لقد انطلقت بها.

الدكتـــــور حسن، راحلون؟ هل قلت ذلك؟ كلا، المــوت ولا أن نرحل!!! سنبقى حيث نحن يا كاترين.

بتـــــــرا : نبقى هنا؟

كاتـــــرين : هنا فى هذه البلدة؟

الدكتـــــور : نعم، هنا. هنا ساحة القتال، هذا هو المكـــان الــذى ستجرى فيه الموقعة. هذا هو المكان الذى ســأحرز فيه النصر، عندما تخيطى بنطلونى سأخرج لأبحــث عن بيت آخر، لا بد لنا من سقف فوق رءوسنا يقينا الشتاء.

هورستـــر : هذا ميسور فى بيتى.

الدكتـــــور : حقًّا؟

هورستـــر : نعم، على أحسن حال. المكان متسع جدا وأنـــا قلمـــا نزلت به.

كاتـــــرين : ما أكرم نفسك يا قبطان هورستر!!

بتـــــــرا : شكرًا لك.

الدكتـــــور : **(قابضـــاً على يد هورستر)** شكرًا، شكرًا، هذى متْعبة تجاوزناها، يمكننى الآن أن أنصرف إلى العمل على

الفور. أمامكِ عمل لا نهاية له هنا يا كاترين، ولكن من حسن الحظ أن الوقت كله ملكى، لأنى عُزِلت من وظيفتى فى الحمامات، كما تعلمين.

كاترين : (بتنهد) نعم. هذا ما توقعته.

الدكتور : وهم يريدون أن يحوِّلوا مرضاى عنى، ليفعلوا! يبقى لى جماعة الفقراء على كل حال، أولئك الذين لا يدفعون شيئاً، وهم مع ذلك فى أشد الاحتياج إلىَّ، ولكنهم سينصتون إلىَّ، وربِّى، سأخطبهم فى وقته وغير وقته كما ورد فى بعض الأسفار.

كاترين : ولكن يا عزيزى توماس، لقد كان يُخيَّل إلىَّ أن الحوادث عرفتك قدر ما تفئ عليك الخطابة.

الدكتور : أنت عجيبة فى الحقيقة يا كاترين – أتريدين منى أن أترك نفسى مهزوماً مدحوراً من الميدان بسوط الرأى العام، والغالبية المتراصة وكل تلك الأكاذيب الشيطانية؟ لا. لا، شكراً لك، إن ما أريد أن أفعله أمر بسيط وبيِّن، لا عوض فيه. لا أريد إلا أن أفرغ فى رءوس أولئك الكلاب وأثبت أن الذين يسمون أنفسهم أحراراً ليسوا إلا أنكى أعداء الحرية. إن

المبادئ الحزبية ليست إلا وسائل خنق لكل حق فطير قوى، وإن ما يسمونه مستلزمات الضرورة تقلب الفضيلة والعدالة على وجهها وإنهم فى نهاية الأمر سيجعلون الحياة هنا لا تطاق. ألا ترى يا قبطان هورستر أن فى إمكانى جعل الناس يفهمون هذا؟

هورستر : محتمل، ولكنى لا أعرف شيئًا كثيرًا عن هذه المسائل.

الدكتور : لا بأس، تنبه، سأشرح لك، رؤساء الأحزاب هم الواجب أن يُبادوا. ليس رئيس الحزب إلا كالذئب، اسمع، كالذئب الضارى، يحتاج إلى عدد ما من الفرائس الصغيرة ليلتهمها كل عام، لكى يستطيع أن يعيش، انظر إلى هوفستاد وأسلاكسن، كم من الفرائس الصغيرة أبادا، أو على الأقل شوَّها وبترا، حتى لم يعودوا يصلحون لشىء إلا ليكونوا من أرباب البيوت الصغيرة أو المشتركين فى جريدة، «رسول الشعب» (يجلس على حافة المكتب) قرِّبى منى يا كاترين، انظرى كيف تشرق الشمس فى هذا اليوم باهية، وانظرى إلى هذا النسيم الجميل، نسيم الربيع الذى أحتسيه.

كاتـــرين : نعم، لو أننا نستطيع أن نعيش على ضـوء الـشمس ونسيم الربيع يا توماس.

الدكتـور : آه، سيكون عليك أن تدبرى وتقتصدى قليلاً، عندئـذ نستطيع أن نسير بسلام، هذا لا يهمنى إلا قليلاً جدا. إن الذى يحزننى أكثر من سواه هو أننى لا أعـرف أحدًا من سماحة العقل وسمو الحجى بحيث يـستطيع أن يتناول العمل من بعدى.

بتـــرا : لا تفكر فى ذلك يا أبى، إن أمامك متسعا من الوقت. مرحبا، لقد حضر الصبيان مبكرين. **(يدخل إيليـف ومورتن من غرفة الجلوس).**

كاتـــرين : أعندكما اليوم عطلة؟؟

مـــورتن : كلا، كنا نتشاجر مع الأولاد بين أوقات الدروس.

إيليـــف : ليس هذا حقيقيًّا، الأولاد هم الذين كانوا يتـشاجرون معنا.

مـــورتن : فقال السيد رولاند عندئذ إنه يحسن بنا أن نبقى فـى المنزل يومًا أو يومين.

الدكتـور : **(قاصفـاً أصابعه بعضها على بعـض وناهـضـاً)** ألهمتها، ألهمتها وربى، لـن تـضعا قـدميكما فـى المدرسة بعد اليوم.

الولـــدان : لن نذهب إلى المدرسة!؟

كاتـــرين : ولكن يا توماس...

الدكتـــور : أبدًا – أبدًا، سأعلِّمكما أنا نفسى؛أى أنكما لن تتعلمـا شيئًا مقدسًا.

مـــورتن : مرحى!

الدكتـــور : ولكنى سأصوغ منكما رجلين على سماحة فى العقل وسمو فى الحجى، عليـكِ أن تساعدينـى فى ذلـك يا بترا.

بتـــرا : أجل يا أبى، ثق أننى معك.

الدكتـــور : وستكون مدرستى فى البهـو الـذى أهـانونى فيـه وسمونى عدوًّا للشعب، ولكننا قليلون جدا، يجـب أن يكون عندى فى البداية اثنا عشر صبيًا.

كاتـــرين : محال ولا شك أن تجدهم فى هذه البلدة.

الدكتـــور : سنجدهم (إلى الولـدين) ألا تعرفـان جماعـة مـن عفاريت الشوارع، من كل سافل رثِّ الثوب؟

مـــورتن : بلى، يا أبي، أعرف منهم العديد.

الدكتـــور : شيء عظيم، أحضر لى بعضًا منهم؛ سـأقوم بعمـل تجاريب على الكلاب، ولو مرة. فقـد توجـد فـيهم رءوس ممتازة.

مـــــورتن : وماذا يكون عملنا يوم تكون قد خلقت منا رجالاً ذوى سماحة فى العقول وسمو فى الحجى؟

الدكتــــور : يومئذ ستزجران جميع الذئاب عن هذه الــبلاد، يـا ولدىَّ. (**ينظر إيليف بشيء مــن الــشك فى ذلــك، ومورتن يقفز ويصيح**) مرحى!

كاتــــرين : عسى أن لا يكون الذئاب هم الذين يزجرونــك عــن هذه البلاد يا توماس!

الدكتــــور : أزايلك الصواب يا كاترين؟ يزجروننـــى الآن وأنـــا أقوى رجل فى البلد؟

كاتــــرين : أقوى رجل؟! الآن؟

الدكتــــور : نعم، وسأذهب إلى مدى القول بأنى أقوى رجل فـــى الدنيا برمَّتها.

مـــــورتن : أنا أقولها!

الدكتــــور : (**خافضـــاً صوته**) هس، لا يجوز أن تقول عن ذلك شيئًا بعد، ولكنى وُفِّقت إلى استكشاف عظيم.

كاتــــرين : استكشاف آخر؟

الدكتـــــور : أجل. (يجمعهم كلهم حوله ويقول لهم فى السر قولـــة واثق) هو هذا فثقوا، إن أقوى رجل فى العـــالم هـــو الذى يقف فى الدنيا وحيدًا(*).

كاتـــــرين : (باسمة وهازَّة رأسها إعجابـــــاً) توماس، توماس!

بتّـــــــرا : (بروح التشجيع حين تقبض علـــى أيـــدى أبيهـــا) والدى!

«انتهت رواية عدو الشعب»

(*) قال الطغرائى:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوِّل فى الدنيا على رجل



عندما نبعث نحن الموتى

ترجمـــــــــــــة: محمود سامى أحمـــد

مراجعـــة وتـــقديم: درينــــى خـــــشبة



مقدمة

إبسن والمذهب الرمزى

يلجأ الناس إلى الرمز فى الدين أو الفلسفة أو السياسة أو الأدب، ولاسيما الشعر، إذا كانوا يخافون من الجهر أو المصارحة بآرائهم، فتراهم يرمزون وأحيانا يغمضون ويلغزون، ومن ثم كان الرمز شيئًا قديمًا فى تاريخ الإنسانية... لجأ إليه المصريون القدماء وهم يلفِّقون أساطيرهم التى تجسم الآلهة للعامة، وحذا حذوهم اليونانيون وهم يحاولون تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرًا مجسدًا يفهمه الشعب... بل نحن نجد قدرًا كبيرًا من الرمز فى الكتب المقدسة... ونجده بارزا فى أناشيد سليمان وفى رؤيا يوحنَّا... ونجد أفلاطون يستعين به حينما يقول إنه من الأيسر أن تقول عن الشىء ماذا يشبه، من أن تقول عنه ماذا هو... بل نجد الأفلاطونية الحديثة تغلو فى الأخذ بالرمز غلوًّا شديدًا.... ثم نجد العرب يفتنون به وهم ينهلون من موارد الفلسفة اليونانية... ونجد الهيئات السرية وشبه السرية تستعين به فى التبشير بآرائها، كما يتضح ذلك فى رسائل إخوان الصفا ولاسيما الرسالة الحيوانية، بل نجد المتفلسفين يتخذونه

وسيلتهم المفضلة فى مداعبة غلاة المتدينين من خصومهم الفكريين، كما نلمس هذا فى رسالة الغفران ورسالة الملائكة والفصول والغايات وكثير من شعر اللزوميات لأبى العلاء المعرى، ورسالة حى بن يقظان لابن الطفيل الإشبيلى ورسالة التوابع والزوابع لأبى عامر القرطبى، وفى كثير من قصص ألف ليلة وليلة وقصص كليلة ودمنة... بل نجده ظاهرة عامة فى أشعار المتصوفة المسلمين الذين قد نعجب إذا عرفنا أنهم هم الذين أثروا بفلسفاتهم الغامضة الإلهية فى كثيرين من رواد المسرح الأيرلندى الحديث.

ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لجأ هنريك إبسن منذ سنة ١٨٦٤ على وجه التقريب إلى الرمز فى مسرحياته، وإن كان المسرح - وبالأحرى المسرحية - هى أصعب وسيط أدبى من وسائط الرمز الفكرى؛ إذ الوسائط الرمزية المادية فى عالم المسرح كانت شيئًا معروفًا فى عصر إليزابث... وذلك حينما كانوا يكتفون فى الرمز إلى الغاية بإظهار شجرة على المنصة، أو الرمز إلى وجود جيش أو جيشين متحاربين بإظهار خيمتين كلٌّ منهما فى جانب، أو إظهار عرش يجلس عليه الملك ليرمزوا إلى وجود بلاط ملكى وحاشية ملكية وهكذا... وذلك لأنهم لم يكونوا يعرفون المناظر المسرحية المعقدة التى ظهرت فيما بعد... على أن الرمز الأدبى - وبالأحرى المسرحية الرمزية - كانت شيئًا معروفًا قبل عصر

إليزابث... وحسبنا أن نتذكر آخر طور من أطوار تدرُّج المسرحية الدينية، وهو طور المسرحية الأخلاقية morality لندرك أنها كانت لونًا من ألوان المسرحية الرمزية، وإن فضّلوا أن يلحقوها بفن المجاز allegory وليس بفن الرمز symbolizing.

أما الأسباب التى جعلت إبسن يتخذ من المذهب الرمزى وسيلته المفضلة فى التبشير بآرائه وتصوير انتقاداته للمجتمع الذى كان يعيش فيه، فهى نفس الأسباب التى اضطرت المفكرين من قبل إلى سلوك هذه السبيل... لقد كان إبسن - كما بيَّنا ذلك فى مقدمتنا لمسرحيته «أعمدة المجتمع» يعيش منطويًا على نفسه، ينظر إلى نقائص المجتمع الذى يعيش فيه ويتحين الفرص لمهاجمة هذه النقائص والتشهير بها، ولأن هذا المجتمع كان يبادل إبسن العداء فقد آثر إبسن أن يروِّضه بالأسلوب الإيحائى suggessive الذى يلقى فى روع قارئه أو المستمع إليه معانى غير المعانى السطحية التى يسهل على أبسط العقول إدراكها فى غير مشقة أو عسر، وهو ما يقوم به الأسلوب الصريح المعبر expressive الذى يخلو من اللف والدوران.

أما سنة ١٨٦٤ التى سبقت الإشارة إليها فهى السنة التى ظهرت فيها معالم المذهب الرمزى جلية واضحة فى مسرحية إبسن «المطالبون بالعرش» Pretenders، والتى صور فيها نضالاً بين رجلين يدَّعى كل منهما الحق فى اعتلاء عرش النرويج، أما أولهما

هاكون، فذلك الرجل الذى قُدَّت إرادته من حديد، والذى يثق فى نفسه وفى أحقيته بالملك ثقة لا تتسرب إليها إثارة من الشك ولا تعتريها إمارة من التخاذل، وأما الآخر سكول، فرجل خيالى هيَّاب، ومتخاذل شديد التردد، وإن انطوى على مزايا لا يتحلى الأول بشيء منها، وفضائل عليا يفتقر هاكون إلى بعضها. ويستمر الصراع حتى ينتهى بفوز هاكون وهزيمة سكول، والمسرحية تاريخية، ويرجع عهدها إلى القرن الثالث عشر.

وقد كتب إبسن هذه المسرحية فى وقت بدأت فيه المنافسة تشتد بينه وبين مواطنه وصديقه الكاتب المسرحى المشهور بجورنسون Bjornson (١٨٣٢ - ١٩١٠) أيهما تتم له الزعامة فى ميدان الكتابة المسرحية فى النرويج. والإجماع على أن إبسن إنما صور فى هذه المسرحية تلك المعركة بينه وبين مواطنه آنذاك. وقد كاد يرمز بهاكون إلى صديقه، وبسكول إلى نفسه. والعجيب أنه كان صادقًا فى وصف ما يمتاز به كل منهما، وتصوير ما تضطرب به نفسه هو بالذات من تردد وتخاذل وتهيُّب فى إبَّان تلك المعركة المسرحية التى نعلم كلنا، ويشهد العالم كله، بأن الغلبة فيها إنما كانت من نصيب إبسن آخر الأمر، وإن كان بجورنسون هو الغالب وقت المسرحية.

على أن بعض مؤرخى إبسن يرجع عامين إلى الوراء، أى إلى سنة ١٨٦٢، وبالأحرى إلى السنة التى ظهرت فيها مسرحيته

«ملهاة الحب» Love's Comedy التى يُعدُّونها الفجر الصادق فى ظهور الرمز بأقوى مجاليه فى مسرحيات الكاتب الكبير؛ ذلك أن المسرحية تقوم على فكرة كان يبشر بها فى الرابعة والثلاثين من عمره الطويل. وخلاصة الفكرة كما كان ينطق بها إبسن هى «أنك إذا أردت الزواج فلا تقع فى الحب، فإذا وقعت فى الحب فالفراق الفراق!» وهو يوضح الفكرة بتصوير أربعة رجال مختلفى المشارب، قس ومحام وطالب لاهوت وشاعر، ولكل منهم حبيبة يهواها، ثم لا يكاد يتزوج منها حتى تفتر علاقات المحبة التى كانت تربط بين قلبى كل حبيبين؛ ذلك لأن الزواج فى رأى إبسن فى ذلك الوقت كان يؤدى إلى الفتور فى العلاقات الروحية. وقد أثارت المسرحية الرأى العام على إبسن، حتى لقد رفض البرلمان الموافقة على المنحة التى كان صديقه بجورنسون يعمل على منحها إياه لإتاحة السفر له إلى وسط أوروبا، وهو الذى غمر الروابط الدينية التى تقوم عليها عقدة الزواج فى تلك المسرحية، ممثلة فى شخصية قس الكنيسة الذى يظهر فى آخر المسرحية ومن حوله عدد كبير من ذراريه، فى حين يفر الثلاثة الآخرون بسعادتهم من زوجاتهم، بعد أن يتبينوا سخافة الغلطة التى جنوا بها على حبهم بهذا الزواج القائم على الشرائع والتقاليد!

لقد كانت زلة سبَّبت متاعب كثيرة لإبسن، لكن إبسن - الذى كان لا ينسى أنه الشخص الذى وصف نفسه بما وصفها به فى

شخصية سكول لم يفكر فى التوبة أو الإنابة، ولم يزدد إلا نقمة على رجال الدين وإلا عداوة للتقاليد والمجتمع، حتى كانت الأزمة التى اعتدت فيها ألمانيا على جارة النرويج الشقيقة دانمرك، والتى حاول جهده أن يدعو بلاده لكى تخف إلى نصرة الدانمرك بكل ما تملك، ولو انتهت النصرة إلى هزيمة النرويج نفسها. لكن النرويج تخاذلت ولم تلق بالا إلى صراخ إبسن، وانتصرت ألمانيا العسكرية على الدانمرك الوديعة المسالمة، واقتطعت من أرضها الولاية الجنوبية بأكملها. عند ذلك اشتد سخط إبسن على بلاده، وملأ نفسه الغيظ على شبابها بصفة خاصة، ثم انعكس هذا كله فى رمزيته الخالدة «براند» Brand، وهى المسرحية التى قدمنا خلاصة وافية عنها فى كتاب «أشهر المذاهب المسرحية» وقد ظهر فى المسرحية أثر زعيم الوجودية الأول كيركجارد فى تلميذه إبسن. وكيركجارد فى ذلك الوقت هو فيلسوف الدانمرك البلد الشقيق المهزوم الذى طالما ندد بحقارة عصره وضعة المجتمع وتخاذل النفس البشرية أمام المادة، وغلبة روح المساومة عليها، مما ردده إبسن فى رمزيته العظيمة، وأرسله على لسان هذا القس براند بطل المسرحية الذى كان يؤمن بأن الشيطان ليس شيئًا إلا غلبة الأطماع المادية على نفوس الناس، وانثناء إرادة البشر أمام المغريات والشهوات، ومن ثمة رفض منصبًا فى كنيسة كبرى، ورفض الإقامة فى جو أدفأ يتوقف على انتقاله إليه شفاء ابنه الوحيد، وفضل أن يهزم الشيطان الذى ليس شيئًا غير هذه

المغريات والمساومات، وذلك برفضه هذا المنصب وإيثاره البقاء حيث هو فوق الآكام الثلجية الوبيلة المهلكة، وبين أولئك الذين أحبوه حتى يُتِم لهم رسالته، وإن كان هذا الإيثار قد كلّفه حياة ابنه الصغير، ثم حياة زوجته التى كانت تطيعه وتجلُّه وتحبه وتقدسه، وبهذا خسر كل شيء... حتى نفسه... وحتى محبة العامة الذين كانوا يجلُّونه ويقدسونه عندما أغراهم الرؤساء وأولو الأمر بالعودة إلى حقولهم ومصائدهم، وحينما أقنعوهم بأن براند رجل معتوه خيالى لا يقودهم إلا إلى المهالك، تمامًا كما كان إبسن يدعو قومه إلى نجدة الدانمرك، وإن جرَّت عليهم نجدتهم لها الهزيمة التى لم تكن لتصيبهم إلا فى شيء مادى مؤقت، لكنهم كانوا لا يخسرون شرفهم وإنسانيتهم التى كانت تحتم عليهم الانتصار الفعلى لجيرانهم فى موقف محنتهم. إن براند هنا يدعو كل فرد فى هذا المجتمع الجبان الفاسد المتخاذل إلى التحرر من موبقات مجتمعه، وحقارات البيئة المحدقة به، وتفاهاتها، وبالأخص من دناياها الروحية، وهو نفسه ما كان ينادى به كيركجارد. لقد كان براند قسًّا وأبًا روحيًّا للشعب الذى حوله، وكان فى الوقت نفسه يخاصم أمه لأنه اكتشف أنها تزوجت من أبيه لمصلحة مادية فهجرها براند لهذا السبب، وهجرها سنين طويلة عسى أن تتوب وتتخلص من المال الذى آل إليها بعد موت أبيه، ولعلها سرقت هذا المال حتى لا ينتفع أصحاب الحق فيه بشيء منه، ثم مرضت الأم... وأحست بدنو الأجل، فأرسلت إلى ولدها القسيس

ليحضر وفاتها وليباركها. ولكن براند يرسل إليها مشترطًا أن تتنــزل عن كل مالها الذى استولت عليه بالطريقة التى تعرفهــا، وتــرفض الأم، وتتوسل إلى الابن أن يكون التنازل عن بعــض المــال، عــن نصفه أو ثلاثة أرباعه، ولكن براند يصرُّ على أن تفعل أمه ما أشــار هو به... ولكن... من! إنها ترفض... وترفض، وترفض... وتموت دون أن يراها ابنها ودون أن يباركها. ويكون إصــراره هنــا أشــبه بإصراره بعد ذاك وهو يرفض أن ينقذ ابنه الحبيب، حتــى لا يفــرِّط فى حق ربه الذى عاهده على ألا يضعف فى أداء رسالته، وتكــريس حياته كلها من أجلها. وهذا هو الالتزام الذى توجبه الوجودية المتدينة التى لا تفرط فى عهد عاهدت ربها عليــه، الوجوديــة التــى تكفــر بالجماعة وتؤمن بالفرد، ومن ثمة تتجهم الديمقراطية وتكبِّر من شأن الفردية، مما نراه جليًا واضحًا فى شخصية دكتور ســتوكمان بطــل مسرحية «عدو الشعب»، وفى براند الــذى يكفــر بــرأى الأغلبيــة والجماهير كما يكفر بها ستوكمان، ويؤمن بالسماء التى فى نفوســنا وليست السماء الزرقاء التى يؤمن بها المهرَّجون.

لقد أراد إبسن أن يضرب المثل لمواطنيه فصور لهــم برانــد الذى لم يجزع ولو مرة واحدة من الموت، ولم يجبن فلم يقــدم علــى الفداء حينما يكون الفداء هو العمل الذى لا مفر منه ولا معدى عنه.

وفى سنة ١٨٦٧ أخرج لهم الصورة العكسية، الصورة المضادة لشخصية براند، وذلك كما صورها فى شخصية «بيرجنت»، ذلك الشاب المراهق الفحل الذى امتلأت رأسه بأحلام السكارى وأمانى المراهقين الكسالى الذين لا يكفون عن التمنى ولا يعملون شيئًا لتحقيق أحلامهم فى دنيا الواقع، أولئك السلبيون الذين يريدون أن يكونوا ملوكًا وهم فى واقع أمرهم أفاقون صعاليك. إنك إذا رجعت إلى خلاصة «بيرجنت» فى الكتاب المذكور آنفًا لم يصعب عليك أن تدرك أن بيرجنت هذا كان يرغب فى أن يكون فردًا، وفردًا عظيمًا له ذاته وشخصيته... لكنه أخفق فى بلوغ تلك الغاية، لأنه كان يطلب المجد من غير طريقه الصحيح؛ لقد كان يواجه الظرف من الظروف فلا يفكر إلا فى مصلحة يحققها أو أمنية كانت تجول بقلبه ولعلها أن تتحقق إذا اهتبل فرصة ذلك الظرف. لقد كان يقول لوالدته إنه سوف يصبح قيصرًا عظيما، فلما هام على وجهه فى صحارى الجليد، غير عابئ بتلك الفتاة سولفيج الفقيرة التى أحبته وشملته بعطفها وحنانها، لأنه كان يجرى وراء مطمح مادى صرف، ثم انتهى إلى مملكة الأقزام، ولقيه ملكها وعرض عليه أن يزوجه ابنته، قبل بيرجنت راضيًا مبتهجًا لأن هذا الزواج يدنيه خطوة من القيصرية التى كان يحلم بها على الرغم من أن عروسه ابنة الأقزام كانت مخلوقًا شائهًا لم يتفتح لها قلبه، وإن تفتحت مطامعه وأحلامه فى العز العريض

والجاه الرخيص، ولم يكد يقضى معها ليلة حتى فرَّ مع الفجر، جاريًا وراء أحلامه التى لا تنتهى.

إن بيرجنت هو الصورة المجسمة، أو الصورة الرمزية لشباب النرويج كما تخيلهم إبسن، الشباب المائع الذى يحلم ويحلم ويسترسل فى الحلم ولا يكف عن التمنى، ثم لا يعمل شيئًا إيجابيًا يحقق به أحلامه، شيئًا شريفا تسنده نفس شريفة، شيئًا جديًا يدل على أن وراءه نفسًا لها إرادتها النقية التى لا تلين ولا تنثنى فى طلب المحامد، الشباب الذى يساوم ويلبس لكل حالة لبوسها من التلون والنفاق.

لقد هجر بيرجنت فتاته سولفيج ليندفع فى سلسلة من المغامرات الحسية المادية الغريبة، ومن أجل غايات مادية رخيصة يحققها بالكذب والخداع وأحيانًا بالقتل، لا يبالى أن يخسر الآخرون مادام أنه يظفر بالربح فى كل مغامرة، حتى تتعب نفسه المريضة آخر الأمر، ويتملكها اليأس، حينما يرى بيرجنت أنه خسر كل شىء... ومتى؟ بعد أن أدركته الشيخوخة وواجهه الموت فى صورة هذا السبَّاك الذى لقيه بعد أن نجا من الغرق؛ فإذا هو قد سئم حياته وإن لم يسأم البقاء... ولو فى الجحيم، بعد أن زايلته إرادة الخير والرغبة فى عمل صالح يفيد منه العالم الذى حوله، ولا تقتصر فائدته عليه هو فحسب. إن بيرجنت فى محنته النفسية هذه يفيق على صوت رقيق حنون، فإذا الصوت صوت سولفيج التى خانها ولم يعبأ بحبها.

وكان ينتظر فى مثل هذه الحال أن تلعنه، فإذا هى تخف لنجدته، وتنقذه من براثن يأسه، وتبعد عنه شبح اليأس، الذى هو الموت، ممثلاً فى صورة السباك، فإذا سألها وهو يدس رأسه فى حجرها من الحياء والخجل أين كانت كل هذه السنين التى غاب فيها عنها، إذا هى تقول: إنك لم تغب عنى قط «لقد كنت ملء إيمانى، ملء آمالى، ملء حبى!».

يا عجبًا، إن هذه هى الصورة العظيمة التى صورها لنا إبسن سنة ولم ينسها قط، لم ينسها أبدا، لم ينسها فى معظم مسرحياته الاجتماعية الخالدة التى كتبها بعد ذلك، والتى ظل يكتبها اثنتين وثلاثين سنة منذ أن كتب «بيرجنت» حتى كتب لنا آخر مسرحياته، هذه الآية العظيمة: «حينما نبعث نحن الموتى» التى كتبها سنة ١٨٩٩، وعاش بعدها سبع سنوات لم يكتب خلالها شيئًا حتى وافاه الموت سنة ١٩٠٦... فلماذا؟ ولماذا نراه بعد «بيرجنت» التى جعلها هى وسابقتها «براند» رمزًا خالصًا، فإذا هو يغلِّب الناحية الاجتماعية على الناحية الرمزية فى إنتاجه مدى ثلاثين عاما ونيِّفًا، وإن لم تخل مسرحية واحدة من قدر كبير من الرمز اللطيف الذى يذكِّرنا بفن الكاتب حينما كان كاتبًا رمزيًّا خالصًا، بل حينما شق الطريق لأول مرة فى تاريخ المسرح الحديث للمذهب الرمزى، كما سنورد قصة المذهب الرمزى فيما بعد.

ونعود فنتساءل عما حدا بإبسن العظيم، وبعد أن بلغ الحادية والسبعين من عمره، إلى العودة إلى المذهب الرمزى الخالص، يكتب منه هذه المسرحية التى تقرب أن تكون سيمفونية يغلب فيها الفن وتغلب فيها الفلسفة على الموضوع؟ هل أراد أن يجعلها لحنه الأخير المفضل الذى يعزفه بين يدى الموت، ويودِّع به الحياة قبل أن يحين منتهاها بسبع سنوات؟ ماذا أراد إبسن؟ ترى ألحَّ به الشوق إلى ألحانه القديمة فأراد أن يرددها؟ أم ماذا؟

لا هذا ولا ذاك، فالخيط متصل فى مسرحيات إبسن كلها ولم ينقطع... ثم الذى حدث فى أواخر القرن التاسع عشر من صحوة المذهب الرمزى، وظهور كتاب رمزيين كثيرين، منهم فاجنر ومنهم ميترلنك، جعل إبسن يجول معهم فى الميدان.

ولكن لهذا موضعه من الحديث، فلننتظر.

* * *

الأستاذ روبك Rubek رجل فنان وصانع تماثيل عالمى الشهرة، وهو يقضى الصيف الآن مع زوجته الشابة الحسناء، مايا، فى مصيف من تلك المصايف الجميلة المعروفة بحماماتها وسحر مناظرها وفتنة الطبيعة التى تتبرج من حولها، بين شاطئ البحر ومهاوى الجبال النرويجية الشاهقة المجللة بالثلوج والغابات

والأشجار، الحانية على الخلجان الرفيعة الثعبانيـــة المعروفـــة باســـم الفيوردات... وكان الزوجان قد عادا من رحلة فى أنحاء العالم، ثم لم يكد يستقر بهما المقام فى دارهما الخلاوية البديعة التى بناها الفنـــان لزوجته الجميلة على ضفاف بحيرة تونتز Taunitz، وفى أبدع ناحية من تلك الضفاف، حتى شعرت الزوجة بالقلق وبـــالفراغ فاقترحـــت على زوجها الفنان أن ينتقلا إلى هذا المصيف من مصايف الـــشمال، فلم يملك إلا أن يلبى رغبتها، لأنه كان مثلها يشعر من حوله بفـــراغ رهيب... رهيب... يكاد يجعل كل شيء من حوله ومن حول زوجته الجميلة الحسناء سكونا موحشا، وصمتا يشبه الـــبكم. والعجيـــب أن نزولهما بحمامات هذا المصيف البديع لم يبدل من أمر هـــذا الفـــراغ شيئًا، بل لم يخفف من حدة السكون الموحش الـــذى يتـــسرب إلـــى نفسيهما فيجعل كل جلبة وكل ضوضاء من حولهما سكونًا رهيبًا قالت عنه مايا، أو مسز روبك، إنها تسمعه... تسمعه ويملأ أذنيها!

وتشكو مايا إلى زوجها من هذا الشعور بـــالفراغ والإحـــساس بالسأم، ومن طول هذا الضرب فى الآفاق وبين الغابات، هكـــذا بـــلا هدف، وأنها منذ أربع سنوات وهى تشعر بالملال الذى يجعلها فـــى شبه غربة روحية... وهنا يستدرك روبك فيقول وهو يبتسم: أى منذ أن تزوجنا! ولكن مايا تنظر إليه مشدوهة لتقـــول لـــه: ومـــا لهـــذا وزواجنا! وهل تظن أن الذى تغير منا هو... أنا؟

ويقول روبك إنه كان يشعر، إذ هما فى القطار يطوى بهما الرحب إلى أرض الوطن، أن القطار يتلكأ، ويقف فى كل محطة بلا سبب، وإنه كان يحس فى كل محطة بوجود شخصين من العمال يقطعان الرصيف جيئةً وذهابًا، وأحدهما يحمل مصباحًا، وهما يتبادلان فى الظلام حديثًا مختلفًا لا معنى له.

وتلتفت مايا إلى زوجها لتقول له بدورها: «هذا صحيح، ثمة دائمًا اثنان يسيران جيئةً وذهابًا، وهما يتحدثان».

فإذا قال لها إن عليها أن تنتظر الزورق البخارى الذى سوف يبحر بهما فى الغد لينطلق بهما نحو الشمال حول الشاطئ، نحو البحر القطبى، إذا مايا تقول له: «أجل، ولكنك لن ترى إذ ذاك شيئًا من الأرض، أو أحدًا من الناس... وهذا هو بالذات ما أنت فى حاجة إليه».

ويقول روبك إنه ليس فى حاجة إلى شىء مطلقًا، فلقد رأى من الدنيا الكثير، ولم يعد ينقصه شىء فى ذلك العالم. لكن مايا تؤكد له أن ثمة شيئًا ينقصه، وهذا أمر لا شك فيه، وأن على روبك أن يحدثها صراحة عن هذا الشىء... فلقد لاحظت أن حالاً، بل أحوالاً من القلق، تستولى عليه، وأنه لا يكاد يستقر على حال. ثم هو ينفر إلى الخلاء سواء فى الوطن أو بعيدًا عن الوطن ليضرب فى عالم

المجهول بعيدًا عن الناس. ثم تقول له مايا إن ما أزعجها أكثر من ذاك هو أنه لم يعد يجد لذة فى عمله ولا ميلا إلى مواصلة فنه، وهو الذى كان من عادته الإقبال على هذا العمل من الشروق إلى الغروب. إنه منذ أن فرغ من تمثاله الأعظم الذى سماه «يوم البعث»، ذلك التمثال الذى حفر اسم روبك فى أبرز صفحة فى سجل الخالدين، وأذاع اسمه فى أرجاء الدنيا كلها، وهو لا يعمل شيئًا إلا تلك التماثيل النصفية البشعة التى يوصى بها أصحابها ويدفعون فيها ثقلها ذهبًا، وهى مع ذاك لا تظهرهم إلا حميرًا وثيرانًا وقردة. يقول عنها روبك إنها لقوم غوغاء. وما فائدة أن يظل الإنسان يعمل طول حياته للجماهير والغوغاء؟

«إن ما أعمله يامايا ليس تماثيل نصفية، إنها أشياء ذات معنيين. إن ثمة شيئًا كامنا مختبئا فى هذه التماثيل وخلفها، سرًّا لا يستطيع غيرى أن يراه. إنى أضفى على ظاهرها المشابهة الكاملة، كما يقولون، المشابهة التامة التى يقف أصحاب هذه التماثيل أمامها وقد فغروا أفواههم من الدهشة، ولكن من تحت هذا الظاهر لا تجدين إلا وجوه خيل وحمير وجماجم كلاب مبتورة الآذان وخنازير سمينة بليدة ذات خراطيم قبيحة، إنها الحيوانات المستأنسة التى احتقرها الإنسان ثم إذا هى فى هذه التماثيل تطل إليه وتحقره».

وتغير مايا مجرى الحديث، ثم تذكره بوعد كان وعدها به، هو أن يأخذها إلى قمة جبل عال رفيع الذرى، لكى يريها العالم من فوقه... العالم كله. فإذا روبك يضحك ويقول لها إنها لم تخلق لكى تكون متسلقة جبال. ثم إن هذا الوعد لم يكن إلا حيلة منه، كان يحتال بها على أقرانه من الأطفال ليغريهم بالخروج معه والضرب فى قمم الجبال ومجاهل الغابات. فإذا قالت له إنها كانت يومًا ما تصلح فى نظره لتسلق القمم، زفر زفرة طويلة يائسة، ثم قال لها: كان هذا منذ أربع سنوات أو خمس. يا لها من فترة طويلة... طويلة... يا مايا!

وتحزن مايا لما تشمه فى زفرة زوجها من هذه الحال، وتقول له إن مظهره يدل على أن فى نفسه حاجة يضمرها ويحاول جهده أن يخفيها عنها. وقبل أن يجيب روبك يرى مفتش الحمامات قادمًا، وبعد سلام خاطف يسأله عما إذا كان من عادة أحد هنا أن يستحم فى البحر ليلاً؟ إنه يلاحظ شبحًا يتهادى إلى الشاطئ فى ظلام الليل أو غبشة القمر، يتبعه شبح آخر... فهل من المرضى هنا من يأخذ حمامًا ليليًّا؟

ولا يمضى طويل حتى تبدو من بعيد سيدة نحيفة القد رشيقة القوام متشحة بثوب رقيق من الكشمير الخفيف، وفى أثرها تسير راهبة بكامل بزتها الكهنوتية... ويشير روبك إلى السيدتين ليقول للمفتش إنهما هما اللتان رآهما غير مرة ذاهبتين إلى الشاطئ. فمن هما؟ ويجيبه المفتش إنها ضيفة وصلت إلى الحمامات منذ أسبوع،

وأنها فى الغالب إن لم تكن روسية فهى نرويجية، ونرويجية من أهل الشمال، لأن لهجتها لهجتهم.

ويخفق قلب روبك، وتلاحظ زوجته مايا ذلك فتسأله ساخرة:

لعلها يا روبك كانت إحدى نماذجك فى أيام الشباب! فتش عنها فى ذاكرتك! إن الناس يقولون إن نماذجك كانت شيئًا كثيـرًا لا يقـع تحت حصر.

ويجيبها روبك والذكريات تجرفه:

كلا أيتها الصغيرة مايا، إننى ما اتخذت فى حياتى الفنية كلهـا سوى أنموذج واحد، وأنموذج واحد فحسب لكل ما صنعته!

ويستأذن المفتش فى الانصراف لأنه يرى مخلوقًا من الناس لا يحب أن يلقاه. لكن هذا المخلوق يستوقفه من بعيد بلهجة عاتيـة، أو لهجة آمرة... إنه مستر أولفهايم Ulfheim صائد الدببـة، الرياضـى الهِرَقلى الخلقة، الذى لا يمر بهذه الجهة إلا مرة فى كل عـام، وقـد تبعه من قرب خادمه لارز ومعه كلبان كبيران وحشيَّان من كـلاب الصيد.

ولا يكاد مستر أولفهايم يرى مستر روبك حتى يسبَّ آباءه إن لم يكن هذا الذى يراه هو الفنان المثَّال العجوز مستر روبك، الكلـب

الريفى الضال الذى لم يكن قد أصاب من الشهرة ما يتمتع به اليـــوم، والذى كان يعــرفه حينما لم يكن يأنف من أن يمســـه أى كلب قذر، أو صائد كهذا المخلوق البشع مستر أولفهايم.

ويثير منظر الرجل قدرًا كبيرًا من الفضول فـــى نفــس مايـــا فتتدخل فى الحديث. ويقول لها مستر أولفهايم إنه صائد دببة، وصائد أى شىء تجود به الفرصة إنـــه يـــصيد النـــسور ويـــصيد الأيائـــل والوعول، ويصيد النساء أيضًا، لكنه يفضل صيد الدببة. «إننـــى أنـــا وزوجك نعمل فى مواد صعبة، إن مستر روبك يعالج الرخام وكتـــل الحجارة، أما أنا فأعالج الدببة ذات العضلات المـــشدودة المكتنـــزة، وكل منا يكسب معركته فى النهاية وينتصر على المادة التى يعالجها مهما قاومت».

وحينما تقول مايا إنها لم تتسلق الجبال قـــط يبـــادر أولفهـــايم فيقترح أن تصحبه هى وزوجها فى رحلته إلى أعلى قمم النـــرويج، حيث الثلوج والغابات. فإذا قال روبك إنه ينتوى القيام برحلة بحريـــة يجوب فيها القنوات والفيوردات سخر منه صائد الدببة، واســـتنكر أن يطوف فنان مثل روبك بهذه القنوات والبالوعات القذرة. «بل خير لك أن تصعد معى إلى العلالى، بعيدًا عن حبائل الناس وقاذوراتهم».

ولكن أولفهايم يسكت فجأة عندما يرى الراهبة خارجة من ظلة في حديقة الفندق، لم لا يلبث أن يقول: «انظر، هل ترى غراب الليل الذى هناك؟ ترى من ذا الذى سوف يدفنونه الليلة!؟»

لقد خلب هذا الرجل المتوحش لبَّ مايا، وهو لا يكاد يقترح عليها الذهاب معها ليريها كلاب صيده حتى تنصرف معه، دون أن تستأذن زوجها روبك، زوجها الذى لا يلبث أن يرى تلك السيدة النحيلة، صاحبة الخيال الليلى الذى كان يتشح بثوبه الغريب وهو ذاهب إلى البحر. يراها تقبل فتجلس إلى إحدى المناضد، فإذا عيناه تعلقان بها، وإذا هى تثير من وراء السنين الطويلة ذكرى عزيزة حزينة، يا للمفاجأة!... ماذا أتى بها إلى هنا لتوقظ فى روع الفنان كل هذه الأحلام النائمة التى حسب أنها أصبحت فى عداد الموتى!؟ إنها أيرين، أيرين نفسها، أيرين نموذجه القديم الذى أوحى إليه بآية آياته... وتمثاله الذى أكسبه المجد ودوام الذكر.

وتكون لحظات خاطفة ثم يعرف كل منهما صاحبه.

إن أيرين تعجب من أن الأستاذ لا يزال حياً يرزق، بل حى يرزق ويجلس إلى تلك المرأة التى كانت معه هنا... تلك اللحظة. فإذا قال لها إنها زوجته، قالت له: «إذن فهى إنسان لا علاقة لى به! إنسان عشت معه بعدى!».

ثم تسأله أيرين عن ابنهما، طفلهما، طفل روبك وأيرين الذى أصاب الشهرة والمجد، تمثاله «يوم البعث» الذى تحدثت عنه الدنيا بأكملها والعالم بأجمعه؟، إنها طالما تمنت لو سحقت هذا الابن، ذاك التمثال... وجعلته جذاذا، قبل أن تترك آرنولد، تعنى الأستاذ روبك، فقد كان هذا هو اسم غرامها حينما كانت تهوى روبك بل تعبده. وحينما كان هو لا يعيش فيها إلا لفنه، ولا يعبد فيها إلا تمثاله وعمله، ولا يعرف فيها إلا أنموذجه. ولذلك كرهت هذا الابن، ولاسيما بعد أن وقف يتلألأ فى أضواء المجد والشهرة، بينما هى واقفة فى ظلام يأسها من حبها الذى لا تجد له استجابة فى قلب حبيبها الغريق فى أمواج فنه. الفنان الذى كانت أيرين تتبرج له وتبدى له من مفاتن جسدها البض، ومحاسنها التى لا نهاية لها، فلا يبدو من ذلك شىء أبدًا فى قلبه، إلا ما ينعكس على صفحة التمثال، وملء قسماته وسماته. ولذلك أيضًا كرهت الأستاذ كما كرهت تمثاله وفنه، بل كرهت مفاتنها ومحاسنها، وكرهت نفسها والدنيا التى من حولها، ثم هامت على وجهها لتفر من تلك اللعنة التى تسميها الحب، ويسمِّيها حبيبها الفن. وطافت ببلدان شتى، واشتركت بجسمها، لا بروحها، فى حفلات الاستعراضات الراقصة... العارية، فكانت أنهار الذهب تنسكب تحت قدميها... الشىء الذى لم تعرفه ولم يكن لها به عهد فى جوار روبك. وراحت جيوش من الرجال يجنُّون بها، يهبونها الحب الذى حرمها منه الأستاذ. لكن قلبها كان مغلقا دونهم

دائما، وإن تكن قد قبلت آخر الأمر الزواج من سياسى مشهور فى أحد بلاد أمريكا الجنوبية، كان رجلاً عظيما، لكنها اتخذت منه ألعوبة تعذبها وتسقيها المرار حتى انتحر. وكان طيبا جدا فى هذا الانتحار، لأنه لم يجشمها هى إطلاق الرصاص على جمجمته لتستريح من حبه المجنون الأبله. كما استراحت من زوجها الثانى، ذلك الروسى الأحمق الذى قتلته بخنجر كانت تحتفظ به دائما بين طيات فراشها، وكما قتلت أبناءها العديدين الذين كانت تقضى عليهم واحدًا بعد واحد بمجرد أن يولدوا.

ولا يصدق روبك كلمة واحدة مما تقوله أيرين، إنها تقول إنهم أتوا إليها بعد ذلك وقبضوا عليها، ثم ربطوا يديها خلف ظهرها، ودفنوها حية تحت قبر مسور بقضبان الحديد، حتى لا يسمع من فوق القبر صراخ من تحت القبر. ولكن، ها هى ذى الآن قد بدأت تستيقظ، تستيقظ بصورة ما من بين الموتى.

ويسألها روبك عما إذا كان هذا كله بسببه، فتقول: «نعم، بسببك، لقد خدمتك بكل طيبة ووفاء وإخلاص، لكنك كنت تتصامم، ولا تسمع صراخ الطبيعة فى أطواء جسمى الذى كنت أعرض مفاتنه تحت نظراتك التى لم تلتهب أبدًا، أبدًا، لأنك كنت مشغولاً عن هذا بفنك، بتمثالك، بيوم البعث ممثلا فى صورة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت!

ويقول لها روبك: «إنما هذا لأننى كنت أنظـــر إليـــك نظـــرة قُدسية. كنتِ عندى شيئًا علويا مطهرا، يجب ألا يمس إلا فى صـــلاة وعبادة. كان يخيل لى يا أيرين أننى إذا لمـــستك أو اشـــتهيتك دنـــت روحى، فلا يمكننى إتمام العمل العظيم الذى كنت أتوق إلى إنجـــازه. ومازال فى هذا بعض الصدق، ولولا هذا لما تم هذا العمل الذى لـــك الفضل كل الفضل فى إتمامه. لقد أردت تجسيم المرأة الطاهرة كمـــا كنت أتخيلها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى جديد أو مجهـــول أو غير مقدس. المرأة التى يملؤها الفرح السماوى حينما تجد نفـــسها لم تتغير، إنها هى نفسها المرأة الأرضية، ولكن فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية. تقوم بعد نوم طويل خال من الأحلام، هكذا كنـــت أرى تلك المرأة فى صورتك يا أيرين!»

وتقول له أيرين: وبعد ذلك انتهيت منى! لم تعد لك حاجة فىَّ! ثم بدأت تبحث عن نموذج ثان وثالث يا آرنولد! يا ترى، أى قـــصائد نظمتها من الرخام والمرمر بعد أن تركتك؟ ولكن، قل لى، ما شـــأن تلك المرأة التى تعيش معها؟

ويجيبها روبك: لا، لا تتحدثى الآن عنها، فإن ذلـــك يملـــؤنى عارًا، وخزيًا.

وتسأله: سمعتكما تتحدثان عن رحلة، فإلى أين؟

ويقول لها إنها رحلة بحرية حول الشاطئ. فتقول لـه: «بل عليك أن تصعد إلى القمم، إلى. إلىَّ أنا يا آرنولد.

عند ذلك تدخل مايا لتقول له إنها لن تذهب معه في تلك الرحلة البحرية، وإنها تود أن تتسلق القمم مع هذا الرجل، صائد الدببة الذى حكى لها كل محير ومدهش من مغامراته.

وترى أيرين فتسأله عنها، فيقول إنها صديقة قديمة. ثم يقول لها إنها تستطيع أن تصحب صائد الدببة إلى حيث تشاء وإلى أبعد ماتريد، لأنه ربما ذهب إلى نفس المكان. فتتركه فرحة وتدخل الفندق، بينما تتقدم إليه أيرين لتقول له إنها طالما بحثت عنه، ومنذ تلك اللحظة التى تذكرت أنها أعطته شيئًا ثمينًا لا يمكنها الاستغناء عنه. فيبتسم روبك ويقول لها: أجل، لقد أعطيتنى من شبابك ثلاث سنوات أو يزيد، بل كل جمالك العارى لأعبده وأتفرس فيه.

وتبتسم أيرين ابتسامة حزينة وتقول له: بل أعطيتكَ ما هو أثمن، أعطيتك أنفس هداياى كلها، أعطيتك روحى الفتيَّة الحية، وقد جعلنى هذا فارغة خاوية، جثة بلا روح، ولا دفء ولا أمل...!

وهنا تظهر الراهبة على باب الظلة، فتنصرف أيرين إلى الظلة، بينما يقف الفنان البائس يتمتم باسمها: أيرين، أيرين!

ويتغير المنظر، فتكون فى مصحة مونقة من مصحات الجبال،قريبة من نهيرات ثلجية بعضها ذو خرير، وأصوات أطفال تتردد بعيدا وتصل ثرثراتهم موسيقى عذبة، وقد جلس روبك مستغرقًا فى تأملاته. وإذا مايا، زوجته التى بدأت تستيقظ هى أيضًا، تُقبل من بعيد وهى فى لباس الصيد، صيد الدببة وتسلق الجبال طبعًا، لتقول لزوجها إنها كانت تبحث عنه، وإنها معتزمة أن تصحب هذا الرجل الوحشى - مستر أولفهايم - فى رحلة اليوم أيضا لصيد الدببة فى الوهاد المنخفضة، وأنها ربما قضت الليلة هناك، إذا سمح لها زوجها بذلك. ويقول لها إنه لم يعد يملك أن يسمح لها أو لا يسمح لها بشىء، وإن كل الذى يطلبه منها هو أن ترعى حدود الاحتشام قليلا وهى مستلقية هكذا فوق الحشائش، ترفع ساقًا وتخفض أخرى!

ويطلب إليها أن تجىء فتجلس بجانبه لكى يحدثها حديثا لا ينبغى لأحد أن يسمعه، لكنها تفضّل البقاء حيث هى.

ويسألها روبك عما إذا كانت تعلم السر فى قيامها بتلك الرحلة؟ وإلى هذا المكان بالذات؟ وتجيبه بأن الأمر أهون مما يظن، فلاشك فى أن هذه السيدة النحيلة هى التى اجتذبته إلى هنا، السيدة التى كانت أنموذجه بلا شك فى يوم من الأيام، حينما كانت تقف أمامه عارية كيوم ولدتها أمها.

وينفى ذلك روبك، وإن اعترف أن هذه السيدة، مسز ساتو، أو أيرين، كانت أنموذجه يومًا ما حقًا. ثم يقول إن الذى جعله يقوم بتلك الرحلة هو ميله إلى شىء من التغيير، وهنا تقول له مايا: «لقد تعبت من دوام صحبتى، فمنذ أربع أو خمس سنوات مملة مميتة ونحن نعيش وحيدين وبمفردنا دون أن نفترق ساعة. إنك يا روبك لستَ رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظل وحيدًا. لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض علىَّ أفكارك، وأنا لا أستطيع أن أبادلك الحديث عن فنك الذى لا أعرف ما هو، والذى لا يهمنى فى قليل أو كثير، والزمن يمر هكذا، ويفر منك يا روبك، وقد يكون هذا هو الذى جعلك غير مرتاح البال، وتشعر بالقلق. فلماذا، لماذا لا تكون صريحًا وتقول إنك تريد أن تتخلص منى؟ قل ذلك وأنا أرحل عنك فى الحال، وإلى الأبد، إن مواصلة حياة كهذه من المحال».

ويقول روبك: «أمن الضرورى أن يستدعى ذلك فراقنا؟ فراقًا أبديًّا؟ إن ما أريده هو رفقة شخص يمكن أن يكملنى ويتمم الناقص فىَّ، شخص أكون أنا وهو شيئًا واحدًا فى عملى، وهذا شىء ليس فى طبيعتك يا مايا، لكنه فى مسز ساتو، التى هجرتنى وفرت منى بعد أن أنجزت تمثالى «يوم البعث» وبعد أن عشت فيها وعاشت فىَّ، وعشنا معًا فى التمثال عامًا ونصف عام مستغرقين فى تفكير قدسى عميق. ثم ماذا صنعت بعد أن تزوجنا؟ تلك التماثيل النصفية التى

كنت أخفى تحتها وجوه حيوانات وأمساخا بهيمية! لقد أحسست منذ ذلك الوقت أن كل ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما إلى هذه الترهات ليس فى حقيقته إلا هراء وشيئًا فارغًا لا معنى له. لقد ضحيت بالحياة فى سبيل هذه الرسالة، نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجبال خيرًا ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياته حتى الموت فى جحر مظلم كئيب، جحر رطب قذر، يصارع باستمرار كتل الرخام وركام الأحجار؟ إن الفنان لم يخلق ليبحث عن السعادة فى ظلال اللهو والكسل، إن الحياة فى رأيى ورأى أمثالى من الفنانين الآخرين ليست كذلك. إنها عمل مستمر، عمل بعد عمل حتى آخر لحظة فيها. إنك تقولين إننى تعبت منك، أجل، لقد تعبت كل التعب، وضجرت، وانحلت قواى من تلك الحياة التى أحياها معك. أقول ذلك وإن كنتِ لا ذنب لك أبدًا فى هذا، إننى أجتاز محنة يا مايا، ولابد لى من العودة إلى حياتى الحقيقية. إننى منذ أن رأيت تلك السيدة الشاحبة لم أستطع أن أكفَّ عن التفكير فيها. إن ههنا (مشيرًا إلى صدره) صندوقًا مقفلاً يا مايا، لم يتضح منذ أن أغلقته مسز ساتو وأخذت معها مفتاحه، ثم انطلقت لا أدرى إلى أين، وقد ظل الكنز دفينا فى هذا الصندوق لا يمكن الانتفاع به، وجعلت السنون تمر، ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز».

وترى مايا ضرتها أيرين وقد جلست عند أحد الينابيع القريبة تداعب الماء هناك، فتتبه روبك إلى وجودها، لكنه يكون ناظرًا نحو أنموذجه الحبيب زائغ العينين شارد اللبِّ، فتذهب هى إليها وتقول لها إن روبك، الأستاذ القديم، ينتظرها هناك، لتفتح له صندوقًا مغلقًا.

وتتصرف مايا، تنصرف إلى ما تحب وما تهوى، وتقبل أيرين على الأستاذ. ويتناجيان من فورهما، لكنه لا يستطيع أن ينظر فى عينيها، فإذا سألته قال لها إن ضميره يثقل عليه ويعذبه، فتطرب أيرين وتقولك: أخيرا، هكذا أخذ ضميرك يعنفك، ولكن، لا، دعنى أجلس جانبك، فقد عدت إليك إذن، عدت إليك من رحلة لا نهائية، عدت إلى وطنى، إلى سيدى ومولاى، إلى الرجل الفنان الذى أخذ - بلا مبالاة أو اهتمام - جسدًا حار الدماء، حياة إنسانية شابة، وانتزع منها الروح، لأنه كان فى حاجة إلى وضعها فى عمله الفنى، عمله الذى لم أحببه قط، لأنه كان يحول بينى وبين قلبك. لقد كنت أكره الفنان الذى فى داخلك، لأنه هو الذى كان يحرمنى منك ويعذبنى، وإن كنت قد أحببت تمثالك، لأنه كان ابننا سويًا، كان هو الذى يربطنا، طفلى وطفلك «يوم البعث» كما سميته، قل لى: ماذا أضفت على التمثال بعد فراقنا؟».

ويحدثها عما أحدثه فى التمثال وما أضاف إليه من القاعدة، ومن مجموعة أخرى من الناس، رجال ونساء لهم وجوه كوجوه

الحيوانات كما عرفهم فى الحياة على حقيقتهم. وكيف أنه جعل أيرين فى الخلف، وجعل نفسه فى الأمام إلى جانب ينبوع فى صورة رجل مثقل بالذنوب، ولا يعرف تمامًا كيف يتحرر من هذه الأرض، وقد سماه الندم».

وتربّت أيرين على شعره فى حنان وغفران وتسميه شاعرًا، شاعرًا مسكينًا. فإذا سألها عن ذاك قالت له لأن فى اسم الشاعر شيئًا من العذر الذى يوحى بغفران الخطايا والتغاضى عن الخطايا.

ويتناجيان، ويروى لها روبك كيف أنه هدم كوخهما الجميل، كوخ الذكريات، وأنه بنى مكانه دارًا خلاوية مشرفة على بحيرة تونتز، وأنه يعيش فى هذه الدار مع تلك المرأة الأخرى، المرأة الأخرى؟ فما أبعد ما جاءت التوبة متأخرة، متأخرة كثيرًا.

ويقول لها: «فهلاَّ تحبين أن تأتى لتعيشى معنا فى تلك الدار، كما كنا نعيش فى أيام الخلق؟ إنك وحدك تستطيعين إخراج ما هو مغلق فىَّ. أليس كذلك يا أيرين!؟ أرجوك، أتوسل إليك، ساعدينى على أن أحيا حياتى مرة أخرى، ساعدينى!».

ثم يكفّان عن النجوى حين يريان مايا فى لباس الصيد، ومعها هذا الوحش أولفهايم، ومن ورائهما حارس الصيد لارز ومعه كلابه الضارية... وحين تنظر مايا إلى زوجها ساخرة متشفية تقول له:

«إنى ذاهبة لكى أحيا حياتى... كما يحيا الآخرون». وهنا يقول لها روبك: «إذن ستفعلين أنت ذلك أيضًا يا صغيرتى مايا؟». وتجيبه: «أجل، وإنى لأعتقد أننى استيقظت الآن. وأخيرًا، فقر عينا ياروبك، وأتمنى لكما ليلة صيف سعيدة، فوق القمم!». ويقول لها روبك: «شكرًا، وكل الحظ السيِّئ الذى فى الدنيا كلها لك، ولصيدك». ثم ينظر إلى أيرين ليقول: «ليلة صيف فوق القمم، هذه هى الحياة، ألا نقضى تلك الليلة معا فوق المرتفعات يا أيرين؟».

ولكنها تنظر إليه مذعورة، قائلة إن وجه الراهبة يحملق فيها من بين الشجيرات «ابقَ هنا، وسألقاك بعد قليل لتقضى ليلة صيف سعيدة فوق المرتفعات. يا للسموات! إننا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوض إلا حينما نُبعث نحن الموتى! يخيل إلىَّ أننا لم نعش قبل اليوم قط!».

ثم تنطلق، وترسل غناءها الجميل بين الآكام، ومن ورائها الراهبة تتبعِها كظلها.

* * *

ونحن الآن فوق ناصية هاوية مخيفة فوق جبل أشم، والشمس لما تشرق بعد. وقد وقف أولفهايم يناوش صيده الثمين، يناوش مايا التى سئمت محاولاته السمجة طوال الليل، وراحت تهدده بأنها ستلقى

بنفسها إلى الهاوية إن لم يدعها وشأنها لتعود إلـــى الفنـــدق قبــل أن يستيقظ أهله، ولكن أولفهايم يتحداها أن تفعل، فتجبن... ثم تسأله عما دفعه إلى إبعاد الحارس لارز هو وكلابه؟ أليس ليخلو الجو للـــشيطان كى يفعل ما يريد؟ ويبتسم أولفهايم ويعترف بأن هذه هى وسائله دائمًا كلما شاء أن يقع على صيد ثمين. وتحاول أن تنزل إلى الجرف الذى فى أول الطريق إلى الفندق، لكنها ترى الموت بعينيهـــا إذا فعلـــت، فيطلب إليها أن تدعه يساعدها، يحملها فوق ظهره مثلا، أو يجعلهـــا ملء ذراعيه. فتطلب إليه أن يكف عن هذا الهذيان، وعند ذلك يقص عليها قصة تلك الفتاة التى انتشلها من الأوحال ورفعها حتى جعلهـــا فوق قلبه، وكان يحسب أنها ستظل فوقه طول العمر. ولكـــن، مـــاذا كانت جائزته؟ لا شىء إلا تلك القرون البارزة فى رأسه.

وتسأله مايا عن تلك القلعة التى كان حدثها عنها، والتى قـــال إنه يملكها هنا، والتى فتك فيها رجل وحش مخيف بابنة الملك يومًـــا فيشير إلى كوخ حقير أقذر من حظيرة الخنازير، ويقول لها: «إنهـــا هذا الكوخ، فهل تتفضلين بالدخول؟ إن من الممكـــن أن يكـــون هـــذا الكوخ، أو تلك القلعة، جنة لاثنين ينعمان فيها ليلة صـــيف مباركـــة، أو صيفًا بأكمله أن أرادا!».

ولا ترى مايا بدًّا من محايلة هذا الوحش ومهادنته، فتطلب منه أن يسير بها إلى أسفل الجبل، وتدعه يحملها بين ذراعيه الجبـــارتين،

ثم لا يكادان يتقدمان حتى تنظر مايا فترى زوجها وصاحبته يعترضان الطريق من قريب، فترتد مذعورة، وتسأل الوحش عما إذا كان من الميسور أن يمرا دون أن يراهما روبك؟ لكن الوحش يقول لها إن من المحال أن يحدث هذا، فالطريق ضيقة لا تكاد تتسع لاثنين، فكيف بأربعة؟

ويراها روبك فيهتف بها: «مرحبًا مايا، ها نحن قد التقينا مرة أخرى. هل كنتما فوق الجبل طوال الليل، كما كنا؟».

وتقول له مايا: «أجل، لقد أذنت لى أنت بذلك، كنا نصطاد!».

ويفتخر روبك بأنه قد تسلق الجبل دون مرشد، فيقول له أولفهايم: «لكنك بلغت مرتقى صعبًا لا يمكنك التقدم عليه أو الهبوط منه، وها هى ذى العاصفة توشك أن تهبَّ، وهى أشبه بأكفان الموتى. ولا أستطيع أن أساعد على الهبوط أكثر من شخص واحد، فاحتم بذلك الكوخ حتى أرسل إليكما من يهبط بكما، وسيأخذونكما بالقوة إن أبيتما. هيا يا مايا، ضعى ثقتك فى، وأسلمينى زمام أمرك».

وتنظر أيرين حولها فى جزع وتقول لروبك: «أرأيت ياروبك؟ سيأتون ليعودوا بنا بالقوة، رغما عنا. وستكون معهم تلك الراهبة الملعونة ومعها بذلة المجانين، لقد رأيتها معها بعينى هاتين، وستلبسنى إياها. ولكن، لا عليك، فأنا أعرف كيف أحمى نفسى».

ثم تستل خنجرًا صغيرًا من ثيابها.

ويطلب إليها أن تعطيه الخنجر ولكنها ترفض، وتقول له إنها كانت قد أعدته لتقتله به، ولاسيما عندما أخبرها وهما جالسان على شاطئ بحيرة تونتز أنها لم تكن فى حياته إلا قصة، ثم لم يمنعها من قتله إلا أنها أدركت أنه ميت، ميت مثلها تمامًا، ميت لأنه رجل لا يعرف الحب، على الرغم من التمثال الحى الذى كان يقف أمامه عاريًا ممتلئًا بالجمال والمفاتن».

ويقسم لها روبك أن قلبه عامر بحبها الذى لم يمت قط، فتقول له: «إن الحب المتصل بالحياة الأرضية، الحياة الأرضية الجميلة العجيبة، الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا».

ويسألها: «ولكن، أتعرفين أن هذا الحب بالذات لا يزال يحترق ويغلى فى أعشار قلبى كما لم يكن يغلى من قبل؟».

فتقول له: «وأنا؟ أنسيت من أكون أنا؟ المرأة التى وقفت لمئات الفنانين عارية بعدك!».

فيقول لها: «كونى من تكونين، فأنا الذى دفعتك إلى هذا حينما كنت أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحب، والحياة، وكل ما يحدث بعد ذلك لم ينقص من قدرك فى نظرى مثقال ذرة، ومازالت أمامنا فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين».

أما أيرين فتقول له: «لقد ماتت فىَّ الرغبة فى الحياة، يا آرنولد، لقد بعثت وبحثت عنك حتى وجدتك، ولكنى حينما وجدتك رأيت أنك والحياة... ميتان كلاكما! إن المرأة الشابة فى تمثالك يوم البعث تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقد على قاعدتها».

ويتوسل إليها روبك أن تسمح لهما بالتمتع بالحياة لحظات «قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى... ولكن ليس هنا فى هذا الجو الغائم القاتم، حيث يخفق حولنا هذا الكفن المبتل الكئيب».

ولكن أيرين تأبى، تأبى إلا الصعود إلى القمة، حيث النور وحيث مجد الأمجاد كلها، إلى أعلى، إلى قمة الموعد. ثم يتعانقان لأول مرة فى حياتهما! ثم إذا هما فى دنيا غير هذه الدنيا، الدنيا الحقيقية، ويسير الزوجان السعيدان إلى القمة. إلى السحاب والضباب، إلى الثلوج، إلى شفا الهُوَّة، وما الموت فى هذا الموقف!!

وهناك، تكون الراهبة المفزوعة المفغورة الفم واقفة، لترى شبحين سعيدين يسقطان. وتنادى الراهبة سيدتها أيرين، ثم ترسم علامة الصليب قائلة: «السلام لكما وعليكما!».

* * *

وبعد، فهذه خلاصة مبتسرة - على طولها - لتلك المسرحية الرمزية العجيبة التى كان إبسن ينتوى أن يسميها: «نشيد الختام»

أو كـما يـقول مترجـمه الإنجـليزى العظــيم وليــم آرشـر: The Dramatic Epliogue فعاد فسماها «عندما نستيقظ نحن الموتى» أو «عندما نبعث نحن الموتى» كما آثر الأستاذ المترجم أن يـسميها، والتى كان يود أن يكتبها شعرًا فكتبها نثرًا، وإن لم تخل من الـصبغة الشعرية التى لا ينقصها إلا النظم. إنها مسرحية حيَّرت النقاد والذين يعجبون بإبسن، ولا تزال تحيرهم فى أمر الكاتب المسرحى العظـيم، والذى هو بالإجماع أبو المسرح الحديث! ماذا أراد بها؟ إنها من غير شك تخالف فى مظهرها كل هذه السلسلة التى أخرجها فـى ثلاثـين عامًا تقريبا.

هل استيقظ إبسن آخر الأمر، وبعد أن تجاوز السبعين، فتنبـه إلى أنه كان يدعو إلى باطل حينما دعا الناس إلى المُثل العليـا فـى مسرحياته، وإلى تضحية رغائب نفوسهم فى سبيل هذه المثل؟ أكـان هذا باطلاً وعبثًا؟ وإلى أن الحياة، الحياة الحقة فى نظره، وبعد أن بلغ السبعين، هى إيثار اللذة وإشباع عواطف النفس وانفعالاتها، ومطالب الحب والقلب، على مطالب الفن، ومطالب الكمال فى كل عمل يقـوم به الإنسان؟ وهل هذا حقًّا هو ما تنبه إليه روبك الفنان العجوز، ومـا تنبه إليه إبسن الفنان العجوز أيضًا، ولكن بعد أن ضاعت الفرصـة، وشاخ العمر، وطوَّح روض الحياة، ووقـف المـوت يـدق بيديـه الجبارتين المخوفتين باب المثال وباب الكاتب؟

إن وليم آرشر، مترجم إبسن إلى الإنجليزية، يفضل أن نعترف بأن الكاتب ألف نشيد ختامه هذا بعد أن غلبته الشيخوخة، وتسرب إليه وإلى نفسه المرض، ومن ثمة هذا الزمام الذى أفلت منه حينما راح يتكلم بلسان روبك، مبديًا أسفه العميق على الحياة التى ولَّت، والمعين الذى نضب، واللألاء الذى خبا، دون أن ينعم روبك، ودون أن ينعم إبسن، ودون أن تنعم أيرين بالحب الذى أتيحت لهم فرصته، فسمح لها الفنان الواهم بأن تفلت، وبأن تظل مفلتة هكذا حتى يولى العمر، ويشيخ الشباب، ويصبح الإنسان فى كل منهما، أو كل منهم، غير قادر على شىء!

ما هذا! إنَّ هذا هو الذى كان يقوله خصوم إبسن ونقاده فى إبسن، والذى لم ينفكوا يقولونه منذ أن كتب «ملهاة الحب» ومنذ أن ظهرت «براند» و «بيرجنت» وما تلها ذلك كله حتى «السيدة من البحر» و«شيخ البنائين».

إننا نعرف أن إبسن كان بزواجه، وأن زوجته كانت تملأ عليه الدنيا كلها نشاطًا وحيوية، وأنها كانت تلازمه كظله، وتذهب معه إلى آخر الدنيا، وتوفر له الهدوء والسكينة اللذين لا يستغنى عنهما كاتب أو شاعر أو فنان، وأنها كانت أبعد النساء من أن تكون شبيهة بمايا زوجة مستر روبك فى هذه المسرحية. مايا تلك المرأة الشابة الفارغة الرأس – على الرغم من جمالها وحسنها – والتى لم تكن تدرى فيم

تنفق وقتها، ولهذا لم تقو على ملء حياة الفنان كما كانت تملؤها أنموذجه أيرين من قبل. ومن ثمة لم يستطع أن ينتج إلا تلك التماثيل النصفية التى تخفى تحت سطحها أرواح الحيوانات والبهائم، بينما أوحت إليه أيرين بتمثاله وآية آياته: «يوم البعث».

إننا لا نحب أن نجارى وليم آرشر فى هذا التشاؤم والنظرة السوداء إلى نشيد ختام إبسن، ونحن لا نراه قد خالف نفسه أو ناقضها منذ أن كتب ملهاة الحب أو براند أو ما تلى هاتين المسرحيتين من رمزيات أو مسرحيات واقعية فيها قدر من الرمز قل أو كثر. إننا نؤثر أن نقول إن إبسن كان يفضل للفنان روبك ألا يفزع من تقاليد عصره، تلك التقاليد التى كانت تنهاه ظالمة ألا يتزوج من أنموذجه، لأن الأنموذج الذى يتجرد عاريًا للفنان على النحو الذى كانت تقوم به أيرين جدير بأن يفقد احترام المجتمع. لقد ظلم روبك نفسه بتحريمه على نفسه تلك الفاكهة الحلال حين لم يتزوجها، ولا عبرة مطلقا لما ادّعاه لأيرين وهى تجادله فى هذا التحنث الذى كان يبديه نحوها، والذى يتمحل له الأعذار، فيقول لها إنه كان ينظر إليها نظرات مقدسة طهرية، وكان يأنف أن يدنسها بهذا الشيء الذى يسمونه الحب، حتى يأتى تمثاله قدسيًّا مطهرًا مثلها. هذا إسراف فى الخيال والوهم العذرى، إذا صح أن نسمى هذا وهمًا عذريًا. والأفضل أن نعلل هذا الانصراف عن أيرين بما سقناه من خوف

روبك من التقاليد، فحرم نفسه تحت وطأة الخوف منها، من شـــريكة حياته الأصيلة، والمرأة التى ذاب حسنها فى تمثاله، ثم راح ليتـــزوج مايا زواجًا تقليديًا لا يزعجه القيل والقال، ناسيًا أن قلبه مع أيـــرين، فكانت الكارثة. ولم يزل قلب روبك ينبض بحب أيرين، ولـــم يـــزل يحنُّ إليها، ولم يزل فى هذا الفراغ الكئيب والوحشة المهلكة التى كان يشعر بها، كلما رافق مايا أو سافر معها أو عاشرها تلك المعاشـــرة الجسدية الباردة. ولم تغب هذه الوحشة عن مايا، مايا الحلوة الـــشابة التى لها كل حقوق الزوجة والإنسانة، والتى لم تضع فرصتها حينمـــا أتيحت لها، وحينما اعترف لها روبك بكل مايشعر به من هذا الفراغ المهلك والوحشة الوبيلة، فقررت فى الحال ألا تكـــون لـــه، بعـــد أن أضاعت من عمرها معه تلك السنون الأربع أو الخمس، فلم تكد تلقى الوحش أولفهايم حتى رأت فيه فرصة النجاة ومحقق رغائب الـــنفس البشرية. وهكذا ذهبت معه، ثم هبطت معه هـــذا الهبـــوط الرمـــزى الظريف، بينما صعد روبك بعد فوات الأوان مع أيرين، أيرين التـــى شاخت كما شاخ روبك، إلى أعلى القمم، بعد أن تنبـــه إلـــى غلطتـــه الكبرى التى جنى بها على نفسه وعلى منية القلب وحبيبـــة الـــروح، ولكنه صعد بها إلى شفا الهاوية، ومهب العاصفة، ليسقطا من عـــلٍ، وليلفهما الموت فى أكفان من ثلوج.

هذا هو التأويل الذى نفضّله، والـذى لا يتعـارض وماضـى إبسن، ولا يمس حياة الطهر والإعزاز التى كانت تربطـه بزوجتـه. ولعل ماقرره فى «ملهاة الحب» من أن الحب، الحب الشاب الملتهب، ينافى روح الزواج الذى لا يرمى إلا إلى بناء الأسرة، وهو ما كـان يرمى إليه من تلك الملهاة اللطيفة. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما يلاحظ من وجود أوجه شبه كثيرة فى تضاعيف هذه المسرحية وبين معظـم مسرحيات إبسن السابقة عليها. ولعل خاتمة براند تذكرنا بخاتمتهـا، والخلاف بين غاية كل من المسرحيتين حادث من أن إبسن لم يكـن يكرر نفسه، وناشئ أيضًا من أنه، وإن يكن مهـدودًا مـن الكتـاب الواقعيين، بل إنه هو الذى شق للمسرح الحديث طريق الواقعية، كان يصبغ شخصياته بتلك الصبغة الرمزية التى تجعلها، أو تكاد تجعلها، شخصيات غير واقعية، أعنى شخصيات لا نكاد نجد لها نظيرًا فـى واقع الحياة. ولعل هذا هو مفتاح مسرح إبسن كله، كاتب واقعى كما يخيل للقارئ أو المتفرج، أما الدارس فلشد ما يجد البون شاسعا بـين شخصيات إبسن وبين الشخصيات الواقعية، وهذه هى رمزية إبـسن. ولقد ضحى روبك بحبه فى سبيل التقاليد وفى سبيل غرض مـادى، هو تمثاله، كما ضحى براند بزوجته وابنه، وهما هنا حبه، فى سبيل مبدئه، وكما ضحى بيرجنت بسولفيج فى سبيل مغامراتـه الماديـة، وكما ضحى برنك فى أعمدة المجتمع، وكما ضحى جـون جبريـل

بوركمان فى المسرحية الموسومة باسمه، والتى كتبهـا إبسن قبـل مسرحيتنا هذه بعامين، والذى لا يكاد يتنبه إلى غلطته حتى يمـوت، وكما ضحى هالمر بنورا فى سـبيل ما كان يسميه كرامتـه فـى «بيت دمية». ونعود إلى «براند» لنلاحظ أن الكلمات الختامية التـى قالها براند قبل أن يلقى الموت تكاد تكون هى نفسها التى قالها روبك قبل أن تقذف به العاصفة هو وأيرين فى غيابة الهاوية.

وبهذا يكون إبسن هو هو لم يتغير، ولم يغلبه المرض كما ظن مترجمه أستاذنا آرشر، وإن لم يكرر نفسه أبدًا، صبغة الفنان الأصيل المقتدر.

*　　*　　*

والذين يفصلون بين الحركة الرمزية التى تزعمهـا الـشاعر الفرنسى ستيفان ملارميه (١٨٤٢ – ٩٨)، والتى اشتدت ريحها فـى أواخر القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد بـين عـامى ١٨٧٠ و١٨٨٦، والتى شدت أزرها تلك الجماعة التى عرفت بأنصار الفـن من أجل الفن، ذلك المذهب أو تلك الفكرة التى نادت بها وتحمست لها جماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفائيل، أو كمـا كـانوا يسمون أنفسهم The Pre-Raphaelite Brotherhood (مما تجد تفصيله فى مقدمة لإحدى مسرحيات أوسكار ويلد من تلك المجموعة)، نقول

إن الذين يفصلون بين تلك الحركة الرمزية وبين إبسن يغالون غلــوًّا شديدًا. فالمعروف أن الكتاب المسرحيين بخاصة، والذين ينتمون إلى هذه الحركة المذكورة، هم جميعًا تلاميذ إبسن قبل أن يكونوا تلاميــذ أحد سواه. وإن كان إبسن قد تأثر هو الآخر بمعاصــره الموســيقار الألمانى العظيم رتشارد فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣)، ذلــك العبقــرى الذى كانوا يطلقون علــى فنــه تلــك الكلمــة المركبــة الألمانيــة Gesammtkunstworke، أو العمل الذى يجمع كل الفنون فــى عمــل واحد. ونحن نذكر أن والدة إبسن كانت ألمانية الأرومة، وأنها كانــت موسيقارة، فضلاً عن غرامها بكل الفنون المتصلة بالموسيقى، وأنهــا لذلك غرست تلك الحاسة السادسة فى ابنها العظــيم، الــذى نلاحــظ الكثير من الجرس الموسيقى فى جميع مسرحياته، والذى كان كثيــر التردد على ألمانيا، يغشى مسارحها وأوبراتها، وينهل النمير العــذب من موسيقاها. ويكاد يُفتن افتتانًا بفاجنر الذى أخــذ عــن مــسرحياته الموسيقية عنايته الفائقة برسم شخصياتها، ثم استمرار الفعل فيها، ثم المحافظة فيها على الدافع الأصلى، أو ما نسميه اليوم الفكرة الأساسية أو Leitmotive، كما كان يسميه فــاجنر. وهــذه هــى الخــصائص الأساسية فى المسرحية الجيدة، التى ارتشف إبسن الشىء الكثير مــن فنها عن أستاذه الأول سكريب، مما ذكرنــاه فــى مقدمــة «أعمــدة المجتمع» هذا، عدا عناية فاجنر بألوان الألفــة الــصوتية والألحــان

المتسقة الساحرة، وتحاشيه ما أمكن تلك الفقرات العالية الصارخة التى تبدو «نشازًا» وسط إيقاع المسرحية العام، وهذا هو ما تتسم به رمزيات إبسن، وإن لم تكن مسرحيات موسيقية.

وثمة فارق كبير بين رمزيات إبسن ورمزيات الكثرة الكاثرة من تلاميذه أو الذين تأثروا به من الكتاب الرمزيين؛ ذلك هو أن إبسن خالف هؤلاء جميعًا فى أنه جعل فنه وكل رمزياته - ولا نستثنى منها «عندما نستيقظ نحن الموتى» - فى خدمة الحياة والمجتمع. الأمر الذى كان ينفر منه أنصار الفن للفن، وجماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفائيل، نفورًا شديدًا، وهل قامت الحركة الرمزية فى رأيهم إلا لونًا من ألوان رد الفعل ومقاومة المذهب الواقعى الذى كان يتزعمه إبسن، كما كان يتزعم الرمزية فى المسرح فى الوقت نفسه!؟

لقد كانت حجة أنصار الفن للفن - ولاسيما فى المسرح - أن المسرحية الواقعية التى تتناول مشكلة أو قضية من قضايا المجتمع ومشكلاته لا تلبث أن تصبح مسرحية غير ذات موضوع، أى قديمة، بمجرد أن يقضى المجتمع على تلك المشكلة ويحلها الحل الذى كتبت من أجله المسرحية، ومن ثمة راحوا يبحثون عما يجعل مسرحياتهم فنًّا خالصًا لا يتعرض لهذا التقادم، فنًّا أبديًّا يصلح للعرض فى كل زمان ومكان. ومن هنا نشأت نظريتهم فى الفن من أجل الفن، وهم

يؤيدون رأيهم ببعض مسرحيات إبسن نفسه، وبجميع مسرحيات كتاب المذهب الطبيعى. وقد نسى هؤلاء أن إبسن كان فى كثير من مسرحياته بعيد النظر مثل شيكسبير، وذلك حينما وجَّه الكثير من اهتماماته إلى النفس البشرية ذاتها، فكشف طواياها، وجلا لنا خباياها، ثم كان التجاؤه إلى المذهب الرمزى، مما يكسب الكثير من تلك المسرحيات جمالاً يضمن لها الخلود، ويبعد عنها آفة التقادم والبلى. لكن هؤلاء الرمزيين الذين يأخذون بفكرة الفن للفن يرفضون هذا أيضًا، إنهم يرفضون أن يكون الفن فى خدمة أى شىء إلا خدمة الفن نفسه. وقد غلا نفر منهم فجعلوا الفن والأدب قاصرًا على كل ما يجلب اللذة ويحقق الرغائب الخسيسة، وهؤلاء هم المنحطون أو Decadents منهم. وقد لغا بعض النقاد ممن لم يفهموا مسرحية «حينما نستيقظ نحن الموتى» ومسرحية «ملهاة الحب»، فجعلوا إبسن منهم فى هاتين المسرحيتين. وكان هؤلاء – أو أكثرهم – يلجأون إلى الغموض والإلغاز وما يشبه التعمية والهلوسات التى لا يكاد قارئهم يفهم منها شيئًا.

ثم ظهر قسم آخر من الكتاب الرمزيين، الكتَّاب المتسامين الذين يعطونك فنًّا رفيعًا نظيفًا، ولكن لا شأن له بقضايا المجتمع ومشكلاته. وكان سيد هؤلاء الكتاب غير مدافع الكاتب البلجيكى موريس ميترلنك (١٨٦٢ – ١٩٤٩) الذى لا شك فى تأثره بإبسن،

وإن كان تأثره بفاجنر أقوى وأوضح. ومن هــؤلاء أيــضا أنطــون تــشيخوف (١٨٦٠- ١٩٤٠)، ثــم ليونــد أنــدرييف L. Andreyev (١٨٧٠ - ١٩١٩) الكاتب المسرحى والقصاص الروسى الملغــــز، ثم مواطنه نيقولا آفرينـــوف صاحــب مسرح الــــروح ومبتكـــر مسرحيــة Monodrama أو المسرحية التى يقوم بتمثيلها ممثل واحد.

ثم كان قسم ثالث بالطبع يضم أولئك الكُتَّاب الذين تلمذوا تلمذة كاملة على إبسن، أولئك الذين كانوا يكثرون من الرمز لكنهم يهدفون إلى غايات اجتماعية ونفسية للارتقاء بالقطيع البشرى. ومن هــؤلاء برنارد شو، وإن كان يُصرُّ على غير ذلـــك فـــى كثيــر جــدا مــن مسرحياته، ثم أوجين أونيل، وكثيرون مــن كُتَّــاب وســط أوروبــا وسكانديناوة.

أَلا ما أعظم الدَّيْن الذى يدين به المـــسرح الحــديث وكتابــه الرمزيون، بل كتاب من جميع المذاهب المسرحية، لإبــسن العظــيم الخالد، الذى لا يكاد ينتهى عنه الحديث مهما طال، ومهمــا تــشعب، وهل إبسن إلاَّ حديث طويل متشعب؟ ولا يمكن أن ينتهى أبدًا! وهــل يمكن أن ننتهى منه إذا مضينا فى المقارنة بينه وبين تلاميذه هؤلاء؟

درينى خشبة



شخصيّات المسرحية

* الأستاذ أرنولد روبك Arnold Rubek: مثّال.
* السيدة مايا روبك Maia Rubek: زوجة مفتش الحمامات.
* أولفهايم Ulfhaim: أحد ملاك الأراضى.
* سيدة غريبة A Stranger Lady.
* راهبة A Sister of Mercy.
* خدم – زوار للحمامات – أطفال.

تقع حوادث الفصل الأول فى بناء للحمامات قرب الشاطئ.

وتقع حوادث الفصلين الثانى والثالث بالقرب من مصحة عالية وسط الجبال.



الفصل الأول



المنظر:

ساحة خارج فندق الحمامات وقد بدا جزء منه إلى اليمين، والمكان فسيح، أشبه بمنتزه فيه نبع، ومجموعة من الأشجار العتيقة، ودغل من الشجيرات، وإلى اليسار ظلة صغيرة، تكاد تغطيها أشجار اللبلاب وغيرها من الأشجار المتسلقة الفرجينية. أمام الظلة منضدة وكرسى، ويبدو وراء الساحة منظر للفيورد (أى الخليج المستطيل) والبحر بما فيه من جزائر صغيرة ورءوس بحرية تبدو من بعيد.

الوقت: صباح يوم مشمس من أيام الصيف، هادئ ودافئ.

فى الساحة الخارجية أمام الفندق يجلس الأستاذ روبك والسيدة مايا روبك على كرسيين مريحين من القش، وإلى جانبهما منضدة عليها مفرش، وقد انتهيا منذ لحظة من تناول طعام الإفطار، على المنضدة زجاجات شمبانيا ومياه معدنية، ومع كل منهما صحيفة.

الأستاذ روبك كهل، له وجه متميز، يلبس سترة من القطيفة السوداء وملابس صيفية خفيفة. والسيدة مايا شابة صغيرة ذات وجه مرح وعيون جميلة ساحرة، ولكنها شبه متعبة، وهى تلبس ثياب سفر أنيقة.

مايا : (تجلس مدة صامتة وكأنها تنتظر من الأستاذ أن يتكلم، ثم تترك صحيفتها تسقط من يدها وهى تتنهد فى عمق) يا للعجب، يا للعجب!

الأستاذ روبك : (ينظر من فوق صحيفته) ماذا يا مايا، ماذا جرى؟

مايا : ما عليك إلا أن تنصت لتسمع كيف يكون السكون هنا.

الأستاذ روبك : (يبتسم فى تدليل) أو يمكنك سماعه؟

مايا : سماع ماذا؟

الأستاذ روبك : السكون؟

مايا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : شيء لطيف، لعلك على حق يا طفلتى، فمن الممكن حقًا أن يسمع الإنسان السكون.

مـــــــايـــا : يعلم الله أنك تستطيع.. حينما يكون السكون شاملا عميقًا كما هو هنا.

الأستاذ روبك : أتقصدين هنا فى الحمامات؟

مـــــــايـــا : يخيل إلىَّ أن السكون يخيم على كل مكان نـذهب إليه هنا فى أرض الوطن. لا شك أن فى المدينـة جلبةً وضجيجا، ولكنى لا أدرى كيف أنـه حتـى الجلبة والضجيج فيهما شىء من الموت.

الأستاذ روبك : (بنظرة فاحصة) إنك لا يبدو عليك السرور لعودتك إلى الوطن يا مايا؟

مـــــــايـــا : (تنظر إليه) وأنت، هل أنت مسرور؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) أنا!؟

مـــــــايـــا : نعم أنت، أنت الذى سافرت إلى أبعد، أبعد كثيـرًا مما سافرت أنا، أسعيد أنت سعادة شاملة بعودتـك الآن إلى الوطن؟

الأستاذ روبك : كلا، وإن أردت الصراحة التامة فربما لـم تبلـغ سعادتى أقصاها.

مـــــــايـــا : (فى نشاط وحيوية) أرأيـت الآن! ألـم أدرك أنـا ذلك؟!

الأستاذ روبك : ربما طال بى البعاد عن الـوطن زمنًا مديـدا. وانسلخت تمامًا عن كل هذه الـ... هذه الحياة فى أرض الوطن.

مـــايـا : **(بلهفة وهى تقرب كرسيها منه)** أترى الآن يا روبك!؟ خير لنا أن نرحل ثانية وفى أقرب وقت!

الأستاذ روبك : **(بقليل من الضيق)** لا بأس، لا بأس، وهذا ما قررناه يا عزيزتى مايا، وأنت تعرفين ذلك.

مـــايـا : ولكن لم لا يكون ذلك الآن، وفى الحال؟ تصور الراحة والنعيم اللذين كنا ننعم بهما هناك فى دارنا الجديدة الجميلة.

الأستاذ روبك : **(يبتسم فى تدليل)** إن من حقنا أن نقول منزلنا الجديد الجميل.

مـــايـا : **(بعد قليل)** أفضل أن أسميها دارًا؛ فدعنا نسمها كذلك.

الأستاذ روبك : **(يثبت أنظاره عليها)** إنك لمخلوقة صغيرة غريبة حقًّا.

مـــايـا : أنا على قدر كبير من الغرابة؟

الأستاذ روبك : نعم، أظن ذلك.

مـــــــايـــا : أرجوك أن تخبرني عن السبب، ألأني ربما لا يشغفني التجول كثيرًا في هذه المرتفعات دون هدف؟

الأستاذ روبك : من منا الذي أصر كل الإصرار على أن نمضي هذا الصيف في الشمال؟

مـــــــايـــا : أقر أنني أنا التي أصررت.

الأستاذ روبك : على أي حال، ليست الفكرة فكرتي بدون شك.

مـــــــايـــا : ولكن يا لله! كيف كان يمكن أن يجول بفكر إنسان أن الوطن سيتغير كل هذا التغير؟ وفي خلال هذا الوقت القصير؟ العجيب أنه لم تمر إلا سنوات أربع منذ رحيلي.

الأستاذ روبك : منذ أن تزوجتِ، نعم.

مـــــــايـــا : تزوجت؟ وما دخل ذلك في الأمر؟

الأستاذ روبك : (مستمرًّا)... منذ أن أصبحتِ عروس الأستاذ ووجدت نفسك سيدة المنزل الجميل، عفوا، يجب أن أقول الدار الجميلة، وأيضا سيدة فيللا على بحيرة تونتز وفي المنطقة الراقية منها. إنها في

الحق يا مايا جميلة ممتازة ولا يمكن نكران ذلــك، وهى أيضًا متسعة فسيحة، وستغنينا ســعتها عــن الاصطدام باستمرار.

مــــــايــا : (بخفة) لا، لا، لا. إنها فسيحة وواسعة، ولن نفتقــر فيها إلى الرحابة والسعة، وما إلى الرحابة والسعة من أمور أخرى.

الأستاذ روبك : وتذكرى أيضا أنك عشت دائمًا فى وســط ممتــاز غير مقيد، بين جماعة أرقى من تلك التى عــشت بينها هنا.

مــــــايــا : (تنظر إليه) آه، أنت إذن تظن أن الذى تغيــر هــو أنا؟

الأستاذ روبك : طبعًا يا مايا.

مــــــايــا : أنا وحدى؟ وليس الناس الذين يعيشون هنا؟

الأستاذ روبك : أوه، نعم، إنهم تغيروا هم أيضا. وربمــا تغيــروا تغيرًا طفيفًا، ولكنى أقر بأنه تغير لــم يكــن فــى طريق ألطف.

مــــــايــا : حقًا، أظن أن الواجب يقضى بأن تقر بذلك.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) أتدرين مقدار تأثرى عندما ألقى نظرة على حياة هؤلاء الذين يعيشون حولنا؟

مـــــايــا : كلا، خبرنى.

الأستاذ روبك : إن ذلك يذكرنى بالليلة التى قضيناها فى القطار ونحن فى طريقنا إلى هنا.

مـــــايــا : عجبًا، إنك كنت نائمًا نومًا عميقًا طوال الوقت.

الأستاذ روبك : ليس تمامًا، لقد لاحظت كيف يخيم الصمت على جميع المحطات الصغيرة التى مر بها القطار، وقد سمعت الصمت... مثلك يا مايا.

مـــــايــا : هم، نعم، مثلى.

الأستاذ روبك : وهذا أكد لى أننا اجتزنا الحدود.. وأننا وصلنا حقًّا إلى أرض الوطن، وكان القطار يقف عند كل محطة صغيرة، وإن كان وقوفه بلا داع.

مـــــايــا : ولماذا كان يقف إذن، إن لم يكن هناك داع؟

الأستاذ روبك : لست أدرى، فلم يكن أحد يركب القطار أو ينزل منه، ومع ذلك كان يقف مدة تطول حتى لا تكاد تنتهى، وكنت أحس فى كل محطة بوجود اثنين من عمال السكك الحديدية يقطعان الرصيف جيئة

وذهابًا، وقد حمل أحدهما مصباحًا، وهما يتبادلان في الظلام، وبصوت غير معبر، حديثًا خافتًا لا معنى له.

مـــايـــا : نعم، هذا صحيح، يوجد دائمًا اثنان يسيران جيئة وذهابًا وهما يتحادثان...

الأستاذ روبك : في لا شيء. **(تزداد حيوية صوته)** ولكن انتظري حتى الغد، حين يرسو في الميناء القارب البخاري الكبير الفخم، الذي سيبحر بنا حول الشاطئ نحو الشمال قدمًا! نحو البحر القطبي رأسا.

مـــايـــا : نعم، ولكنك لن ترى إذ ذاك شيئًا من الأرض... ولا أحدًا من الناس، وهذا بالذات هو ما أنت في حاجة إليه.

الأستاذ روبك : **(في فجاءة وشراسة)** لقد رأيت ما فوق الكفاية.

مـــايـــا : أتظن أن حالتك تتحسن إذا قمت برحلة بحرية؟

الأستاذ روبك : الرحلة تغيير على أي حال.

مـــايـــا : حسن، حسن، ولكن لو أن الرحلة هي فقط ما أنت في حاجة إليه.

الأستاذ روبك : لي أنا؟ ما أنا في حاجة إليه؟ أنا لا ينقصني شيء في هذا العالم.

مــــــــــايــا : **(تنهض وتذهب إليه)** لا، بل ينقصك شيء يا روبك، وأنا واثقة من أنك أنت نفسك تدرك ذلك ولا بد.

الأستاذ روبك : كيف يا عزيزتى مايا؟ أى شيء يمكن أن ينقصنى؟

مــــــــــايــا : **(تقف خلفه منحنية على كرسيه)** هذا ما يجب أن تخبرنى به، فقد بدأت تتجول هنا وهناك دون أن ترتاح لحظة، ولم يعد فى إمكانك البقاء فى مكان واحد، لا فى الوطن ولا فى الخارج، وأصبحت فى الأيام الأخيرة ميالاً إلى اعتزال الناس.

الأستاذ روبك : **(بقليل من السخرية)** يا إلهى، هل لاحظت ذلك؟

مــــــــــايــا : كل من يعرفك يستطيع ملاحظة ذلك، وقد لاحظت أيضًا، وهذا ما أحزننى كثيرًا، أنك فقدت كل لذة فى عملك.

الأستاذ روبك : وهذا أيضًا؟ يا عجبًا!

مــــــــــايــا : أنت يا من تعودت العمل دون تعب أو كلال، طوال اليوم من الصباح إلى المساء!

الأستاذ روبك : **(فى كآبة)** تعودت هذا، نعم...

مــــــــــايــا : ولكنك منذ أن انتهيت من قطعتك الكبيرة الخالدة...

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه فى تفكير)** «يوم البعث»...

مـــــــايــا : ... القطعة الخالدة التى اشتهر أمرها فــى جميــع أنحاء العالم وجعلتك مشهورًا كل هذه الشهرة...

الأستاذ روبك : ربما كان هذا هو سوء الحظ يا مايا.

مـــــــايــا : كيف؟

الأستاذ روبك : عندما انتهيت من قطعتى الخالدة هذه. **(يحرك يـــده فى انفعال)** لأن يوم البعــث قطعـــــة خالـــدة! أو لعلهـــا كانت كذلك فـــى أول الأمـــر. لا، إنها ما زالت كذلك، ويجب، يجب أن تكون قطعة خالدة!

مـــــــايــا : **(تنظر إليه فى دهشة)** ماذا يا روبك؟ العـــالم كلـــه يعرف ذلك.

الأستاذ روبك : **(منكسا فى نفور)** العالـــم كله لا يعرف شـــيئًا! ولا يفهم شيئًا!

مـــــــايــا : ليكن، لكنه يستطيع على كل حال أن يقدس شـــيئًا ما.

الأستاذ روبك : نعم، شيئًا غير موجود، شيئًا لم يخطر لى ببال قط، آه، نعم، هذا ما يمكنهم أن يشغفوا به. **(يتمـــتم فى تذمر)** وما فائدة أن يظل الإنسان طوال حياته يعمل للغوغاء والجماهير، «للعالم كله»!

مــــــــايــا : أتظن إذن أنه خير لك؟ أتظن أنه يخلــق بــك ألا تفعل شيئًا سوى أن تصنع تماثيل نــصفية لــبعض الأشخاص بين حين وآخر؟

الأستاذ روبك : (**بابتسامة ماكرة**) إن ما أفعله يا مايا ليس بالضبط تماثيل نصفية.

مــــــــايــا : نعم، إن هذا هو الواقع ولاريب... طوال الــسنتين أو السنوات الثلاث الماضية، منذ أن انتهيت مــن مجموعتك العظيمة وأخرجتها إلى العالم.

الأستاذ روبك : ولكنى أؤكد لك مع ذلك أنها ليست مجرد تماثيــل نصفية.

مــــــــايــا : ماذا تكون إذن؟

الأستاذ روبك : إنها شيء ذو معنيين، شيء كامن مختبئ فى هــذه التماثيل النصفية وخلفها... سر لا يــستطيع أحــد رؤيته.

مــــــــايــا : حقًا؟

الأستاذ روبك : (مؤكدا) أنا وحدى الذى يــستطيع رؤيتــه، وكــم يسرنى ذلك سرورًا لا يوصف، أنى أضفى علــى سطح هذه التماثيــل «المــشابهة المذهلــة» كمــا

يقولون، تلك المشابهة التى يقفون جميعًا أمامها وقد فغروا أفواههم من الدهشة. (**يخفض صوته**) لكنهــا مما يلى هذا السطح ليست إلا وجــوه جيــاد ذات هيبــة وأبهــة، أو وجــوه حمير عنيــدة مكممة، أو جماجم كلاب مبتورة الآذان منبعجة الجبهة، أو خنازير سمينة ذات خراطيم طويلة، وفــى أحيــان تبدو ثيرانًا غبية متوحشة.

مـــــــايــا : (**بعدم اكتراث**) تقصد جميع الحيوانات المستأنــسة العزيزة؟

الأستاذ روبك : ليست إلا الحيوانات المستأنسة العزيزة يا مايا، تلك الحيوانات التى احتقرها الإنسان وحيرته فى قرارة نفسه، والتى احتقرته وحيرته بدورها هى الأخرى. (**يفرغ كأس الشمبانيا ويضحك**) وهــذه التماثيــل ذات الوجهين هى التى يأتى إلىَّ فى طلبها أغنياؤنا المحترمون، والتى يدفعون فيها عن طيب خــاطر مبالغ طائلة، قدر وزنهم ذهبًا كما يقولون.

مـــــــايــا : (**تملأ كأسه**) هيا يا روبك! اشرب وكن سعيدًا!

الأستاذ روبك : (**يمر بيده على جبهته عدة مرات وقــد اســتند إلى خلف كرسيه**) إنى سعيد يا مايا، سعيد حقًا، ســعيد

إلى حد ما. **(صمت قصير)** فلاشـــك أن الإنـــسان يشعر بالسعادة لأنه حر مستقل فى كل أمره، لأنـــه يستطيع الحصول على كل ما يمكـــن أن يرغـــب فيـــه، أعنـــى الأشيـــاء الخارجيـــة الماديـــة، ألا توافقيننى يا مايا؟

مـــــــايــا : أوه، نعم، إنى أوافقك، كل ما يمكن أن يكون جميلاً بطريقته الخاصة. **(تنظر إليه)** ولكـــن أتـــذكر مـــا وعدتنى عندما اتفقنا على... علـــى هـــذه النقطـــة المتعبة.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه مرارا)**. تقصدين مسألة زواجنا؟ نعـــم، فلم يكن الأمر سهلاً عليك يا مايا.

مـــــــايــا : **(تتم فى اطمئنان)**. ووافقت على أن أذهب معك إلى الخارج، لنعيش هناك دائما، لأمتع نفسى أتذكر ما وعدتنى به إذ ذاك؟

الأستاذ روبك : **(يهز رأسه)** كلا، لا أستطيع القول بأنى أذكر ذلك، ولكن ماذا وعدتك؟

مـــــــايــا : قلت إنك ستصعد بى إلى قمة جبل عال وترينـــى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

الأستاذ روبك : **(يجفل قليلا)** أو عدتك أنت أيضا بذلك؟

مـــــــايـــا : أنا أيضا؟ ومن وعدته غيرى؟ قل لى أرجوك.

الأستاذ روبك : **(بلا اكتراث)** لا، لا، أعنى هل وعدتك بأن أريك...

مـــــــايـــا : كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ نعم، وعدت، وقلت إنه سيكون لى كل هذا البهاء.

الأستاذ روبك : إن هو إلا أسلوب من الكلام كنت أستعمله يوما ما.

مـــــــايـــا : لم يكن إلا أسلوبًا من الكلام؟

الأستاذ روبك : نعم، كلام تلميذ صغير. كنت أستعمل ما يشبه ذلك لإغراء جيرانى من الأطفال على الخروج معى إلى الجبال والغابات لنلعب هناك.

مـــــــايـــا : **(تنظر إليه بشدة)** لعلك لم تقصد إلا إغرائى أنا أيضا للخروج معك للعب؟

الأستاذ روبك : **(يعتبرها مزحة)** حسن، ألم تكن لعبة محتملة مسلية يا مايا؟

مـــــــايـــا : **(ببرود)** لم يكن ذهابى معك للعب فقط.

الأستاذ روبك : لا، لا، ليس لذلك.

مـــــــايـــا : ولم تأخذنى معك قط إلى قمة أى جبل، ولم ترنى...

الأستاذ روبك : **(فى هياج قليل)** كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ لا، لم أرك هذا، ودعينى أخبرك أن ذلك لم يحدث، لأنك لم تخلقى يا صغيرتى مايا لتكونى متسلقة جبال.

مايا : **(تحاول ضبط نفسها)** ولكنك ظننت يوما أننى أصلح لذلك.

الأستاذ روبك : منذ أربع أو خمس سنوات، نعم. **(يتمدد على الكرسى)** أربع أو خمس سنوات. يا لها من زمن طويل، طويل يا مايا.

مايا : **(تنظر إليه وعلى وجهها أمارات من الحزن والمرارة)** أيبدو الزمن فى عينيك على هذا الطول المديد يا روبك؟

الأستاذ روبك : بدأت الآن أشعر به طويلاً بعض الطول. **(يتثاءب)** بين وقت وآخر كما تعلمين.

مايا : **(تعود إلى مكانها)** لن أضايقك أكثر من ذلك **(تجلس على مقعدها وتبدأ فى تقليب صفحات جريدتها، يعمهما الصمت)**.

الأستاذ روبك : (يستند على المنضدة بمرفقيه وينظر إليها فى مكايدة)
هل استاءت زوجة الأستاذ؟

مـــــــــــايـــــــا : (فى برود دون أن ترفع نظرها عن الـــصحيفة) لا، مطلقًا.

(يبدأ زوار الحمامات فى المرور من الناحيـــة اليمنى قاصدين الناحية اليـــسرى، وأغلبـــهم مـــن النساء، والجميع يمرون فرادى وجماعات.

الخدم يحملون المرطبات من الفندق ويذهبون بها إلى ما وراء الكوخ.

يعود مفتش الحمامـــات مـــن جولاتـــه فى الحديقة، وهو ينحنى فى أدب لكل مـــن يقابلـــه فى طريقه من الزوار، ويتبادل بـــضع كلمـــات مـــع بعضهم، المفتش يلبس قفازات ويحمل عصا).

المفتـــــــش : (يتقدم من منضدة الأستاذ روبك ويخلع قبعتـــه فى أدب) يشرفنى أن أتمنى لك صباحًا طيبًا يا ســـيدة روبك، صباح الخير يا أستاذ روبك.

الأستاذ روبك : صباح الخير، صباح الخير يا حضرة المفتش.

المفتش : **(يحادث السيدة روبك)** هل لى أن أسأل إن كنت قد نمت نومًا طيبًا؟

مايا : نعم، وشكرا لك، نومًا طيبا. من جهتى أنا، فإنى دائما أنام نومًا عميقًا.

المفتش : يسرنى أن أسمع ذلك، فالليلة الأولى فى المكان الغريب متعبة دائما. والأستاذ؟

الأستاذ روبك : إن طيب المنام ليس مما يمكن أن أتباهى به مطلقًا، وبخاصة فى الأيام الأخيرة.

المفتش : **(يتظاهر بالعطف)** أوه، إن هذا مما يؤسف له، ولكنك بعد أن تمضى فى الحمامات عدة أسابيع... ستشفى من ذلك تمامًا.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه)** خبرنى يا حضرة المفتش، أمن عادة أى مريض من مرضاكم أخذ حمام ليلى؟

المفتش : **(فى دهشة)** حمام ليلى؟ كلا، مطلقًا، لم أسمع بشىء كهذا.

الأستاذ روبك : ألم تسمع به؟

المفتش : كلا، لم أعرف من بلغ به المرض حدًّا يدعو إلى مثل هذا العلاج.

الأستاذ روبك : هناك، على أى حال، من اعتاد التجول ليلاً فى الحديقة.

المفتش : **(يبتسم ويهز رأسه)** لا يا أستاذ، إن القوانين لا تسمح بذلك.

مايا : **(فى ضيق)** يا إلهى، يا روبك، لقد أخبرتك بذلك هذا الصباح، لا بد أن ما رأيته كان حلمًا.

الأستاذ روبك : **(بجفاء)** حقًا؟ أيجب أن يكون كذلك؟ شكرا لك! **(يلتفت إلى المفتش)** الحقيقة أننى استيقظت ليلة أمس.، فقد جفانى النوم، وأردت أن أعرف أى نوع من الليل هنا.

المفتش : **(بانتباه)** طبعًا. وبعد؟

الأستاذ روبك : ونظرت من النافذة، فلمحت خيالاً أبيض بين الأشجار.

مايا : **(تبتسم للمفتش)** ويذكر الأستاذ أن هذا الخيال كان يلبس ثوب استحمام...

الأستاذ روبك : أو شيئًا يشبه ذلك، إذ لم أستطع تمييز الثوب تمامًا، ولكنى واثق من أنه ثوب أبيض.

المفتش : هذا أمر جدير بالاعتبار، أرجلاً كان أم امرأة؟

الأستاذ روبك : كان من الممكن أن أقسم على أنه امـــرأة، ولكـــن ظهر خلفها خيال آخر، وكان خيالا أسود تمامًـــا، كأنه الظل.

المفتـــــش : (يجفل) خيالاً أسود؟ ربما كان حالك السواد؟

الأستاذ روبك : نعم، هذا ما كان يجب قوله.

المفتـــــش : (وقد كاد الغموض ينجلى) وخلف الخيال الأبيض؟ يتبعه تمامًا؟

الأستاذ روبك : نعم، على بعد قليل.

المفتـــــش : آها، أظننى إذن أستطيع حل اللغز يا أستاذ.

الأستاذ روبك : حسن، إذن خبِّرنا.

مـــــايـــا : (فى الحال) ألم يكن الأستاذ نائمًا حقًا؟

المفتـــــش : (يهمس فجأة وهو يوجه انتباههما إلى الجزء الخلفى من الناحية اليمنى) هش! من فضلك! انظرا هنالك، لا ترفعا صوتكما لحظة.

(تتقدم سيدة نحيفة من خلف الفندق متجهة نحو الظلة المقامة فى الجزء الأمـــامى مـــن الناحيـــة اليسرى، لابسة ثوبًا بين الأبيض والأصـــفر مـــن الكشمير الخفيف، تتبعها راهبة فى ثوب أسود، على

صدرها سلسلة معلق فيها صليب فضى. وجه السيدة شاحب، ذو خطوط جامدة، وجفونها نصف مغلقة، حتى ليبدو أنها لا ترى شيئًا، وثوبها ضاف وذو طيات عمودية كثيرة، ويغطى رأسها ورقبتها وصدرها وكتفيها وذراعيها شال أبيض من الكريشة. تسير السيدة فى خطوات جامدة قصيرة دون أن تحرك جسدها، وقد طوت ذراعيها فوق صدرها. تتبعها الراهبة فى خطوات قصيرة أيضا، ويبدو عليها هيئة الخدم، ولا تصرف عينيها الرماديتين الحادتين عن السيدة أبدا. ينظر الخدم الحاملون مناشفهم على أيديهم وهم فى طريقهم إلى الفندق إلى السيدتين نظرات غريبة. ولكنهما لا تعيران أى شيء انتباها، وتدخلان الظلة دون أن تلتفتا إلى أى الشيء)

الأستاذ روبك : (ينهض فى بطء وعلى غير إرادته، ويظل محملقا فى باب الظلة المغلق) من تكون هذه السيدة؟

المفتش : امرأة غريبة استأجرت الظلة الصغيرة التى هناك.

الأستاذ روبك : أجنبية؟

المفتـــــش : ربما، وقد جاءتا على كل حال من الخارج، منـذ أسبوع، وهى المرة الأولى التى تزوران فيها هـذا المكان.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه ويقول فى جزم)** إنها هى التى رأيتها فى الحديقة مساء أمس.

المفتـــــش : لا شك فى ذلك، وهو ما جال بفكرى منذ اللحظـة الأولى.

الأستاذ روبك : ما اسم هذه السيدة يا حضرة المفتش؟

المفتـــــش : ما كتبته فى الفندق هـو أنهـا «مـدام دى سـانو وتابعتها»، وهذا كل ما نعرفه عنها.

الأستاذ روبك : **(يفكر)** ساتو؟ ساتو؟

مـــــايـــا : **(تضحك فى سخرية)** أتعرف أحـدًا بهـذا الاسم يا روبك؟ آه؟

الأستاذ روبك : **(يهز رأسه)** كلا، لا أحد. ساتو؟ يبدو أنها روسية، أو على أى حـال سـلوفاكية. **(للمفتـــــش)** أى لغـة تتكلمها؟

المفتـــــش : لم أستطع معرفة اللغة التى تتحدثان بهـا سـويًّا، ولكنها تتكلم فى أوقات أخـرى بالنرويجيـة كمـا

يتكلمها أهلها.

الأستاذ روبك : **(يجفل ويقول فى عجب)** النرويجية؟ أواثق أنت من أنك لم تخطئ فى ذلك؟

المفتـــــش : كلا، إذ كيف أخطئ فى أمر كهذا؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه بلهفة وسرور)** أسمعتها بنفسك؟

المفتـــــش : نعم، فقد حادثتها أنا نفسى، عدة مرات، لا أكثر من كلمات قليلة، فهى أبعد ما تكـــون عـــن الثرثـــرة، ولكن...

الأستاذ روبك : ولكنها تتكلم النرويجية؟

المفتـــــش : النرويجية الصحيحة، ولكن ربما كانت لهجتها أميل إلى لهجة أهل الشمال.

الأستاذ روبك : **(يحملق أمامه فى دهشة وهمس)** وهذا أيضًا!

مـــــايـــا : **(وكأنما آذاها وضايقها قليلاً)** ربمـــا كانـــت هـــذه السيدة إحدى نماذجك يا روبك؟ فتش فى ذاكرتك.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها بحدة)** نماذجى؟

مـــــايـــا : **(تبتسم فى تحرش)** أعنى أيام شبابك، فإنه يروى أن نماذجك كن كثيرات لا عدد لهن، بالطبع منذ أمـــد طويل.

الأستاذ روبك : **(بنفس اللهجة)** أوه، كلا أيتها الزوجة الصغيرة مايا، فلم يكن لى فى الحق من النماذج إلا واحدة، واحدة، وواحدة فقط لكل الشىء صنعته.

المفتش : **(الذى ابتعد قليلا وهو ينظر إلى الناحية اليسرى)** إذا سمحتما، أظننى سأنصرف، فإنى أرى شخصا - من لا أحب أن ألتقى بهم وبخاصة فى حضرة النساء - آتيا من هناك.

الأستاذ روبك : **(ينظر فى نفس الاتجاه)** هذا الرجل الرياضى هناك، مَن هو؟

المفتش : إنه يدعى مستر أولفهايم، من...

الأستاذ روبك : أوه، مستر أولفهايم؟

المفتش : قاتل الدببة كما يسمونه.

الأستاذ روبك : إنى أعرفه.

المفتش : ومن ذا الذى لا يعرفه؟

الأستاذ روبك : قليلون ولا ريب، أهو أحد مرضاك... أخيرًا؟

المفتش : كلا، ما أغرب أن يكون مريضًا. أليس كذلك؟ إنه يمر هنا مرة واحدة كل عام... فى طريقه إلى أرضه التى يصيد فيها... عن إذنكما الآن.

(يتحرك متجهًا نحو الفندق)

أولفهايم : (يسمع من الخارج) قف لحظة يا رجل! عليك اللعنة، ألا تقف؟ لماذا تتهرب منى دائمًا؟

المفتش : (يقف) إنى لا أتهرب أبدا يا مستر أولفهايم.

(يدخل أولفهايم من ناحية اليسار يتبعه خادم يجر كلبين من كلاب صيد فى سلسلة، وهو فى ثياب الصيد وحذاء الميدان العالى وقبعة فيها ريشة، وهو طويل نحيف متين العضلات ملبد الشعر واللحية عالى الصوت. لا يستطيع من يراه أن يقدر سنه ولكنه لم يعد صغير السن).

أولفهايم : **(ينقض على المفتش)** أهذه هى الطريقة التى تقابل بها الأغراب؟ تفر وذيلك بين رجليك كأنما الشيطان يتبعك؟

المفتش : **(فى هدوء دون أن يجيبه)** هل وصل مستر أولفهايم إلى الباخرة؟

أولفهايم : **(يهمهم)** لم أتشرف برؤية أى بواخر. **(يضع يديه فى وسطه)** ألا تعلم أن لى يختى الخاص؟ **(للخادم)** لارز، اعتن بزميليك جيدًا، ولاحظ أن يظلا كاسرين دائمًا، قدم لهما عظامًا طازجة ليس عليها

من اللحم إلا القليل، أتسمع ذلك؟ تأكد من أن تكون العظام نيئة رائحتها قوية ومازال الدم يعلوها، واملأ معدتك أنت أيضًا بالشيء فى نفس الوقت. **(يضرب الهواء بقدمه فى اتجاه الخادم)** والآن، اذهب إلى الجحيم!

(يخرج الخادم مع الكلبين من ركن الفندق إلى الخلف)

المفتش : ألا يريد المستر أولفهايم أن يذهب إلى غرفة الطعام فى نفس الوقت؟

أولفهايم : بين أنصاف الموتى من الناس والذباب؟ كلا، وألف شكر لك يا حضرة المفتش.

المفتش : حسن، حسن، كما تريد.

أولفهايم : ولكن قل لمديرة المنزل أن تعد لى الطعام كالعادة، ولاحظ أن يكون الخبز كثيرًا، وكمية الخمر وفيرة! وتستطيع أن تبلغها أنها إذا لم تصنع ذلك فسأذهب أنا أو لا رز وكأننا الشياطين.

المفتش : **(يقاطعه)** إننا نعرف عاداتك القديمة **(يلتفت)** هل من أوامر للساقى يا أستاذ؟ هل من شيء تريد السيدة روبك أن أرسله إليها؟

الأستاذ روبك : لا، وشكرا لك، لا شىء لى.

مـــــايـــا : ولا شىء لى أنا أيضا.

(يدخل المفتش إلى الفندق)

أولـــفهايم : **(يحملق فيهما لحظة ثم يرفع قبعته)** عجبًا، ملعون أنا إن لم يكن هنا كلب ريفى ضل طريقه بين المجتمعات الراقية.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه)** ماذا تقصد بذلك يا مستر أولفهايم؟

أولـــفهايم : **(أكثر هدوءا وأدبا)** أظن أن من أشرف بخطابه ليس شخصًا أقل من المثال العظيم روبك.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه مرارا)** أذكر أننى قابلتك مرة أو مرتين، فى آخر خريف عدت فيه إلى الوطن.

أولـــفهايم : مع أن ذلك كان منذ أعوام عديدة، ولم تكن إذ ذاك قد بلغت قمة الشهرة التى أسمع أنك بلغتها الآن، وكان يمكن فى هذا الوقت أن يقترب منك أى إنسان حتى لو كان صائد دببة قذر.

الأستاذ روبك : **(يبتسم)** ما زلت حتى الآن لا أعض أحدا.

مـــــايـــا : **(تنظر إلى أولفهايم فى سرور)** أأنت حقا وصدقا صائد دببة؟

أولـــــــفهايم : (يجلس إلى المائدة المجاورة من ناحية الفنـــدق) إنـــى صائد إذا سنحت الفرصة يا سيدتى، ولكنى أنتهـــز فرصة أى صيد يعترض طريقى، فأصيد النـــسور والذئاب والنساء والأيائل والوعول، على شرط أن تكون طازجة غضة تتدفق الدماء فـــى عروقهـــا. (يشرب من زجاجة فى جيبه).

مـــــــايـــا : (تثبت أنظارها عليه) ولكن، أتفضل صيد الدببة؟

أولـــــــفهايم : نعم أفضلها، لأنى إذ ذاك أســـتعمل ســـكينى فـــى التضييق والقبض عليها. (يبتسم ابتسامة خفيفـــة) إننا يا سيدتى نعمل فى مواد صعبة نحن الاثنـــين، زوجك وأنا، فهو يجاهد ولا ريب مع كل الرخـــام، وأنا أجاهد مع عضلات الدببة المشدودة المرتجفة، وكلانا يكسب المعركة فـــى النهايـــة... فنخـــضع موادنا ونحكمها، ولن يرتاح أحدنا حتـــى ينتـــصر على مواده التى تقاوم إذ ذاك أشد مقاومة.

الأستاذ روبك : (فى تفكير عميق) إن فيما تقوله كثيرًا من الصدق.

أولـــــــفهايم : نعم، فإنى أظن أن فى الحجر أيضًا شـــيئًا يجاهـــد الإنسان من أجله، فهو ميت وقد صـــمم علـــى ألا

يطرقه أحد ليخرج منه شيئًا حيًّا، تمامًا، كالدب عندما تأتين إلى وجاره وتنخسينه.

مايا : أأنت صاعد إلى الغابات الآن للقنص؟

أولفهايم : سأذهب فى الحال إلى الجبال العالية. أظنك لم تتسلقى الجبال العالية أبدا يا سيدتى؟

مايا : كلا، لم أتسلقها أبدًا.

أولفهايم : هذا الشيء مخجل إذن، يجب أن تصعدى الجبل هذا الصيف، هذا أمر لا يقبل الجدل. سآخذك معى، أنت والأستاذ، وهذا مما يسرنى.

مايا : شكرًا، ولكن روبك يفكر فى القيام برحلة بحرية هذا الصيف.

الأستاذ روبك : حول الشاطئ، خلال قنوات الجزائر.

أولفهايم : أوه! ماذا بحق الشيطان تفعل فى هذه البالوعات القذرة الملعونة؟ تتقلب فى ماء القنوات الأجاج هذا؟ بل أفضل أن أسميه ماء غسيل الأوانى.

مايا : ها، أتسمع يا روبك؟

أولفهايم : كلا، خير لك أن تصعد معى إلى الجبال، بعيدًا، بعيدًا كل البعد عن حبائل الناس وأقذارهم، إنك لا

تستطيع أن تدرك أثر ذلك فى نفسى، ولكن مثل هذه السيدة الصغيرة. **(يتوقف).**

(تخرج الراهبة من الكوخ وتذهب إلى الفندق فيتبعها أولفهايم بنظراته)

لكن، انظر إليها، انظر! غراب الليل التى هناك! من الذى سيدفن يا ترى؟

الأستاذ روبك : لم أسمع أن أحدًا...

أولفهايم : إذن فهناك شخص على وشك أن تفيض روحه، فى أحد الأركان هنا أو هناك. ولا شك أنه مما يسر أولئك المرضى المشلولين أن يروا بأنفسهم أيان يدفنون... وكلما كان ذلك أسرع. كان أفضل.

مايا : ألم تمرض قط يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : أبدًا، إذ لو كنت قد مرضت يومًا لما كنت هنا الآن. ولكن صفوة أصدقائى المقربين كانوا مرضى، يا للمساكين!

مايا : وماذا كنت تفعل لصفوة أصدقائك المقربين؟

أولفهايم : أطلق عليهم الرصاص بالطبع.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه)** تطلق عليهم الرصاص؟

مـــــــــايـــا : **(تدفع كرسيها إلى الخلف)** تقتلهم بإطلاق الرصاص عليهم؟

أولـــــــفهايم : **(يحنى رأسه موافقة)** إنى لا أخطئ الهدف مطلقاً يا سيدتى.

مـــــــــايـــا : ولكن كيف يمكنك إطلاق الرصاص على الناس؟

أولـــــــفهايم : لم أتحدث عن الناس.

مـــــــــايـــا : قلت أصدقاءك المقربين؟

أولـــــــفهايم : ومن يكون هؤلاء إذن سوى كلابى؟

مـــــــــايـــا : أكلابك هم صفوة أصدقائك المقربين؟

أولـــــــفهايم : ليس لى من الأصدقاء من هو أقرب إلىَّ منهم، فهم رفقائى المخلصون الأمناء الذين يمكن الاعتماد عليهم، فإذا ما انتاب أحدهم المرض وأصبح فى حالة من البؤس فليس إلا إطلاق الرصاص. وهكذا يرسل صاحبى فى طرد إلى العالم الآخر.

(تأتى الراهبة من ناحية الفندق حاملة صينية عليها خبز ولبن فتضعها على المنضدة القريبة من الظلة ثم تدخل)

أولفهايم : **(يضحك فى احتقار)** هذه النفاية هناك، أهى تلك التى يسمونها طعامًا للآدميين؟ لبن وماء وخبز طرى لزج؟ آه، يجب أن تريا أصدقائى وهم يأكلون، أتودان رؤيتهم؟

مايا : **(تبتسم للأستاذ ثم تقف)** نعم، من كل قلبى.

أولفهايم : **(ينهض)** إن حديثك يا سيدتى حديث امرأة لها روح! تعالى معى إذن! إنهم يبتلعون العظام الكبيرة الضخمة دفعة واحدة، يبتلعونها كلها ثم ينزلونها مرة أخرى. أوه، إن رؤيتهم تسلية جميلة، تعالى معى وسأريك ذلك، وفى نفس الوقت نتحدث عن الرحلة إلى الجبل.

(يخرج حول ركن الفندق تتبعه مايا، فى نفس الوقت تخرج السيدة الغريبة من الظلة وتجلس إلى المنضدة. ترفع السيدة كوب اللبن وتكون على وشك ضربه ولكنها تتوقف وتنظر إلى روبك بعينين غير معبرتين)

الأستاذ روبك : **(يظل جالسًا مكانه وهو ينظر إليها نظرات ثابتة متلهفة، وأخيرًا ينهض ويسير نحوها بضع خطوات،**

ثم يقف ويقول فى صوت خافت) إنى أعرفك تمام المعرفة يا أيرين.

السيدة : (فى صوت غير معبر وهى تضع الكوب) هل استطعت أن تحذر من أنا يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (لا يجيبها) وأرى أنكِ تعرفت علىَّ أنا أيضًا.

السيدة : الأمر يختلف من جهتك.

الأستاذ روبك : من جهتى؟ كيف؟

السيدة : أوه، إنك مازلت حيًّا.

الأستاذ روبك : (لا يفهم شيئًا) حيًّا؟

السيدة : (بعد صمت قصير) من كانت الأخرى؟ تلك المرأة التى كانت معك؟ هناك على المائدة؟

الأستاذ روبك : (فى قليل من التردد) تلك، إنها كانت، كانت زوجتى.

السيدة : (تحنى رأسها فى بطء) حقًا؟ حسن يا أرنولد، هى إذن إنسان لا علاقة له بى.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه) لا، بالطبع لا.

السيدة : إنسان عشت معه بعد حياتى الطويلة التى قضيتها

معك.

الأستاذ روبك : **(يتفرس فيها فجأة)** بعد؟ ماذا تعنين بذلك يا أيرين؟

أيـــــــرين : **(دون أن توافق)** والطفل؟ سمعت أنه نجح أيـضًا، لقد عاش طفلنا بعدى، ونال المجد والشرف.

الأستاذ روبك : **(يبتسم كأنما يبتسم لذكرى قديمة جدًّا)** طفلنا؟ نعم كنا نسميه كذلك، إذ ذاك.

أيـــــــرين : فى أثناء حياتى المذكورة، نعم.

الأستاذ روبك : **(يحاول أن يتكلم بلهجة أكثر مرحًا)** نعم يا أيرين، أؤكد لك أن «طفلنا» قد اشتهر فى كل أركان هــذه الدنيا الواسعة، أظنك قرأت عن ذلك.

أيـــــــرين : **(تحنى رأسها)** وقد جلب الشهرة لأبيه أيضًا، كــان هذا حلمك.

الأستاذ روبك : **(بأسلوب أكثر نعومة وانفعالاً)** إنى مدين لك أنــت بكل الشىء، بكل الـشىء يـا أيـرين... وإنــى لأشكرك.

أيـــــــرين : **(تتوه فى أفكارها لحظة)** لو كنت فعلت إذ ذاك مــا كان لى الحق فى فعله يا أرنولد.

الأستاذ روبك : حسن؟ ماذا إذن؟

أيـــــــرين : لكنت قتلت ذلك الطفل.

الأستاذ روبك : تقولين قتلته؟

أيـــــــرين : (همس) لكنت قتلته، قبل أن أتركك وأذهب بعيــدًا، كنت سحقته، سحقته حتى يصير ترابًا.

الأستاذ روبك : (يهز رأسه فى تأنيب) ما كنت تستطيعين ذلك أبدًا يا أيرين، ما كان قلبك يسمح بذلك.

أيـــــــرين : بلى، فلم يكن لى فى تلك الأيام ذلك القلب.

الأستاذ روبك : ولكن منذ ذلك الوقت؟ بعد ذلك؟

أيـــــــرين : منذ ذلك الوقت قتلته مرات لا عداد لها، قتلته فـــى وضح النهار وتحت ستار الظلام، قتلته بـــبغض... وانتقام... وألم.

الأستاذ روبك : (يقترب من المنضدة ويسأل فى صوت ناعم) أيرين، أخيرًا... وبعد كل هذه الأعوام، خبرينى عن سبب فرارك منى، لقد اختفيت فجأة، ولم تتركى وراءك أثرًا ما.

أيـــــــرين : (هز رأسها فى بطء) أوه، يا أرنولد. ماذا يجبرنـــى على إخبارك الآن؟ التحدث إليك من عالم القبور؟

الأستاذ روبك : أأحببت أحدًا غيرى؟

أيـــــــرين : كان هناك واحد، لم يعد له أى نفع فى حبى، ولـــم تعد له أى فائدة فى حياتى.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) هم، لنترك الماضى فـــلا تتحـــدث عنه.

أيـــــــرين : لا، لا، لا تدعنا بأى حال نتحدث عما تحت القبور، عما هو تحت القبور الآن بالنسبة لى.

الأستاذ روبك : أين كنت يا أيرين؟ لم تثمـــر كـــل أبحـــاثى فـــى الوصول إليك، كان يخيل إلى أنك اختفيت تمامًا.

أيـــــــرين : ذهبت إلى الظلمات، عندما وقف الطفـــل متلألئـــًا تحت الأنوار.

الأستاذ روبك : هل طفت كثيرًا حول العالم؟

أيـــــــرين : نعم، زرت بلدانًا كثيرة.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى إشفاق) وماذا كنـــت تـــصنعين يـــا أيرين؟

أيـــــــرين : (تحول أنظارها نحوه) انتظر لحظة، دعنى أتذكر... نعم، لقد تذكرت، كنت أقـــف علـــى منـــصة فـــى الاستعراضات الراقصة، وكنت أقف فى اللوحـــات الحية كتمثال عار، وكنت أجرف من أكوام الذهب،

وهذا ما لم أستطع فعله معك، لأنه لم يكن عنـدك منه شيء. ثم أخذت أغرى كل أنـواع الرجـال، وهذا أيضًا لم أستطع فعله معك، لأنك استطعت أن تتمالك نفسك بقوة إرادتك.

الأستاذ روبك : **(يسرع ليغير الموضوع)** ثم تزوجت أيضًا؟

أيـــرين : نعم، تزوجت أحدهم.

الأستاذ روبك : ومن هو زوجك؟

أيـــرين : كان رجلاً من أمريكا الجنوبية، سياسى معـروف. **(تنظر أمامها وعلى فمها ابتسامة جامـدة)** كنـت أسوسه لأخرجه عن عقلـه، لأصـيبه بـالجنون. الجنون الذى لا يشفى منه، الجنون الذى لا يتغير. أؤكد لك أنها كانت رياضة عظيمة، وعندما كنـت أقوم بها، كنت طوال الوقت أضحك بينـى وبـين نفسى... إن كانت لى نفس.

الأستاذ روبك : وأين هو الآن؟

أيـــرين : أوه، فى مقبرة إحدى الكنائس فى مكان مـا، وقـد وضع فوقه تمثال جميل مـتقن، واسـتقرت فـى جمجمته رصاصة.

الأستاذ روبك : قتل نفسه؟

أيــــــرين : نعم، بلغ من الطيبة حدًّا جعله يحمل هـذا العـبء عنى.

الأستاذ روبك : ألم تحزنى لفقدانه يا أيرين؟

أيــــــرين : **(غير فاهمة)** أحزن؟ وأى فقدان؟

الأستاذ روبك : فقدان الهر ساتو بالطبع.

أيــــــرين : لم يكن اسمه ساتو.

الأستاذ روبك : ألم يكن هذا اسمه؟

أيــــــرين : من يدعى ساتو هو زوجى الثانى، وهو روسى...

الأستاذ روبك : وأين هو؟

أيــــــرين : بعيد جدا، فى جبال الأورال، بـين كـل مناجمـه الذهبية.

الأستاذ روبك : إذن فهو يعيش هناك؟

أيــــــرين : **(تهز كتفيها)** يعيش! الحق أننى قتلتُه.

الأستاذ روبك : **(يجفل)** قتلته.؟

أيــــــرين : قتلتُه بخنجر حاد بديع أحتفظ به دائمًا فى فراشى.

الأستاذ روبك : **(فى عنف)** أنا لا أصدقك يا أيرين!

أيــــــرين : **(بابتسامة لطيفة)** يجب أن تصدق ذلك يا أرنولد.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها مشفقا) ألم تنجبى أولادًا قط؟

أيــــــرين : بلى، كثيرين.

الأستاذ روبك : وأين هم الآن؟

أيــــــرين : قتلتهم.

الأستاذ روبك : (بشدة) ها أنت تكذبين مرة أخرى!

أيــــــرين : لقد قتلتهم قلت لك... قتلتهم دون شفقة، فى اللحظة التى كانوا يرون فيها نور الحياة. أوه، منذ زمن طويل، طويل، الواحد تلو الآخر.

الأستاذ روبك : (بحزن وجد) إنك تخفين شيئًا وراء كل ما تقولين.

أيــــــرين : وكيف لى التخلص من ذلك، وأنا أسمع كل كلمة مما قلته همسًا فى أذنى؟

الأستاذ روبك : أعتقد أننى الوحيد الذى يستطيع تقديس ما تعنيه.

أيــــــرين : بكل تأكيد يجب أن تكون هذا الشخص الوحيد.

الأستاذ روبك : (يضع يديه على المنضدة ويسلط عليها نظراته) خيط من خيوط طبيعتك الإنسانية قد انقطع.

أيــــــرين : (بلطف) ألا يحدث ذلك دائمًا عندما تموت امرأة شابة حارة الدماء؟

الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين، ألا تكفين عن هذه الأفكار الشاذة.! إنك تعيشين! تعيشين... تعيشين!

أيـــــــرين : **(تنهض من مقعدها ببطء وتقول بصوت مرتجــف)** لقد متُّ منذ سنين طويلة، جاءوا إلىّ وقيــدونى... قيدوا يدى خلف ظهرى، وأنزلــونى إلـــى القبــر، ووضعوا فوق فوهته قضبانا من الحديد، وبطنــوا حوائطه... حتى لا يسمع أحد ممن فــوق القبــر صرخات من فى القبر. ولكنى الآن بدأت أســتيقظ بصورة ما من بين الموتى. **(تجلس ثانية)**.

الأستاذ روبك : **(بعد فترة صمت)** أتظنين أننى سبب ذلك كله؟

أيـــــــرين : نعم.

الأستاذ روبك : سبب... سبب موتك كما تسميه؟

أيـــــــرين : السبب فى أننى عرفت أن من الواجب أن أموت. **(تغير نبرات صوتها إلى لهجة عدم الاكتــراث)** لماذا لا تجلس يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : وهل أستطيع؟

أيـــــــرين : نعم... إنه ليس ثمة ما يدعوك إلى الخوف من أن أتجمد، وأنا لا أظن أننى قد تحولت تحولاً تامًا إلى كتلة من الجليد.

الأستاذ روبك : **(يحرك كرسيًا ويجلس إلى مائدتها)** ها أنذا يا أيرين، ها نحن نجلس كما اعتدنا فى أيامنا الخالية.

أيـــــرين : متباعدين قليلا، كما اعتدنا أيضا فى أيامنا الخالية.

الأستاذ روبك : **(يقترب منها)** كان يجب علينـــا إذ ذاك أن نكـــون كذلك.

أيـــــرين : أكان هذا واجبا؟

الأستاذ روبك : **(جازما)** كان يجب أن يكون بيننا فاصل.

أيـــــرين : أكان ذلك أمرًا محتومًا ولابد منه يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : **(مستمرا)** أتذكرين ما أجبتنى به عندما سألتك عما إذا كنت تستطيعين أن تنطلقى معـــى إلـــى الـــدنيا الواسعة؟

أيـــــرين : لقد رفعت حينئذ أصابع ثلاثة وأقسمت أن أتبعـــك إلى نهاية الدنيا حتى الموت، وأن أخدمك فى كـــل شىء...

الأستاذ روبك : كنموذج لفنى.

أيـــــرين : وفى عرى تام كامل.

الأستاذ روبك : **(بانفعال)** وقد خدمتنى يا أيرين، بكل شجاعة، وكل سرور وحرية.

أيـــــــرين : نعم، بكل دماء شبابى النابضة خدمتك!

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه وفى عينيه نظرة شكر)** لك الحـــق كـــل الحق فى قولك هذا.

أيـــــــرين : لقد ارتميت على قدميك وخدمتك يا أرنولد! **(ترفع يديها المتشابكتين نحوه)** ولكنك أنت، أنت... أنت!

الأستاذ روبك : **(مدافعـــاً عن نفسه)** إننى لم أخطئ فى حقك أبدًا! أبدا يا أيرين!

أيـــــــرين : لا، بل أخطأت! أخطأت فى حق طبيعتى الداخليـــة فى صميم طبيعتى الفطرية الغريزية.

الأستاذ روبك : **(يتراجع)** أنا!

أيـــــــرين : نعم أنت! فى إخـــلاص عرضـــت جـــسدى كلـــه لنظراتك. **(بأكثر نعومة)** ولكنك لم تلمـــسنى مـــرة واحدة.

الأستاذ روبك : ألم تفهمى يا أيرين أننى كثيرًا ما جاهـــدت نفـــسى لأنجو من سحر جمالك؟

أيـــــــرين : **(تستمر فى حديثها وكأنها لم تقاطع)** ومع ذلك، لـــو أنك لمستنى، أظننى كنت قتلتك فى الحـــال، فأنـــا

دائما أحمل معى إبرة حادة، أخفيها فـــى شـــعرى.
(**تمسح جبهتها فى تفكير**) ولكـــنك مع ذلـــك، مـــع
ذلك، كنت تستطيع...

الأستاذ روبك : (**ينظر إليها فى تأثر**) لقد كنت فنانًا يا أيرين.

أيـــــــرين : (**بغموض**) هذا كل ما فى الأمر، كل ما فى الأمر.

الأستاذ روبك : كنت فنانًا قبل كل شىء، وكانت تلح علـــىَّ فكـــرة
الانتهاء من عمل حياتى العظيم. (**ينسى نفـــسه فى
التفكير**) كان يجب أن أسميه «يوم البعث»، ممثلاً
فى هيئة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت...

أيـــــــرين : طفلنا؟ نعم...

الأستاذ روبك : (**مستمرًا**) كان من الواجب أن يكون استيقاظ أنبـــل
وأطهر وأمثل امرأة شهدها العالم، ثـــم وجـــدتك،
وكنت كما طلبت تمامًا، وقد قبلـــت عـــن طيبـــة
خاطر، فنبذت البيت والأهل فى سرور، وذهبـــت
معى.

أيـــــــرين : كان الذهاب معك يعنى فى مخيلتى بعث طفولتى.

الأستاذ روبك : ولهذا السبب وحده وجدت فيك كل ما أطلبه، فيـــك
أنت لا فى أخرى سواك، وكنت أنظر إليك كشىء

مقدس يجب ألا يمس إلا فى أفكار العبادة. كنت حدثًا إذ ذاك يا أيرين، وتملكتنى خرافة أننى إن لمستك أو اشتهيتك تدنست روحى، فلا أستطيع إكمال العمل الذى أكُدُّ فيه، ومازلت أرى فى ذلك بعض الصدق.

أيـــــرين : **(تحنى رأسها وفى صوتها قليل من الاحتقار)** العمل الفنى أولاً، ثم يأتى الإنسان.

الأستاذ روبك : احكمى علىَّ كما تريدين، ولكنى كنت فى ذلك الحين تحت سيطرة عملى العظيم الكاملة، وكنت مبتهجًا سعيدًا لذلك.

أيـــــرين : وقد أنهيت عملك العظيم يا أرنولد.

الأستاذ روبك : الشكر والفضل فى انتهائى من عملى العظيم لك، كنت أريد أن أجسم المرأة الطاهرة، كما رأيتها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى شىء جديد أو مجهول أو غير مقدس، ولكن يملؤها الفرح السماوى إذ وجدت نفسها لم تتغير. هى نفسها المرأة الأرضية، فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية، بعد نوم الموت الطويل الخالى من الأحلام.

(بنعومة أكثر) هكذا تصورتها، وقد رأيتها في صورتك يا أيرين.

أيرين : (تمد يديها على المنضدة وتضطجع بجسمها على كرسيها) وبعد ذلك انتهيت مني.

الأستاذ روبك : (مؤنبًا) أيرين!

أيرين : لم يعد لك حاجة فيَّ...

الأستاذ روبك : كيف يمكن أن تقولي هذا!؟

أيرين : وبدأت تنظر حواليك تبحث عن نماذج أخرى.

الأستاذ روبك : لم أجد أنثى بعدك، لم أجد من تشغل مكانك يا أيرين.

أيرين : أليس لك نماذج أخرى يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : لم تكوني نموذجًا لي، كنت ينبوع فني.

أيرين : (تصمت لحظة) أي قصائد نظمتها بعد ذلك، أقصد بالرخام، منذ تركتك؟

الأستاذ روبك : لم أنظم بعد ذلك قصائد... ولكني أبعثر أيام حياتي في عمل تماثيل شخصية.

أيرين : وتلك المرأة، التي تعيش معها الآن؟

الأستاذ روبك : **(يقاطعها فى عنف)** لا تتحدثى الآن عنها! فإن ذلك يجعلنى أتألم من العار.

أيـــــرين : إلى أين تفكر فى الذهاب معها؟

الأستاذ روبك : **(فى استرخاء وتعب)** أوه، أظـــن حـــول الـــشاطئ الشمالى فى رحلة بحرية متعبة.

أيـــــرين : **(تنظر إليه وتبتسم ابتسامة خفيفة وهمس)** بل عليك أن تصعد إلى قمم الجبال، إلى أعلى مكان تستطيع الوصول إليه، إلى أعلى، إلى أعلى... دائمًا إلـــى أعلى يا أرنولد.

الأستاذ روبك : **(فى لهفة وترقب)** أتصعدين أنت أيضًا؟

أيـــــرين : ألديك من الشجاعة ما يجعلك تلقانى مرة أخرى؟

الأستاذ روبك : **(يناضل نفسه فى غير ثقة)** لو استطعنا، أوه، فقط لو استطعنا!

أيـــــرين : لم لا نستطيع فعل ما نريد؟ **(تنظر إليـــه وهمـــس متوسلة وقد عقدت يديها على صدرها)** هلم، هلم يا أرنولد! أوه، اصعد إلىَّ!

(تدخل مايا من خلف الفندق وقد امتلأ قلبها بالفرح فتذهب بسرعة إلى المنضدة التى كانا يجلسان إليها)

مـــــــايـــا : (مازالت عند ركن الفندق تتحدث دون النظـــر فى المكان) أوه، قل ما تـــشاء يـــا روبـــك، ولكـــن... (تصمت عندما ترى أيـــرين) أوه، معـــذرة، أراك أنشأت صداقة جديدة.

الأستاذ روبك : (بخشونة) بل جددت صداقة قديمة. (ينهض) مـــاذا كنت تريدين منى؟

مـــــــايـــا : لا شيء، إلا أننى أردت إخبارك بأن فى وسعك أن تفعل ما تريد، ولكنى أنا لن أذهب معك فوق ذلـــك اليخت الكريه.

الأستاذ روبك : ولم لا؟

مـــــــايـــا : لأنى أريد تسلق الجبل والتجول فى الغابات... هذا ما أريده (تتملق) أوه، يجب أن تدعنى أذهـــب يـــا روبك، وسأطيعك طاعة تامة، طاعة تامـــة بعـــد ذلك!

الأستاذ روبك : من ذا الذى أدخل فى رأسك هذه الأفكار؟

مـــــــايـــا : إنه هو، قاتل الدببة المخيف. أوه، إنك لا تتـــصور كل ما حكاه من الروائع عن الجبال والحيـــاة فـــى هذه المرتفعات! لله كم هى كئيبة مخيفة باعثة على

التقزز هذه القصص التى اخترعها، إذ إنى أعتقد أنه كاذب فيما رواه، ولكنها مع ذلك حكايات رائعة مغرية، أوه، ألا تدعنى أذهب معه لا لشىء إلا للتحقق من صدق كلامه؟ إنك تفهم موقفى، فهل أذهب يا روبك؟

الأستاذ روبك : نعم، لا اعتراض لى على ذلك، فلتذهبى إذن إلى الجبال، إلى أبعد ما تريدين، ولتتأخرى إلى أى وقت تشائين، فلربما ذهبت أنا أيضًا إلى نفس المكان.

مايا : **(بسرعة)** لا، لا، لا، لا حاجة بك إلى ذلك! ليس من أجلى!

الأستاذ روبك : بل إنى أريد الذهاب إلى الجبال، وهذا ما صممت عليه.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا! هل لى أن أخبر قاتل الدببة الآن!

الأستاذ روبك : قولى لقاتل الدببة ما تريدين.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا، شكرًا! **(على وشك الإمساك بيده ولكنه يمنعها)** أوه، ما أطيبك وأعزك اليوم يا روبك!

(تجرى إلى الفندق وتدخله. فى نفس الوقت يفتح باب الظلة بخفة دون أن يصدر عنه أى صوت، وتقف الراهبة بالباب ملاحظة أيرين بعناية دون أن يراها أحد)

الأستاذ روبك : **(يلتفت إلى أيرين ويقول فى عزم)** هل نلتقى فى الجبل إذن؟

أيرين : **(تنهض فى بطء)** نعم، لا شك أننا سنلتقى، فقد بحثت عنك طويلاً.

الأستاذ روبك : متى بدأت تبحثين عنى يا أيرين؟

أيرين : **(فى صوت مازح حزين)** منذ اللحظة التى تذكرت فيها أننى أعطيتك يا أرنولد شيئًا لازمًا لى كل اللزوم، شيئًا لا يجمل بالإنسان أن يفترق عنه.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه)** نعم، إنه الحقيقة المرة، فقد أعطيتنى ثلاث أو أربع سنوات من شبابك.

أيرين : بل أعطيتك أكثر، أكثر من ذلك، فقد كنت مسرفة إذ ذاك.

الأستاذ روبك : نعم، كنت مسرفة يا أيرين، فقد قدمت لى كل جمالك العارى.

أيـــــــرين : لتتفرس فيه...

الأستاذ روبك : وأمجده...

أيـــــــرين : نعم، لمجدك الخاص... ومجد الطفل.

الأستاذ روبك : ومجدك أنت أيضا يا أيرين.

أيـــــــرين : ولكنك نسيت أنفس هداياى.

الأستاذ روبك : أنفس هداياك؟ وأى هدية هذه؟

أيـــــــرين : أعطيتك روحى الفنية الحية، فجعلنى هذا الإهـــداء فارغة، لا روح فىَّ. **(تحدد نحوه نظرها)** وهذا مـــا سبب موتى يا أرنولد.

(تفتح الراهبة الباب على مصراعيه وتتـــرك مكانا لتدخل منه أيرين، فتدخل إلى الظلة)

الأستاذ روبك : **(يقف ناظرًا إليها، ثم يهمس)** أيرين!

«ســــــتار»

الفصل الثانى



المنظر:

بالقرب من مصحة جبلية، صقع خلوى يمتد فى صورة مرتفع عظيم خالٍ من الأشجار نحو بحيرة جبلية طويلة. وراء البحيرة سلسلة من القمم الجبلية، يملأ شقوقها الثلج الأبيض المائل إلى الزرقة، وفى الجزء الأمامى إلى اليسار جدول ذو خرير يصبُّ بعدد من المجارى الصغيرة من فوق جدار صخرى منحدر، ثم ينساب وئيدًا فوق المرتفع حتى يغيب فى الناحية اليمنى. وحول مجرى الجدول شجيرات ونباتات وأحجار، فى الجزء الأمامى من الناحية اليمنى أكَمَة يعلوها مقعد من الصخر.

الوقت أصيل يوم من أيام الصيف.

على مسافة من الجانب الآخر للجدول جماعة من الأطفال يغنُّون ويرقصون ويلعبون، وقد لبس بعضهم ملابس الفلاحين، والبعض الآخر ملابس أهل المدن، تسمع ضحكاتهم السعيدة خلال الحوادث القادمة، وإن تكن خافتة بعض الشىء لبعد المسافة.

على المقعد يجلس الأستاذ روبك وهو ينظر إلى الأطفال فى أثناء لعبهم، وقد وضع على كتفيه جاكتة يلبسها أهل المرتفعات الإسكتلنديون.

تتقدم مايا من خلف أحد الأدغال التى فى الناحية اليسرى، وتتفرَّس فى المكان واضعة يدها فوق عينيها اتقاءً لأشعة الشمس. تضع مايا على رأسها قبعة عريضة الحافة مما يلبسه السيُّاح. وتلبس بنطلونًا قصيرًا يترل تحت ركبتيها حتى منتصف الساق، وحذاءً عاليًا ضخمًا، وتمسك فى يدها عصا طويلة للتسلق.

مايا : (ترى روبك أخيرًا فتصيح) هالو! (تتقدم فوق المرتفع وتقفز عبر الجدول بمساعدة العصا ثم تتسلق الأكمة وهى تلهث) أوه، كم فتَّشت هذه الأماكن بحثًا عنك يا روبك.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه دون اهتمام ويسأل) هل جئتِ توًّا من الفندق؟

مايا : نعم، هذا آخر مكان بحثتُ عنك فيه، هذا المكان الذى يشبه مصيدة الذباب.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها لحظة) لاحظت أنك لم تكونى على مائدة الطعام.

مـــــــايــا : كلا، فقد تناولنا طعامنا فى الهواء الطلــق، نحــن الاثنين.

الأستاذ روبك : «نحن الاثنين» أى اثنين؟

مـــــــايــا : عجبًا، أنا وقاتل الدببة المخيف بالطبع.

الأستاذ روبك : أوه، هو؟

مـــــــايــا : نعم، وسيكون أول عمل لنا صباح الغــد صــعود الجبل مرة أخرى.

الأستاذ روبك : فى أثر الدببة؟

مـــــــايــا : نعم، سنصعد لنقتل دبًّا رماديًّا صغيرًا.

الأستاذ روبك : هل وجدتما آثار أى دبٍّ من تلك الدببة؟

مـــــــايــا : (بتعاظم) لا أخالك تحسب أن الدببــة توجــد فــى الجبال الجرداء، أتظن ذلك؟

الأستاذ روبك : وأين توجد إذن؟

مـــــــايــا : بعيدًا، فى الأماكن المنخفضة، فى السفوح السفلى، وفى الغابات المتشابكة، فى أماكن لا يستطيع أحــد من أهل المدن اختراقها...

الأستاذ روبك : وستهبطان كلاكما إليها غدًا؟

مـــــــايــا : **(ترتمى على الأرض بين الحشائش)** نعم، هـذا مـا رتبناه. ولكن ربما رحلنا الليلة، أعنى إذا ما لم يكن عندك مانع.

الأستاذ روبك : أنا؟ لم يعد من اختصاصى أن...

مـــــــايــا : **(بسرعة)** بالطبع سيذهب لا رز معنا، يقود الكلاب.

الأستاذ روبك : ليس هناك ما يدفعنى إلى تتبع حركات مستر لارز وكلابه.

(يغيرِّ الموضوع) أليس الأفضل أن تجلـسى جلـسة معتدلة على المقعد؟

مـــــــايــا : **(تكاد تنعس)** لا، وشكرًا لك، فإنى أرقد فى راحـة تامة هنا بين الحشائش الناعمة.

الأستاذ روبك : أراك متعبة.

مـــــــايــا : **(تتثاءب)** أظننى بدأت أشعر بالتعب.

الأستاذ روبك : إنك لا تلاحظين ذلك إلا أخيـرًا، عنـدما تـزول الإثارة.

مـــــــايــا : **(فى صوتٍ ناعس)** تمامًا، سأرقد وأغمض عينى.

(لحظة صمت قصيرة)

مـايـا : **(فى ضيق مفاجئ)** أوه، يا روبك، كيف تحتمل الجلوس هكذا لسماع صرخات هؤلاء الأطفال؟ والنظر إليهم وهم يقفزون!؟

الأستاذ روبك : إن فى حركاتهم، بين وقت وآخر، انسجامًا يشبه الموسيقى، على الرغم من كل هذه الضوضاء، وإنه ليسرنى كثيرًا أن أجلس مترقبًا تلك اللحظات الفريدة... حينما يأتون.

مـايـا : **(تضحك فى شىء من الاحتقار)** نعم، أنت فنان دائمًا، دائمًا.

الأستاذ روبك : ومن رأيى أن أظل فنانًا دائمًا.

مـايـا : **(ترقد على جنبها بحيث تجعل إليه ظهرها)** ليس فيه من الفنان شىء.

الأستاذ روبك : **(بانتباه)** من هو هذا الذى ليس فنانًا؟

مـايـا : **(بصوت ناعس مرة ثانية)** ولماذا؟ إنه الشخص الآخر طبعًا.

الأستاذ روبك : تعنين صائد الدببة؟

مـايـا : نعم، ليس فيه أثارة من الفنان... أية أثارة ومهما صغرت.

الأستاذ روبك : (يبتسم) نعم، لا شك فى ذلك مطلقاً.

مـــــــايــا : (بحماسة ودون أن تتحرك) وإنه لكئيب كذلك (تنزع قبضة من الحشيش وترميها بعيدا) كئيب جداً، جدا! أف!

الأستاذ روبك : أهذا ما جعلك على استعداد للذهاب معـــه... إلـــى البرية!؟

مـــــــايــا : (بجفاف) لست أدرى. (تلتفت إليه) وإنـــك أيـــضًا لكئيب يا روبك.

الأستاذ روبك : ألم تكتشفى ذلك إلا الآن؟

مـــــــايــا : بل اكتشفته منذ زمن طويل.

الأستاذ روبك : (يهزُّ كتفيه) إن الإنسان لا يصغر أبدًا، أبدًا، أيتهـــا العروس مايا.

مـــــــايــا : ليس هذا النوع من الكآبة هو الذى أعنيه، ولكنـــى لاحظت فى عينيك نوعًا من التعب، من المـــلال، عندما تتكرم وتلقى علىَّ نظرة بين حين وآخر.

الأستاذ روبك : هل لاحظت ذلك؟

مـــــــايــا : (تومئ برأسها) لقد ظهرت هذه النظرة فى عينيـــك شيئًا فشيئًا، وكان يبدو أنك تدبر مكيدة ضدى.

الأستاذ روبك : حقًّا؟ (**فى عطف ولكن بجد**) تعالى واجلسى إلى جانبى يا مايا، ودعينا نتحدث قليلا.

مـايـا : (**فى نصف قومة**) هل تسمح لى إذن بالجلوس على ركبتيك، كما اعتدتُ فى أيامنا الأولى؟

الأستاذ روبك : لا، لن تفعلى ذلك، فالناس قد يروننا من الفندق. (**يتحرك قليلاً**) ولكنك تستطيعين الجلوس هنا على المقعد، بجانبى.

مـايـا : لا، شكرًا، أُفضّل فى هذه الحالة أن أظل مستلقية مكانى، وفى وسعى أن أسمعك بوضوح من موضعى هذا. (**تنظر إليه فى تساؤل**) حسن، ماذا تريد أن تقول لى؟

الأستاذ روبك : (**يبدأ فى بطء**) ماذا تظنين السبب الحقيقى الذى حدا بى للقيام بهذه الرحلة؟

مـايـا : أ... أذكر أنك قلت بين أسباب أخرى إنها ستكون ذات نتيجة طيبة لى، ولكن... ولكن...

الأستاذ روبك : ولكن...؟

مـايـا : ولكنى الآن لا أصدق بأى حال أن هذا هو السبب...

الأستاذ روبك : ماذا تظنين إذن؟

مـــــــايــــا : أظن الآن أن السبب هو هذه المرأة الشاحبة.

الأستاذ روبك : السيدة فون ساتو؟!

مـــــــايــــا : نعم، تلك التى تتعقبنا دائما، فقد جاءت هنا أيــضًا مساء أمس.

الأستاذ روبك : ولكن أى شىء يعنى!

مـــــــايــــا : أوه، أنا أعرف أنك عرفتها معرفة وثيقة... قبل أن تعرفنى بزمن طويل.

الأستاذ روبك : ونسيتها أيضًا.. قبل أن أعرفك بزمن طويل.

مـــــــايــــا : **(تجلس)** أمِنَ الممكن أن تنســى هــكذا بسهولة يا روبك؟

الأستاذ روبك : **(بجفاف)** نعم، بكل سهولة. **(يضيف بصوت خشن)** عندما أريد النسيان.

مـــــــايــــا : حتى المرأة التى كانت نموذجًا لك؟

الأستاذ روبك : عندما لا أكون فى حاجة إليها...

مـــــــايــــا : تلك التى وقفت أمامك عارية؟

الأستاذ روبك : ليس فى ذلك شىء... أى شــىء؛ عنــدنا نحــن الفنانين **(يُغيِّر نغمة صوته)** والآن... هــل لــى أن

أجسر وأتساءل، كيف كان يمكن أن أعرف أنها في هذا المكان؟

مـايـا : أوه، ربما رأيت اسمها في إحدى قوائم الزوار... في صحيفة ما.

الأستاذ روبك : ولكني لم أكن أعلم شيئًا عن الاسم الذي جاءت به، ولم أسمع قط بالهر ڤون ساتو.

مـايـا : **(تتظاهر بالتعب)** أوه، إذن فربما دعاك سبب آخر إلى القيام بهذه الرحلة.

الأستاذ روبك : **(في جد)** نعم، يا مايا. كانت لسبب آخر، سبب مختلف تمامًا، وهذا ما يجب أن نجلوه إن آجلاً وإن عاجلاً.

مـايـا : **(في نوبة من الضحك المكتوم)** يا إلهي، ما أعظم ما يبدو عليك من الرزانة والجلال!

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها في شك)** نعم، وربما كان قَدْرًا من الرزانة أكثر مما ينبغي.

مـايـا : وكيف...؟

الأستاذ روبك : إن هذا أمر مفيد لنا، كلينا.

مـايـا : بدأت تجعل منّي فضولية ومحبة لاستطلاع أمور الغير يا روبك!

الأستاذ روبك : فضولية فقط؟ ألم تحسى ولو بقليل من القلق؟

مـــــــايـــا : (تهزُّ رأسها) مطلقًا.

الأستاذ روبك : حسن، اسمعى إذن... قلـتِ يـوم أن كنـا فـى الحمامات إنه يبدو أننى أصبحت عصبيًّا فى الأيام الأخيرة...

مـــــــايـــا : نعم، كنت عصبيًّا حقًا.

الأستاذ روبك : وماذا تظنين سبب ذلك؟

مـــــــايـــا : أنَّ لى بالإجابة؟ (بسرعة) لعلك تعبـت مـن دوام صحبتى.

الأستاذ روبك : دوام صحبتك؟ لماذا لا تقولين صحبتك «الأبدية»؟

مـــــــايـــا : فلتكن صحبتنا اليومية، فمنذ أربع أو خمس سنوات مميتة ونحن نعيش وحيـدين، بمفردنـا، دون أن نفترق ساعة واحدة. نحن الاثنين، ولا أحد معنا.

الأستاذ روبك : (بسرور) حسن... وبعد؟

مـــــــايـــا : (وكأنها مظلومة بعض الشىء) إنك يا روبك لـست رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظــل وحيـدًا، لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض علـى أحـد أفكارك، وأنا لا أستطيع بالطبع أن أتحـدث معـك

عن عملك حديثًا صحيحا، فإنى لا أعرف شيئا عن الفن وماهو أشبه بالفن. **(بحركة ضـــيق)** ولا أهـــتم بهذا الأمر إلا قليلاً!

الأستاذ روبك : حسن، وهذا ما دعانا فى أغلـــب الأحيـــان إلـــى الجلوس حول المدفئة والتحدث عن أعمالك أنت.

مـــــــايـــا : أوه، يا إلهى، ليس لى من الأعمال ما تتحدث عنه.

الأستاذ روبك : لا بأس، ربما كانت أعمالاً تافهة، ولكن الزمن علـــى كل حال كان يمر علينا فى مثل هذه الأشياء يا مايا.

مـــــــايـــا : نعم، أنت على حق، الزمن يمر، إنه يفرٌّ منك يـــا روبك... وأظن أن هذا هو السبب الحقيقى الـــذى جعلك غير مرتاح البال...

الأستاذ روبك : **(يومئ برأسه موافقًا فى حماس)** وقلقًا إلى هذا الحـــد! **(يتلوى فى جلسته)** لا، سيأتى سريعًا ذلك الوقـــت الذى لا أستطيع فيه احتمال تلك الحياة الفظيعة.

مـــــــايـــا : **(تنهض وتظل لحظة فى وقفتها ناظرة إليه)** إذا أردت أن تتخلص منِّى فما عليك إلا أن تقول ذلك.

الأستاذ روبك : لماذا تستعملين مثل هذه الألفاظ؟ أتخلص منك؟

مـــــــايـــا : نعم، إذا أردت أن تتخلص منِّى نهائيًّا فقـــلْ ذلـــك بصراحة أرجوك، وسأرحل فى الحال.

الأستاذ روبك : **(بابتسامة لا تكاد ترى)** أتقصدين التهديد بهذا القول يا مايا؟

مـــــــايــا : لا تهديد فيما قلته.

الأستاذ روبك : **(يقف)** نعم، أظنك على حق فى ذلك. **(بعد فتـــرة صمت)** ليس فى الإمكان أن نستمر أنا وأنت فـــى حياة كهذه...

مـــــــايــا : حسن... وبعد؟

الأستاذ روبك : لا «بعد» فى هذا الأمر. **(يضغط على الكلمـــات)** فليس معنى أننا لا نستطيع الحياة منفردين، أن يتبع ذلك الافتراق.

مـــــــايــا : **(تبتسم فى احتقار)** أتعنى أن نتباعد قليلاً؟

الأستاذ روبك : **(يهزُّ رأسه)** حتى هذا ليس ضروريًا.

مـــــــايــا : حسن... قل إذن ما تريد فعله معى.

الأستاذ روبك : **(يتردد قليلاً)** إن ما أحسه الآن إحـــساسا عميقـــا.. مؤلمًا أشد الألم، هو أننى فى حاجة إلـــى شـــخص يقف إلى جانبى، شخص يشدُّ أزرى فـــى صـــدق وإخلاص.

مـــــــايــا : **(تقاطعه فى اهتمام)** ألا أفعل أنا ذلك يا روبك؟

الأستاذ روبك : **(يشير بيده وكأنه يُبعِد شيئًا)** ليس بالمعنى الذى أريده، إن ما أريده هو مرافقة شخص آخر يمكنه أن يكملنى... أن يتمم الناقص فىَّ... أكون أنا وهو فى عملى شخصًا واحدًا.

مــايــا : **(فى بطء)** من الصعب حقًّا أن أكون لك ذلك.

الأستاذ روبك : أوه، لا، ليس ذلك فى طبيعتك أبدًا يا مايا.

مــايــا : **(فى غضب مفاجئ)** ويعلم الله أنى لا أريد أيضًا!

الأستاذ روبك : أعرف ذلك معرفة تامة... ولم يخطر لى عندما تزوجتك أن تبذلى لى هذه المساعدة.

مــايــا : **(تنظر إليه متفحصة)** أرى فى وجهك أمارات التفكير فى شخص آخر.

الأستاذ روبك : حقًّا؟ لم ألاحظ من قبل أنك قارئة أفكار، ولكنك استطعت رؤية ذلك، ألا تستطيعين؟

مــايــا : نعم أستطيع، أوه، إنى أعرفك جيدًا، أعرفك جيدًا يا روبك.

الأستاذ روبك : ربما استطعت إذن معرفة من التى أفكر فيها؟

مــايــا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : حسن... أتسمحين بـــ...؟

مـــــــايـــا : إنك تفكر فى هذه الـــ... هذه النموذج التى عملت معها مرة... (**ترخى العنان لأفكارها فجأة**) أتعلـــم أن نزلاء الفندق يظنونها مجنونة؟

الأستاذ روبك : حقًّا؟ أرجوك إذن أن تخبرينى عـــن رأى نـــزلاء الفندق فيكِ وفى قاتل الدببة.

مـــــــايـــا : لا علاقة لذلك بموضوعنا. (**تستمر فى إرخاء العنان لأفكارها**) ولكنك كنت تفكـــر فـــى هـــذه المـــرأة الشاحبة...

الأستاذ روبك : (**بهدوء**) بالضبط، كنت أفكر فيها، فإنها عندما لـــم أعد فى حاجة إليها... وعندما فرَّت منِّى أيـــضًا.. اختفت دون أن تترك كلمة...

مـــــــايـــا : أظنك قبلِتنى إذن على أنى نوع من البدل؟

الأستاذ روبك : (**يقل إحساسه**) إن أردتِ الصدق يا صغيرتى مايا، فإنه شيء من هذا القبيل؛ فقد عشت هناك وحيـــدًا مستغرقًا فى التفكير قرابة عام أو عـــام ونـــصف، وفى هذا الوقت أتممت عملـــى... وأضـــفت إليـــه اللمسة الأخيرة النهائية، وطـــاف «يـــوم البعـــث» بالعالم كله ثم عاد إلىَّ جالبًا لى الشهرة... وكل ما

يمكن أن يتمناه القلب. **(تزداد حماسته)** ولكنى لم أعد أحب عملى، وقد سئمت ما يقوله الناس عن النبوغ، وضقت بإطرائهم لى، وكدت أندفع فى يأس لأخفى نفسى فى أعماق الغابات. **(ينظر إليها)** وأنت، يا قارئة الأفكار... أيمكنك إخبارى بما حدث إذ ذاك؟

مايا : **(بخفة)** نعم، حدث أنك أخذت فى نحت تماثيل نصفية للرجال والسيدات.

الأستاذ روبك : **(بخفة)** نعم، حدث أنى أخذت فى نحت تماثيل، وكنت أضع لهم خلف القناع وجوه حيوانات، كنت أضعها دون مقابل، وذلك فى أثناء المساومة كما تعرفين. **(يبتسم)** ولكنى ما كنت أفكر فى هذا بالضبط.

مايا : وفيم كنت تفكر إذن؟

الأستاذ روبك : **(فى جد مرة أخرى)** هذا ما حدث، أحسست أن كل ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما أشبه ليس فى حقيقته إلا شيئًا فارغًا تافهًا لا معنى له.

مايا : وماذا وضعت مكان الرسالة إذن؟

الأستاذ روبك : الحياة يا مايا.

مـــــــايــــا : الحياة؟

الأستاذ روبك : نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجمال خيرًا ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياتـــه حتى الموت فى جحر مظلم رطب قذر، يـــصارع دائمًا كتل الصلصال وقطع الأحجار؟

مـــــــايــــا : **(تتنهد بخفة)** نعم، هذا بالضبط ما كنت أفكـــر فيـــه دائما.

الأستاذ روبك : ثم أصبحت غنيًّا بالقدر الـــذى أســـتطيع معـــه أن أعيش فى رفاهية، وأن أتمتع فـــى كـــسل بأشـــعة الشمس المرتعشة، وأصبح فى مقدورى أن أشـــيد المنزل الخلوى على بحيرة تونتز والقصر الذى فى العاصمة... إلى آخر ذلك كله.

مـــــــايــــا : **(باللهجة التى يتكلم بها)** وأخيرًا، وليس آخرًا، كان فى إمكانك أن تتقدم لخطبتى، وأعطيتنى الحق فى اقتسام كنوزك معك.

الأستاذ روبك : **(يمزح وكأنما يريد تغيير الحديث)** ألم أعـــدك بـــأن أصعد معك إلى قمة جبل عال وأريك كل ما فـــى العالم من عظمة وبهاء؟

مــــــــايــا : **(بتعبير لطيف)** ربما استطعت أن تأخذنى إلى قمة جبل على ارتفاع معقول يا روبك... ولكنك لم ترنى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

الأستاذ روبك : **(يضحك فى ضيق)** ما أكثر نهمك يا مايا! أبدًا لا تشبعين! **(فى غضب وعنف)** ولكن أتعرفين أكثر ما يضايق الإنسان يا مايا؟ أتستطيعين معرفته؟

مــــــــايــا : **(فى تحدٍّ هادئ)** نعم، أظنه رَبْطُ نفسك بى... مدى الحياة.

الأستاذ روبك : لست أستطيع التصريح بذلك فى قسوة هكذا.

مــــــــايــا : ولكنك تعنيه بنفس القسوة.

الأستاذ روبك : ليس لديك أى فكرة واضحة عن طبيعة الفنان الداخلية.

مــــــــايــا : **(تبتسم وتهزُّ رأسها)** يا إلهى، وكيف يمكننى ذلك وليس لدى فكرة واضحة عن طبيعتى الداخلية، طبيعتى أنا نفسى.

الأستاذ روبك : **(مستمرًّا وكأنه لم يُقاطَع)** إن حياتى تمضى بسرعة هائلة يا مايا، وهكذا تمر حياة الفنانين جميعًا، فأنا من ناحيتى عشت حياة كاملة فى تلك

السنوات القلائل التى تعارفنا فيها، مما أكد لى أننى لم أُخلق لأبحث عن السعادة فى اللهو والكسل، إن الحياة فى رأيى ورأى أمثالى ليست كذلك، إنما هى عمل مستمر... يجب أن أعمل عملاً بعد آخر... حتى يوم مماتى. **(يجبر نفسه على الاستمرار)** وهذا هو السبب الذى يمنعنى من أن أعيش معك بعد الآن يا مايا، أن أعيش معك وحدك.

مايا : **(بهدوء)** أتعنى بعبارة صريحة، أنك تعبت منى؟

الأستاذ روبك : **(منفجرًا)** نعم، هذا ما أعنيه! لقد تعبت... تعبت كل التعب وضجرت وانحلّت قواى... من هذه الحياة التى أحياها معك! ها قد عرفت الآن. **(يضبط زمام نفسه)** إن هذه الكلمات التى أستعملها كلمات قاسية جافية، أعلم ذلك جيدًا، وأعلم أن لا ذنب لك فى الأمر... وإنى لأعترف بذلك عن طيب خاطر، كل ما فى الأمر أننى أنا وحدى الذى أمرُّ مرة أخرى بثورة... **(وكأنه يحادث نفسه)**.. هى العودة إلى حياتى الحقيقية.

مـــــــايـــا : **(تضع يديها على صدرها دون اختيار)** أى شـــىء إذن فى هذا العالم يمنعنا من أن نفترق؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى دهشة)** أتقبلين ذلك؟

مـــــــايـــا : **(تهزُّ كتفيها)** أوه، نعم... إذا لم يكـــن هنـــاك حـــل آخر، فإذن...

الأستاذ روبك : **(بشوق)** ولكن هناك حل آخر، أحد أمرين...

مـــــــايـــا : **(ترفع سبابتها فى وجهه)** ها أنت تفكر مرة أخـــرى فى السيدة الشاحبة!

الأستاذ روبك : نعم، إن أردتِ الصدق، فإنى منذ أن رأيتها ثانية لم أستطع منع نفسى من التفكير فيها. **(يقترب منـــها)** يجب أن أكشف لك الآن سرًا يا مايا.

مـــــــايـــا : ماذا؟

الأستاذ روبك : **(يلمس صدره)** هنا، أترين... هنا صندوق مقفـــل، مخزون فيه كل خيالات المثَّـــال، ولكنهـــا عنـــدما اختفت ولم تتـــرك وراءهـــا أثـــرًا، أُغلِـــق قفـــل الصندوق، وكان المفتاح معها... فرحلـــت وهـــو معها... وأنت يا صغيرتى مايا لا مفتـــاح معـــك، وهكذا تظل محتويات الصندوق فـــى مكانهـــا دون

الانتفاع بها، والسنون تمر! ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز.

مـــــــايـــا : **(تحاول أن تخفى بسمة ماكرة)** اطلب منهـــا إذن أن تدير لك المفتاح مرة أخرى.

الأستاذ روبك : **(غير فاهم)** مايا...؟

مـــــــايـــا : لأنها قد أتت الآن، أفهمت؟ ولا ريب أن ما جـــاء بها هو هذا الصندوق.

الأستاذ روبك : إنى لم أقل لها قط كلمة واحدة عن هذا الموضوع!

مـــــــايـــا : **(تنظر إليه ببراءة)** يا عزيزى روبك... أتستحق هذه المسألة البسيطة كل مـــا أثرتـــه مـــن الـــضجيج والاضطراب؟

الأستاذ روبك : أتظنينها مسألة بسيطة هذه البساطة المطلقة يا مايا؟

مـــــــايـــا : نعم، هذا ما أظنه بالتأكيد، فلتتصل بمن ترى أنـــك فى حاجة إليهم **(تومئ برأسها موافقة)** وســـأحاول دائمًا أن أجد لنفسى مكانًا.

الأستاذ روبك : أين تعنين؟

مـــــــايـــا : **(فى مواربة وعدم اكتراث)** حسن... لن أحتاج إلى أكثر من الذهاب إلى منزلنا الخلوى إن لزم الأمر.

ولكنا لن نحتاج إلى ذلك، ففى المدينة... فى منزلنا الكبير هناك... سنجد مكانًا لثلاثتنا عن طِيب خاطر.

الأستاذ روبك : **(فى شك)** أتظنين ذلك يصلح مدى الحياة؟

مـايـا : **(فى خفة)** حسن إذن... إذا لم يكن يصلح، فلسوف يتبين ذلك... وليس من الخير الكلام فى ذلك الآن.

الأستاذ روبك : وماذا نفعل إذن يا مايا إذا تبين أن دوام هذه الحال من المحال؟

مـايـا : **(بغير اهتمام)** إذ ذاك يتنحى كلٌّ منا عن طريق الآخر... وننفصل نهائيًّا، وسأجد دائمًا شيئًا جديدًا لى، فى أى مكان فى هذه الدنيا، شيئًا طليقًا! حرًّا! حرًا! لا حاجة بك إلى التفكير فى ذلك أيها الأستاذ روبك! **(تشير فجأة إلى اليمين)** انظر! ها هى ذى قد أتت!

الأستاذ روبك : **(يلتفت)** أين؟؟

مـايـا : هناك فى السهل، تسير فى خطوات واسعة... وكأنها تمثال من الرخام، إنها قادمة من هذا الطريق.

الأستاذ روبك : **(يحدد نظره وقد وضع يده فوق عينيه)** ألا تبدو وكأنها البعث مجسمًا؟ **(لنفسه)** وهى التى أحللت غيرها محلها، وأرسلت بها إلى عالم الظلال!؟ صغتها من جديد... كم كنت مجنونًا!

مايا : ماذا تعنى؟

الأستاذ روبك : **(لا يجيب)** لا شيء، لا شيء مما يمكن أن تفهميه.

(تتقدم أيرين من الجهة اليمنى، وفى نفس اللحظة يراها الأطفال فيجرون إليها، هاهم الآن قد أحاطوا بها وقد بدت على بعضهم الثقة والراحة بينما تملَّك البعض الآخر الخوف والجبن، تحادثهم فى خفوت، وتشير إليهم بأن يترلوا إلى الفندق بينما تستريح هى قليلاً إلى جانب الينبوع، يجرى الأطفال على المنحدر نحو الشمال منحرفين قليلاً إلى الخلف، تذهب أيرين إلى الجدار الصخرى وتضع يديها تحت الماء المتساقط لتبريدهما)

مايا : **(فى صوت خافت)** انزل وحادثها على انفراد يا روبك.

الأستاذ روبك : وأين تذهبين أنت إذن!؟

مـــــــايـــا : **(تنظر إليه نظرة ذات معنى)** منذ الآن سأذهب حيث أريد. **(تنزل من فوق الأكمة وتقفز عـــبر الينبـــوع مستعينة بالعصا، ثم تقف بجانب أيـــرين)** الأســـتاذ روبك ينتظرك هناك فوق الأكمة يا سيدتى.

أيـــــــرين : ماذا يريد؟

مـــــــايـــا : يطلب منك أن تساعديه فى فتح صندوق مغلق.

أيـــــــرين : وهل أستطيع مساعدته فى ذلك؟

مـــــــايـــا : قال إنك أنت الوحيدة التى تستطيع.

أيـــــــرين : إذن علىَّ أن أحاول.

مـــــــايـــا : نعم، يجب عليك يا سيدتى.

(تنزل نحو الفندق بعد لحظة قصيرة ينزل الأســـتاذ روبك إلى أيرين، ولكنه يقف عند الجانب الآخـــر للينبوع)

أيـــــــرين : **(بعد فترة صمت قصيرة)** لقـــد قالـــت... المـــرأة الأخرى... إنك كنت تنتظرنى.

الأستاذ روبك : قد انتظرتكِ عامًا بعد عام... دون أن أعرف فـــى قرارة نفسى.

أيـــــــــرين : ما كنت أستطيع المجيء إليك يا أرنولد، إذ كنـــت راقدة هناك فى القبر نائمة نومًا عميقًا طويلاً مليئا بالأحلام.

الأستاذ روبك : ولكنكِ استيقظت الآن يا أيرين!

أيـــــــــرين : (تهزُّ رأسها) مازلتُ أحس بـــالنوم الثقيـــل العميـــق يغمض عينى.

الأستاذ روبك : سترين أن اليوم سيبزغ فجره ويضىء لنا كلينا.

أيـــــــــرين : لا تصدق ذلك.

الأستاذ روبك : (فى إلحاح) بل إنى واثق به! وأدركـــه! الآن وقـــد وجدتُك ثانية...

أيـــــــــرين : وقد قمت من القبر.

الأستاذ روبك : فى صورة أخرى!

أيـــــــــرين : قمت فقط يا أرنولد، ولكنى لم أتغير.

(يعبر الينبوع إليها معتمدًا على قطـــع مـــن الأحجار تحت مسقط المياه)

الأستاذ روبك : أين كنت طوال اليوم يا أيرين؟

أيـــــــــرين : (مشيرة) بعيدًا، بعيدًا فوق المرتفعات، فى البريـــة الشاسعة الصامتة.

الأستاذ روبك : **(يغيِّر الحديث)** ليس معك... صديقتك اليــوم كمــا أرى.

أيـــــــرين : **(تبتسم)** إن صديقتى تراقبنى دائمًا بعين يقظة ولا تغفل لحظة.

الأستاذ روبك : وهل تستطيع؟

أيـــــــرين : **(تنظر حواليها خفية)** تأكد أنها تستطيع... فــى أى مكان أذهب إليه، إننى لم أغب عن نظرها قــط.. **(همس)** حتى يجىء يوم صــيف شــمس جميــل، فأقتلها.

الأستاذ روبك : أَوَ تفعلين؟

أيـــــــرين : بأقصى ما تتصور من لذة... قــط... لــو أننــى أستطيع.

الأستاذ روبك : ولماذا تقتلينها؟

أيـــــــرين : لأنها تشتغل بالسحر. **(بغموض)** يكفى أن تتــصور يا أرنولد... أنها حوَّلت نفسها إلى خيالى.

الأستاذ روبك : **(يحاول تهدئتها)** حسن، حسن، لا بأس... يجــب أن يكون لكل منا خيال.

أيـــــــرين : ولكنى خيال نفسى. **(فى هياج)** ألا تفهم ذلك؟

الأستاذ روبك : (بحزن) نعم، نعم يا أيرين، أفهم.

(يجلس على حجر إلى جانب الينبوع وتقف هى وراءه مستندة إلى الجدار الصخرى)

أيـــــــرين : (بعد فترة صمت) لماذا تجلس هناك صارفًا نظرك عنى؟

الأستاذ روبك : (بنعومة وهو يهزُّ رأسه) لست أجسر... لا أجـــسر على النظر إليك.

أيـــــــرين : لماذا لم تعد تجسر على النظر إلىَّ؟

الأستاذ روبك : لأن لك خيالاً يعذبنى ولأن لى ضميرًا يُثقِل علـــىَّ حتى ليهلكنى.

أيـــــــرين : (تصيح فى فرح وحرية) أخيرًا!

الأستاذ روبك : (يقفز) أيرين... ما هذا؟

أيـــــــرين : (تشير إليه) لا تتحرك، ظل هادئًا، هادئا! (تتـــنفس نفسًا عميقًا وتقول وكأنها خففت عن نفسها حملا) والآن! الآن وقد تركونى أذهب فى هذه المـــرة... يمكننا الآن أن نجلس ونتحدث كما اعتدنا... عندما كنت حية.

الأستاذ روبك : أوه، لو نستطيع فقط التحدث كما اعتدنا.

أيـــــــرين : اجلس هناك كما كنت تجلس، وسأجلس إلى جانبك هنا.

(يجلس ثانية وتجلس هى على حجـــر آخـــر قريب منه. بعد فترة صمت قصيرة)

أيـــــــرين : ها قد عدت إليك مرة أخرى من أبعـــد المناطـــق يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، حقًّا، من رحلة لا نهائية.

أيـــــــرين : عدت ثانية إلى وطنى، إلى سيدى ومولاى...

الأستاذ روبك : إلى وطننا... موطننا الخاص يا أيرين.

أيـــــــرين : هل كنت تنتظر عودتى كل يوم؟

الأستاذ روبك : هل كنت أجرؤ على البحث عنك؟

أيـــــــرين : **(تنظر إليه نظرة جانبية)** كلا، أظنك لم تكن تجـــرؤ، لأنك لا تفهم شيئًا.

الأستاذ روبك : أمن الحق أن اختفاءك الفجائى بهذه الطريقة كـــان من أجل إنسان آخر؟

أيـــــــرين : ألا يمكن كذلك أن يكون من أجلك أنت يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى شك)** أنا لا أفهمك!

أيـــــــرين : عندما خدمتك بروحى وجسدى... وعندما انتهـى التمثال... ابننا كما كنت تسميه... عندئذ طرحـت على قدميك أثمن التضحيات جميعًـا... وهـى أن أمحو نفسى من دنياك إلى الأبد.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه)** وتتركين حياتى فارغة ضائعة.

أيـــــــرين : **(فى انفعال مفاجئ)** هذا بالضبط ما أردته! أبدًا، أبدًا لن تستطيع خلق شىء آخر... بعد خلقـك طفلنـا الوحيد.

الأستاذ روبك : أكان ما يقودك إذ ذاك هو الحسد؟

أيـــــــرين : أظنها عاطفة أميل إلى الكراهية.

الأستاذ روبك : الكراهية؟ كراهيتى؟

أيـــــــرين : **(فى حماسة مرة أخرى)** نعم أنت، الفنان الذى أخـذ دون مبالاة ولا اهتمام جسدًا حار الـدماء، حيـاةً إنسانية شابة، وانتزع منها الروح... لأنك كنت فى حاجة إليها فى عملك الفنى.

الأستاذ روبك : وتستطيعين قول ذلك... أنت التى انغمست فى عملى بعاطفة مقدسة وفرح جارف؟ ذلك العمل الـذى كنـا نجتمع من أجله كل صباح وحدنا وكأننا نتعبد.

أيـــــــرين : **(ببرود كما كانت قبلاً)** سأخبرك بشىء واحد يـــا أرنولد.

الأستاذ روبك : ماذا؟

أيـــــــرين : إننى لم أحب فنك قط، لا قبل مقابلتك ولا بعدها.

الأستاذ روبك : ولكن الفنان يا أيرين؟

أيـــــــرين : الفنان؟ إنى أكرهه.

الأستاذ روبك : والفنان الذى فى داخلى أيضًا؟

أيـــــــرين : والذى فى داخلك أكثر من أى إنسان آخر، عنـــدما تعريت ووقفت أمامك، إذ ذاك كرهتك يا أرنولد...

الأستاذ روبك : **(بحرارة)** هذا ما لم يكن قط يا أيرين! لست صادقة فى ذلك!

أيـــــــرين : كرهتك لأنك استطعت الوقوف هناك رابط الجأش.

الأستاذ روبك : **(يضحك)** رابط الجأش؟ أتظنين ذلك؟

أيـــــــرين : دون أن تفقد زمام نفسك مطلقًا علـــى أى حـــال، ولأنك كنت فنانًا، وفنانًا فقط، ولـــم تكـــن رجـــلاً! **(بصوت مملوء بالحرارة والعاطفة)** ولكن ذلك التمثال الساكن المصنوع من الصلصال الرطـــب... هـــذا التمثال هو الذى أحببته، أحببته وهو يتكامل علـــى هيئة مخلوق إنسانى حى من بين تلك الكتل التى لا

شكل لها ولا هيئة... ذلك لأنه كان من خلقنا، كان طفلنا، كان طفلى وطفلك.

الأستاذ روبك : **(فى حزن)** كان كذلك عن صدق وطيب قلب.

أيـــــــرين : دعنى أخبرك يا أرنولد، أننى ما قمت بهذه الرحلة الطويلة إلا من أجل طفلنا هذا.

الأستاذ روبك : **(يقف فجأة)** من أجل التمثال؟

أيـــــــرين : سمِّه ما شئت، ولكنى أسميه طفلنا.

الأستاذ روبك : وتريدين الآن رؤيته، وقد انتهى، منحوتًا فى الرخام الذى كنت ترين دائمًا أنه بارد شديد البرودة؟ **(بشوق)** لعلك لا تعرفين أنه مُقام فى أحد متاحف العالم العظيمة، بعيدًا جدًا عن هنا؟

أيـــــــرين : سمعت عنه بعض القصص.

الأستاذ روبك : وكانت المتاحف دائمًا شيئًا مخيفًا لكِ، كنتِ تسمينها أقبية القبور.

أيـــــــرين : سأقوم برحلة إلى حيث روحى وروح طفلى مدفونتان.

الأستاذ روبك : **(فى ضيق وخوف)** يجب ألا ترَىْ هذا التمثال مرة أخرى! أتسمعين يا أيرين؟ أتوسل إليك... ألاَّ ترَيْه أبدًا، أبدًا!

أيـــــــرين : لعلك تظن فى ذلك موتًا آخر لى؟

الأستاذ روبك : (يعصر يديه) أوه، لا أدرى ماذا أظن... ولكن كيف كان يمكننى أن أتصور أن كل أفكارِكِ ستتعلق بهذا التمثال دون أن تتحول عنه؟ أنت يا من تركتنى... قبل أن يتم.

أيـــــرين : كان قد تم، وهذا ما دعانى إلى أن أبتعد عنـك... وأتركك وحيدًا.

الأستاذ روبك : (يجلس واضعًا مرفقيه على ركبتيه ويديه على عينيه وهو يهز رأسه يمنة ويسرة) لم يكن إذ ذاك ما صار إليه بعد ذلك.

أيـــــرين : (بهدوء ولكن بسرعة كالبرق تُخرِج من صدرها خنجرًا حادًا حتى منتصفه وتسأل هامسة فى صوت خشن) أرنولد... أأحدثتَ أى ضرر بطفلنا؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) ضرر؟ كيف لى بمعرفة ما ستطلقينه على ما فعلته؟

أيـــــرين : (مبهورة الأنفاس) خبِّرنى فى الحال، ماذا فعلت بالطفل؟

الأستاذ روبك : سأخبرك إن جلست واستمعت فى هدوء إلى ما أقول.

أيـــــــرين : (تخفى الخنجر) سأسمع فى هدوء قدر ما تـستطيع الأم عندما...

الأستاذ روبك : (مقاطعًا) وعليكِ ألا تنظرى إلىَّ وأنا أنبئكِ بذلك.

أيـــــــرين : (تتحرك نحو حجر خلف ظهره) سأجلس هنا خلفك. الآن، خبِّرنى.

الأستاذ روبك : (يرفع يديه من فوق عينيه ويحملق فى الفضاء أمامه) عندما وجدتكِ عرفت فورًا كيف أستغلك فى عمـل حياتى.

أيـــــــرين : عمل حياتك الذى سميته «يوم البعث» والذى أسمِّيه أنا «طفلنا».

الأستاذ روبك : كنت حدثًا إذ ذاك.. لا تجارب لـى فـى الحيـاة، وكنت أظن أن أجمل وأصدق تمثيـل للبعـث أن أظهره فى صورة امرأة شابة جميلة... لا تجارب لها فى الحياة... تستيقظ للنور والمجد دون حاجـة إلى انتزاع أى قبيح دنس منها.

أيـــــــرين : (بسرعة) نعم، وهل أقف كذلك الآن فى عملنا؟

الأستاذ روبك : (بتردد) ليس تمامًا يا أيرين.

أيـــــــرين : (فى انفعال متزايد) ليس تمامًا؟ ألا أقف كما اعتدت الوقوف أمامك؟

الأستاذ روبك : **(دون أن يجيب)** فى السنوات التى تلت ذلك يا أيرين تعلَّمت حكمة الحياة، فرأيت بفكرى أن «يوم البعث» شىء أكثر من ذلك، شىء أكثر تعقيدًا، ولم تعد القاعدة المستديرة الصغيرة التى كان تِمْثالك يقوم عليها وحده... لم تعد تكفى بعد ذلك كل القطع التى أردت أن أضيفها.

أيرين : **(تتحسس خنجرها ولكنها ترفع يدها دون إخراجه)** أى قطع أضفتها بعد ذلك؟ خبِّرنى!

الأستاذ روبك : صوَّرت كل ما رأته عيناى حولى فى هذا العالم، لقد كان علىَّ أن أضيف هذا كله، ولم أكن أستطيع الامتناع عن ذلك يا أيرين، فزدت القاعدة، جعلتها متسعة رحبة، ووضعت عليها قطاعًا من الأرض الملتوية المتصدِّعة، وقد خرجت متراكمة من هذا الصدع جماعة من الرجال والنساء لها وجوه حيوانات مبهمة، الرجال والنساء... كما عرفت حقيقتهم فى الحياة.

أيرين : **(فى شكٍّ مكتوم)** ولكن المرأة الشابة تقف وسط هذا الحشد متألقة فرحة بالنور؟.. ألا أقف كذلك يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) ليس فى الوسط تمامًا، إذ كان علىّ لسوء الحظ أن أرجع هذا التمثال إلى الخلف قليلا، تحريا للأثر العام كما تعرفين، وإلاَّ طغى على الجميع أكثر مما ينبغى.

أيرين : ولكن الفرح بالنور ما زال يشعُّ من وجهى؟

الأستاذ روبك : نعم، يشعُّ يا أيرين... من ناحية، ربما كان أخف قليلاً.. كما تتطلب فكرتى الجديدة.

أيرين : (تنهض فى هدوء) هذه الصورة تعبِّر عن الحياة كما تراها الآن يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، أظنها كذلك.

أيرين : وكنت مضطرا فى هذه الصورة إلى إرجاعى إلى الخلف وإلى تخفيف الإضاءة عنى قليلاً... كى أصبح قطعة خلفية... أو ظهارة فى مجموعة. (تخرج سكينها).

الأستاذ روبك : ليست قطعة خلفية، غاية ما يمكن قوله إنها ليست فى المقدمة تمامًا، أو شيئًا من هذا القبيل.

أيرين : (همس فى خشونة) ها قد حكمت بالهلاك على نفسك. (ترفع يدها لتضربه)

الأستاذ روبك : **(يلتفت ناظرًا إليها)** الهلاك؟

أيـــــــرين : **(تخفى الخنجر بسرعة وتقول كأنما داهمها الألم)** لقد كانت روحى بأكملها... وأنت وأنا... نحن، نحن، نحن وطفلك، كنا فى هذا التمثال الفريد.

الأستاذ روبك : **(فى شوق وهو يرفع قبعته ويجفف نقط العرق إلى تجمعت على جبهته)** نعم، ولكن دعينى كذلك أخبرك كيف مثلت نفسى فى هذه المجموعة، فى الجزء الأمامى، إلى جانب ينبوع.. مثل هذا الينبوع.. يجلس رجل مثقل بالذنوب، لا يعرف كيف يتحرر تمامًا من هذه الأرض، وقد سميته الندم على حياة الإفراط، وكان يغمس أصابعه فى الماء الجارى.. لينظفها. ولكنه يتألم ويتعذب بفكرة أنه، لن ينجح أبدا، أبدا فى ذلك، وأنه لن ينال أبدا، مهما امتد به الأمد، الحرية والحياة الجديدة، وأنه سيظل إلى الأبد سجين جحيمه.

أيـــــــرين : **(بشدة وبرود)** شاعر!

الأستاذ روبك : شاعر؟ لماذا؟

أيـــــــرين : لأنك بليد الأعصاب، مؤك الغفران لكل ما ارتكبت من الخطايا بالنية أو بالفعل، لقد قتلت روحـــى... ولذا صورت نفسك نادمًا مقــرًا بــذنوبك كارهًـــا للخطيئة.. **(تبتسم)**.. وتعتقد أنك بذلك قد تطهرت.

الأستاذ روبك : **(متحديا)** إنى فنان يا أيرين، ولن يخجلنى أن تبدو نفسى فى مظهر من ضعف الإرادة، لأنى ولـــدت لكى أكون فنانًا، أتفهمين؟ ولن أكون شـــيئًا آخـــر مهما فعلت.

أيـــــــرين : (تنظر إليه وعلى فمها ابتسامة خبيثة خفية، وتقول فى لطف ونعومة) إنك شاعر يا أرنولـــد **(تربـــت على شعره بلطف)** أيها العزيز العظيم، أيها الرجل الطفل.. أمن الممكن أنك لم تستطع إدراك ذلك؟

الأستاذ روبك : **(فى غضب)** لماذا تكثرين من نعتى بالشاعر؟

أيـــــــرين : **(وقد بدا الشر فى عينيها)** لأن فى هذه الكلمة شيئً من العذر لك يا صديقى. شـــيئًا يـــوحى بغفـــران الخطايا.. والتغاضى عن ضعف الإرادة **(تغير نغمة صوتها فجأة)** ولكنى أنا – إذ ذاك – كنـــت كائنًـــا إنسانيًا! وكانت لى أيضا حياة لأحياها.. وغـــرض

إنسانى لأتمه، وكل هذا تركتـــه، ولـــتعلم ذلـــك... قذفت به كله بعيدًا، لأكون أَمَةً لك. أوه، كان ذلـــك قتلاً لنفسى... خطيئة مميتة ضد نفسى! **(فى شـــبه همس)** ولن أغفر لنفسى هـــذه الخطيئـــة **(تجلـــس بالقرب منه على حافة الينبوع وهى ترقبه مراقبـــة دقيقة غير منظورة، ثم تنزع من الأشجار التى حولها بعض الأزهار فى شبه شرود، ثم تـــضبط عواطفهـــا ضبطًا ظاهرًا)** كان واجبًا علىَّ أن أخُرِج لهذا العالم أطفالاً.. أطفالاً عديدين، أطفالاً حقيقيـــين.، ليـــسوا كهؤلاء الأطفال الموضوعين فى أقبية القبور. هذه كانت وظيفتى، وما كان لى أن أخدمك أيها الـــ... شاعر.

الأستاذ روبك : **(يهيم فى التفكير)** ولكنها كانت أيامًـــا جميلـــة يـــا أيرين، أيامًا جميلة رائعة، كما أسترجعها الآن.

أيـــــــرين : **(تنظر إليه وعلى وجهها تعبير لطيف)** أتـــذكر تلـــك الكلمة الصغيرة التى قلتها... عنـــدما انتهيـــت... انتهيت منِّى ومن طفلنا؟ **(تومئ إليه برأسها)** أتذْكُر هذه الكلمة الصغيرة يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تساؤل) أقلتُ وقتذاك كلمة صغيرة لا زلت تذكرينها؟

أيرين : نعم، هذا ما حدث، ألا تستطيع أن تذكرها؟

الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه) لا، لا أستطيع أن أتذكرها، ليس فى هذه اللحظة على أى حال.

أيرين : أخذت يدىَّ الاثنتين وضغطتهما فى حرارة، بينما وقفت أنا منتظرة وقد حبست أنفاسى، ثم قلت لى «والآن يا أيرين، إنى أشكرك من كل قلبى، فقد كانت هذه الفترة قصة استطرادية هامة لا تقدَّر بثمن».

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى شك) أقلتُ «قصة استطرادية»؟ فإنى لم أعتد استعمال هذه الكلمة.

أيرين : نعم، قلتَ ذلك.

الأستاذ روبك : (متظاهرًا بالفرح) حسن، حسن. إنها كانت على أية حال قصة استطرادية حقًّا.

أيرين : (بجفاف) عندما سمعت هذه الكلمة تركتك.

الأستاذ روبك : إنكِ دائمًا يا أيرين تنظرين إلى الأشياء من ناحيتها المؤلمة.

أيـــــــرين : **(تمسح جبهتها بيدها)** ربما كنت محقا، دعنـــا إذن نبعد عنّا كل هذه الأمور التى تؤلم القلـــب **(تنـــزع أوراق زهرة جبلية وترميها فى الينبوع)** انظـــر يـــا أرنولد، ها هى ذى طيورنا تسبح.

الأستاذ روبك : أى نوع من الطيور هى؟

أيـــــــرين : ألا ترى؟ إنها طيور البشاروش بـــالطبع، أليـــست وردية اللون؟

الأستاذ روبك : ولكن البشاروش لا يعوم، إنما يخوض الماء فقط.

أيـــــــرين : ليست إذن طيور البشاروش، بل طيور النورس.

الأستاذ روبك : نعم، ربما كانت طيـــور النـــورس ذات المنـــاقير الحمراء **(ينزع أوراقًا خضراء عريضة، ويرميهـــا فى الينبوع)** ها قد أرسلت الآن سفنى وراءها.

أيـــــــرين : ولكن حذار أن يكون على ظهرها صيادون.

الأستاذ روبك : لا، لن يكون عليها صيادون **(يبتسم لها)** ألا تذكرين ذلك الصيف الذى اعتدنا أن نجلس فيه جلستنا هذه خارج كوخ الفلاح الصغير علـــى حافـــة بحيـــرة تونتز؟

أيـــــــرين : **(تحنى رأسها)** فى أمسيات السبت، نعم. عندما كنّـــا ننتهى من عملنا الأسبوعى.

الأستاذ روبك : ثم نستقل القطار فى طريقنا إلى البحيرة؛ لنظل هناك طوال يوم الأحد.

أيرين : **(تبدو فى عينيها نظرة بغضٍ شريرة)** لقد كانت قصة استطرادية يا أرنولد.

الأستاذ روبك : **(وكأنه لم يسمع)** وكنتِ إذ ذاك أيضًا ترسلين طيورًا لتعوم فى الماء، كانت زنابق مائية تلك التى...

أيرين : كانت بجعات بيضاء.

الأستاذ روبك : أذكر، بجعات، نعم، وإنى لأذكر أننى ربطت مرة ورقة شجر متغضنة بإحدى البجعات قيَّدت كأنها أوراق شجر رأس الحمام الشائك...

أيرين : ثم تحولت إلى قارب من زهر اللونجرين... قد ربطت فيه البجعة.

الأستاذ روبك : كم كنتِ شغوفة بهذه اللعبة يا أيرين.

أيرين : لقد لعبناها مرارًا كثيرة بعد ذلك.

الأستاذ روبك : كل سبت، كما أتذكر... طوال الصيف.

أيرين : كنت تقول إنى البجعة التى تقود قاربك.

الأستاذ روبك : هل كنت أقول ذلك؟ نعم، ربما كنت قلته. **(منغمسًا فى اللعبة)** انظرى الآن كيف تعوم طيور النورس مع التيار!

أيرين : **(تضحك)** وقد جنحت كل قواربك نحو الشاطئ.

الأستاذ روبك : **(يرمى أوراقًا أخرى فى الينبوع)** عندى كثير من القوارب الاحتياطية. **(يتبع الأوراق بنظراته وهو يُلقى غيرها فى الجدول ثم يقول بعد فترة صمت)** أيرين... لقد اشتريت كوخ الفلاح الصغير المجاور لبحيرة تونتز.

أيرين : هل اشتريته؟ لقد كنت تُكثِر من القول إنك ستشتريه إذا استطعت دفع ثمنه.

الأستاذ روبك : وقد جاء اليوم الذى استطعت أن أدفع فيه ثمنه بسهولة، فاشتريته.

أيرين : **(تنظر إليه نظرة جانبية)** وهل تعيش الآن إذن فى منزلنا القديم؟

الأستاذ روبك : لا، فقد هدمته منذ زمن طويل وبنيت مكانه دارًا خلوية كبيرة جميلة مريحة، تحيطها الحدائق، وهناك نـ... **(يتوقف ويصحح ما يقول)** أعيش فى الصيف عادة.

أيـــــــرين : **(تتمالك نفسها)** إذن فأنت و... والمرأة الأخـــرى تعيشان فيها الآن؟

الأستاذ روبك : **(فى شبه تحدٍّ)**، نعم، عندما لا نسافر أنا وزوجتى... كما فعلنا هذا العام.

أيـــــــرين : **(تنظر أمامها إلى الأفق البعيد)** كانت الحياة جميلـــة، جميلة على ضفاف بحيرة تونتز.

الأستاذ روبك : **(وكأنما يرى أشباح الماضى)** ومع ذلك يا أيرين...

أيـــــــرين : **(تتمم ما يفكر فيه)** ومع ذلك تركنا هذه الحياة تفرُّ منَّا بكل ما فيها من جمال.

الأستاذ روبك : **(بنعومة وسرعة)** هل جاءت التوبة متأخرة الآن؟

أيـــــــرين : **(لا تجيب وتجلـــس صـــامتة لحظـــة ثم تـــشير إلى المرتفعات)** انظر هناك يا أرنولد... هـــا هـــى ذى الشمس تغرب فوق القمم، انظـــر كيـــف تتـــوهج الأشعة الحمراء فوق التلال المعشوشبة هناك.

الأستاذ روبك : **(ينظر حيث تشير)** منذ زمن طويل لم أر غـــروب الشمس فوق الجبال.

أيـــــــرين : وشروقها؟

الأستاذ روبك : أظننى لم أر قط شروق الشمس.

أيـــــــرين : (تبتسم وكأنما تاهت فى الذكريات) رأيت أنا مــرة شروقًا جميلاً رائعًا.

الأستاذ روبك : حقا؟ وأين كان ذلك؟

أيـــــــرين : فى أعلى، فى أعلى نقطة من قمة جبل عال... لقد غررتَ بى حتى صعدت هناك حيث وعــدتنى أن ترينى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء، إذا أنا... (تسكت فجأة).

الأستاذ روبك : إذا أنت... ماذا؟

أيـــــــرين : فعلت ما قلته لى... فذهبت معك إلى المرتفعــات حيث ركعت على ركبتــى وعبــدتك وخــدمتك. (تصمت لحظة ثم تقول فى نعومـــة) إذ ذاك رأيــت الشروق.

الأستاذ روبك : (يغيِّر مجرى الحديث) ألا تحبين أن تــأتى لتعيــشى معنا فى تلك الدار الخلوية هناك؟

أيـــــــرين : (تنظر إليه فى احتقار) معك... ومع المرأة الأخرى؟

الأستاذ روبك : (فى إلحاح) معى... كما كنا فى أيام الخلق، فإنــك تستطيعين إخراج كل ما هو مغلق فىَّ، ألا تحسِّين بذلك فى أعماق قلبك يا أيرين؟

أيـــــــرين : (تهزُّ رأسها) لم يعد المفتاح الذى تحتاجه معى يـــا أرنولد.

الأستاذ روبك : بل لديك المفتاح! أنت، وأنت وحدك التى تملكينـــه! (متوسلاً) ساعدينى، ساعدينى على أن أحيا حياتى مرة أخرى!

أيـــــــرين : (لا تتحرك كما كانت قبلاً) أحلام فارغة! أحـــلام فجة... ميتة. فلا بعث للحياة التى عـــشناها أنـــت وأنا.

الأستاذ روبك : (يُسكنها بجفاف) إذن دعينا نستمر فى اللعب.

أيـــــــرين : نعم، اللعب، اللعب... ولا شىء غير اللعب!

(يأخذان فى قذف أوراق الـــشجر وأوراق الورد فى الينبوع حيث تعوم مع التيار من الخلـــف عند الناحية اليسرى يصعد أولفهايم ومايا فى ثيـــاب الصيد، يتبعهما الخادم حاملاً سلاســـل الكـــلاب، فيذهب بها إلى اليمين حيث يختفى)

الأستاذ روبك : (يراهما) آه! ها هى ذى مايا الصغيرة تخرج مـــع صائد الدببة.

أيـــــــرين : امرأتك؟ نعم.

الأستاذ روبك : أو امرأة الآخر.

مـــــايـــا : (تنظر حولها فى أثناء عبورها المرتفع فترى الاثـــنين جالسين إلى الينبوع فتصيح) ليلة سعيدة يا أســتاذ! احلم بى؛ فإنى ذاهبة الآن إلى مغامراتى!

الأستاذ روبك : (يصيح) وما الغرض من هذه المغامرة يا ترى؟

مـــــايـــا : (تقترب) إنى ذاهبـــة لأحيـــا حيـــاتى كمـــا يحيـــا الآخرون.

الأستاذ روبك : (بسخرية) آها! إذن ستفعلين أنت أيضًا ذلـــك يـــا صغيرتى مايا؟

مـــــايـــا : نعم، وقد نظـــمت شعرًا فى ذلك يُغنَّـــــى هكـــذا (تغنى فى نصر).

أنا حرة.، أنا حرة، أنا حرة..

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمره

أنا كالطير رفَّافًا، سأحيا مثله حرة

ذلك لأنى أعتقد أنى استيقظت الآن... أخيرًا.

الأستاذ روبك : يبدو ذلك.

مـــــايـــا : (تأخذ نفسًا عميقًا) أوه، كم يحس الإنسان بـــالفرح السماوى عندما يستيقظ!

الأستاذ روبك : ليلة سعيدة أيتها العروس مايـا... وحظًّا سعيدًا لـ...

أولفهايم : **(يصيح فى صوت الآمر)** شوشو! انتهوا بحق الشيطان من تمنياتكم المعسولة هذه، ألا ترون أننا ذاهبان للصيد...

الأستاذ روبك : وماذا عساك تحضرين لى عند عودتك من الصيد يا مايا؟

مـايـا : سيكون لك أحد الطيور الجارحة لتصنع له تمثالاً، سأرسل لك واحدًا بسرعة.

الأستاذ روبك : **(يضحك فى سخرية ومرارة)** نعم، نعم، إنك تفعلين كل شىء بسرعة... دون أن تعرفى ماذا تفعلين... هذا دائمًا كان دأبك.

مـايـا : **(تلقِى برأسها إلى الوراء)** أوه، كل ما أطلبه أن تدعنى أعتنى بنفسى فى المستقبل، وأتمنى لك إذن! **(تحنى رأسها ثم تضحك فى خبث)** ليلة سعيدة... ليلة صيف هادئة سعيدة فوق المرتفع!

الأستاذ روبك : **(فى مزاح)** شكرًا! وكل الحظ السيِّئ الذى فى العالم لك ولصيدك!

أولــــــفهايم : **(يزأر بالضحك)** والآن ها هى ذى أمنية تستحق أن تُلَبَّى!

مـــــــايــا : **(تضحك)** شكرًا، شكرًا، شكرًا يا أستاذ!

(يكونان قد تركا الجزء الظاهر من المرتفع إلى الشجيرات اليمنى فيسيران خلالها)

الأستاذ روبك : **(بعد فترة صمت)** ليلة صيف فوق المرتفع! نعـم هذه هى الحياة!

أيــــــرين : **(فجأة وقد بدا فى عينيها تعبير وحشى)** ألا تقـضى ليلة صيف فوق المرتفع... معى؟

الأستاذ روبك : **(يفتح ذراعيه)** نعم، نعم... هيا!

أيــــــرين : سيدى ومولاى المعبود!

الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين!

أيــــــرين : **(بصوت خشن وهى تبتسم وتتحسس صدرها)** لن تكون قصة استطرادية... **(همس بسرعة)** شــو! لا تنظر حولك يا أرنولد!

الأستاذ روبك : **(فى همس أيضًا)** ماذا هناك؟

أيــــــرين : وجه يحملق فىَّ.

الأستاذ روبك : **(ينظر حوله دون إرادة)** أين؟ **(فى خوف)** آه!

(يبدو جزء من وجه الراهبة بين الشجيرات اليسرى وهى تثبت أنظارها على أيرين ولا تحوِّلها عنها)

أيرين : (تنهض وتقول فى نعومة) إذن علينا أن نفترق؟ لا، عليك أن تبقى جالسًا، أتسمع؟ يجب ألا تذهب معى. (تنحنى ناحيته وتهمس) حتى نلتقى ثانية، الليلة، فوق المرتفع.

الأستاذ روبك : وستأتين يا أيرين!

أيرين : نعم، سآتى ولا ريب، انتظرنى هنا.

الأستاذ روبك : (يعيد كالحالم) ليلة صيف فوق المرتفع، معك، معك. (تلتقى عيناه بعينيها) أوه، يا أيرين... هذه هى الحياة التى يجب أن نحياها، وهى التى فرَّطنا فيها، نحن الاثنين.

أيرين : إنَّا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوَّض إلا عندما... (تسكت).

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تساؤل) عندما...؟

مايا : عندما نُبَعث نحن الموتى.

الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه فى حزنْ) ما الذى نراه حقيقة إذ ذاك؟

أيـــــرين : نرى أننا لم نعش أبدا.

(تذهب نحو المنحدر وتبـدأ فى النـــزول فتُفسِح الراهبة طريقًا لها ثم تتبعهـا، بينمـا يظـل الأستاذ روبك دون حراك إلى جانب الينبوع)

مــــايـا : (يسمع صوت غنائها المنتصر بين الآكام)

أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمره

أنا كالطير رفّافًا، سأحيا مثله حرة

«ســـتار»



الفصل الثالث



المنظر:

(جانب من جوانب جبل مشرف على البحر، فى الخلف قطع عمودى، إلى اليمين قمم مغطاة بالثلوج يخفى الضباب بعض أجزائها. إلى اليسار كوخ مقام على صخرة تحت الجبل وقد كاد يتهاوى. الصباح المبكر وقد بدأ الفجر يطلع ولكن الشمس لم تظهر بعد.

تنزل مايا من الصخرة اليسرى فى خجل وضيق، ويتبعها أولفهايم بين الغضب والضحك فيقبض على كمها بشدة)

مايا : (تحاول أن تتخلص منه) دعنى! قلت لك دعنى!

أولفهايم : صه صه! هل بدأت تعضين الآن؟ إنك أشد نهشا من الثعالب.

مايا : (تضربه على يده) قلت لك دعنى! وكن هادئا!

أولفهايم : لا، وعلىَّ اللعنة إن فعلت!

مايا : لن أسير معك إذن خطوة أخرى، أتسمع؟... ولا خطوة واحدة!

أولفهايم : هوهو! كيف يمكنك الفرار منى، هنا، فى هذا الجانب الموحش من الجبل؟

مايا : سأقفز فى هذه الوهدة إن احتاج الأمر.

أولفهايم : لتختلط أعضاؤك وتتحطم وتصنعى من نفسك طعاما للكلاب! لقمة سائغة! **(يتركها)** كما تريدين، اقفزى إلى الهاوية إن أردت، وستكون سقطة طائشة، فليس للنزول من هنا إلا طريق ضيق، وحتى هذا الطريق يكاد السير فيه يكون مستحيلا.

مايا : **(تنفض التراب بيدها عن ذيل ثوبها، وتنظر إليه نظرة غاضبة)** حسن، إنك زميل صيد لطيف!

أولفهايم : بل قولى إنى رياضى.

مايا : أوه، أتسمى ذلك رياضة إذن؟ تكلم!

أولفهايم : نعم، إنى أستبيح لنفسى هذه الحرية، فإن هذا هو نوع الرياضة الذى أفضله.

مايا : **(ترمى برأسها إلى الوراء)** حسن، وهذا هو أنت! **(بعد فترة صمت تنظر إليه متفحصة)** لماذا تركت الكلاب سائبة فى المرتفع هناك؟

أولفهايم : **(يغمز بعينيه ويبتسم)** حتّى تصطاد هى الأخرى كما تريد، ألا ترين ذلك؟

مايا : ليس فيما قلته كلمة صدق واحدة! فلم يكن إطلاقك الكلاب من أجل الكلاب ذاتها.

أولفهايم : **(ما يزال مبتسما)** حسن، خبرينى إذن لماذا أطلقتها؟

مايا : أطلقتها لأنك تريد التخلص من لارز، فقد طلبت منه أن يذهب خلفها ويحضرها، وفى الوقت نفسه... أوه، ما أبدع تصرفك هذا؟

أولفهايم : فى الوقت نفسه؟

مايا : **(تسكته بجفاف)** لا يهم!

أولفهايم : **(فى صوت الواثق)** لن يجد لارز الكلاب، ويمكنك أن تقسمى على ذلك، ولن يعود بها إلا بعد أن ننتهى!

مايا : **(تنظر إليه بغضب)** نعم، ربما لا يستطيع.

أولفهايم : **(يقبض على ذراعيها)** لأن لارز يعرف... طرقى فى الرياضة، أتفهمين؟

مايا : (تفلت منه وتنظر إليه كأنما تقيسه بنظرها) أتعرف ماذا تشبه يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : من المحتمل أننى أشبه نفسى كما أظن.

مايا : نعم، إنك صادق كل الصدق فى ذلك، لأنك الصورة الحية من فونا إله الغابات الرومانى.

أولفهايم : إله الغابات؟

مايا : نعم، تماما كإله الغابات.

أولفهايم : إله الغابات!؟ أليس ذلك نوعا من الوحوش؟ أم إنه نوع من شياطين الغابات كما تسمينه؟

مايا : ليس إلا المخلوق الذى هو أنت، مخلوق له لحية وساقا عنزة، نعم، ولإله الغابات قرون أيضا.

أولفهايم : هكذا، هكذا!... وهل له قرون أيضا؟

مايا : نعم، قرنان كئيبان، كقرنيك تماما.

أولفهايم : وهل استطعت رؤية قرنىَّ الصغيرين الضعيفين؟

مايا : نعم، يخيل إلى أنى أراهما بوضوح تام.

أولفهايم : (يخرج سلسلة الكلاب من جيبه) يحسن أن أقيدك إذن.

مايا : أجننت جنونا «طبقا؟ تقيدنى؟

أولفهايم : إذا كنت شيطانا فلأكن شيطانا! وهذه هى الطريقة! تستطيعين رؤية القرون، أليس كذلك؟

مايا : (تهدئه) مهلا، مهلا، مهلا! حاول أن تتصرف بلطف يا مستر أولفهايم. (تغير الموضوع) ولكن ماذا كان مآل قلعة الصيد التى تملكها، والتى افتخرت بها كثيرا؟ لقد قلت إنها قريبة من هذا المكان.

أولفهايم : (يشير إلى الكوخ وهو يهز إصبعه) ها هى ذى أمام ناظريك تماما.

مايا : (تنظر إليه) حظيرة الخنازير القديمة هذه؟!

أولفهايم : (يضحك لنفسه) لقد آوت أكثر من ابنة ملك، أؤكد لك.

مايا : إذن فهنا جاء إلى ابنة الملك فى هيئة دب ذلك الرجل المخيف الذى أخبرتنى عنه؟

أولفهايم : نعم، يا زميلة الصيد الجميلة، هذا هو المكان. (يشير إليها كأنه يدعوها) إذا تكرمت بالدخول.

مايا : والويل لى لو وضعت قدمى مرة فيها، الويل لى.

أولفهايم : أوه، من الممكن أن ينعم اثنان فيها بطيب المنام ليلة بطولها من ليالى الصيف، أو صيفا بطوله إن لزم الأمر!

مـــــــايـــا : شكرا! ولكن ذلك يتطلب من الإنسان أن يكــون ذا ذوق جميل جدا. **(بضيق)** وأنا أصبحت متعبة منك ومن رحلة الصيد، وسأهبط الآن إلى الفندق.، قبل أن يستيقظ نزلاؤه.

أولـــــــفهايم : وهل فكرت فى طريقة الهبوط من هنا؟

مـــــــايـــا : هذا عملك أنت، فلابد، على ما أظـــن، أن يكــون هناك طريق ما للهبوط.

أولـــــــفهايم : **(يشير إلى الخلف)** أوه، بالطبع! هناك شبه طريـــق، يهبط مع هذا الجرف.

مـــــــايـــا : أترى الآن، بقليل من النية الحسنة...

أولـــــــفهايم : ولكن حاولى إن جرؤت على النزول منه.

مـــــــايـــا : **(فى شك)** أتظننى لا أستطيع؟

أولـــــــفهايم : أبدا لن تستطيعى، إن لم تدعينى أساعدك.

مـــــــايـــا : **(فى قلق)** تعال إذن وساعدنى! وهل هناك غـــرض آخر لوجودك هنا؟

أولـــــــفهايم : أتمانعين فى أن أحملك على ظهرى؟

مـــــــايـــا : ما هذا الكلام الفارغ؟!

أولـــــــفهايم : ... أو أن أحملك بين ذراعىّ؟

مايا : ألا تكف عن هذا الهذيان؟

أولفهايم : **(فى غيظ مكتوم)** عثرت مرة بفتاة صغيرة... فرفعتها من وسط الأوحال وحملتها بين ذراعىَّ، وحملتها قريبا من قلبى، وكنت سأحملها هكذا طوال العمر... حتى لا تصطدم قدماها مصادفة بأحد الأحجار، إذ كان حذاؤها عندما وجدتها خفيفا رقيقا.

مايا : ومع ذلك رفعتها من الأرض وحملتها قريبا من قلبك.

أولفهايم : التقطتها من البالوعات وحملتها فى رفق إلى أعلى ما أستطيع. **(فى ضحكة كالزئير)** أتعرفين ماذا كانت جائزتى؟

مايا : كلا، ماذا كانت جائزتك.

أولفهايم : **(ينظر إليها مبتسمًا وهو يحنى رأسه)** كانت القرون جائزتى! القرون التى استطعت رؤيتها واضحة كل الوضوح، أليست هذه قصة فكاهية يا سيدتى يا قاتلة الدببة؟

مايا : أوه، نعم، إن فيها من الفكاهة الكفاية! ولكني أعرف قصة أخرى أكثر فكاهة منها.

أولفهايم : وما هى؟

مايا : سأقصها عليك، يحكى أن فتاة غبية كانت تعيش مع والديها، فى بيت أخنت عليه المتربة والفقر، ثم ظهر وسط كل هذا الفقر سيد رفيع قوى، وأخذ الفتاة بين ذراعيه، كما فعلتَ... ثم رحل معها بعيدا، بعيدا جدا.

أولفهايم : أكانت تتحرق شوقا إلى الذهاب معه؟

مايا : نعم، لأنها - كما أخبرتك - كانت غبية.

أولفهايم : لا ريب أنه كان شخصا ذكيا جميلا.

مايا : لم يكن رائعا فى جماله، ولكنه ادعى أنه سيأخذها إلى قمة أعلى جبل بين الجبال، حيث لا يغيب النور وضوء الشمس.

أولفهايم : أكان هذا الرجل إذن من سكان الجبال؟ أليس كذلك؟

مايا : نعم، كان كذلك، من وجهة نظره هو.

أولفهايم : وعندئذ صعد مع الفتاة؟

مايا : (تميل رأسها إلى الجانب) لعلك تظنه صعد بها بلطف! أوه، كلا! لقد غرر بها إلى قفص بارد قذر حيث كان يخيل إليها أنه خلو من ضوء الشمس ومن الهواء، وهناك، لم يكن حول الجدران إلا أشباح أناس ضخمة، أشباح متحجرة مموهة بالذهب.

أولفهايم : ليأخذنى الشيطان، ولكنها نالت ما تستحقه تماما.

مايا : نعم، ولكن ألا تظن أنها مع ذلك قصة مغرقة فى الفكاهة؟

أولفهايم : (ينظر إليها لحظة) اسمعينى الآن يا زميلة الصيد الطيبة...

مايا : حسن، قل ما تريد.

أولفهايم : ألا يمكننا أن نصل ما بقى من حياتينا الممزقتين؟

مايا : أيرغب صاحب السيادة فى أن يصبح رفاء ملابس؟

أولفهايم : نعم، هذا ما أريد، ألا يجب علينا نحن الاثنين أن نضم الخرق هنا وهناك إلى بعضها، لنكون منها شيئا يشبه الحياة الإنسانية؟

مـــــــايـــا : وعندما تتمزق تماما هذه الخرق الباليـــة... مـــاذا يحدث؟

أولـــــــفهايم : (يشير فى عنف) إذ ذاك نقف فى حرية وهـــدوء... امرأة ورجلا، كما نحن الآن بالفعل؟

مـــــــايـــا : (تضحك) نعم، أنت بساقيك هاتين اللتين تـــشبهان ساقى عنزة!

أولـــــــفهايم : وأنت بـــ... حسن، لنترك هذا.

مـــــــايـــا : نعم، تعال... ودعنا نمر، فوق الصخور.

أولـــــــفهايم : قفى؟ إلى أين يا زميلتى؟

مـــــــايـــا : سأنزل إلى الفندق بالطبع.

أولـــــــفهايم : وبعد ذلك؟

مـــــــايـــا : وبعد ذلك نفترق فى أدب مع تبادل الشكر على هذه الرفقة الطيبة.

أولـــــــفهايم : أيمكننا أن نفترق نحن الاثنين؟ أتظنيننا نستطيع؟

مـــــــايـــا : نعم، فأنت، كما تعرف، لم تنجح فى ربط أســبابى بأسبابك.

أولـــــــفهايم : عندى قلعة أقدمها إليك.

مـــــــايـــا : (تشير إلى الكوخ) أهى قلعة مثل هذه القلعة؟

أولفهايم : إنها لم تتهدم بعد.

مايا : وربما ستقدم لى أيضا كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟

أولفهايم : قلعة قلتُ لك.

مايا : شكرا، فقد جربت القلاع تجربة كافية.

أولفهايم : ... تحيط بها أرض واسعة للصيد، تمتد أميالا وأميالا.

مايا : أفى القلعة أيضا أعمال فنية؟

أولفهايم : (ببطء) هم، كلا... ليس فيها حقًّا أعمال فنية، ولكن...

مايا : (فى فرح) آه! هذا أمر طيب على كل حال!

أولفهايم أتذهبين معى إذن... إلى أبعد وأطول ما أريد؟

مايا : هناك فريسة أليفة من الطيور تراقبنى.

أولفهايم : (بوحشية) سنصيب جناحها برصاصنا يا مايا!

مايا : (تنظر إليه لحظة ثم تقول فى عزم) تعال إذن واحملنى إلى أسفل الجبل.

أولفهايم : (يلف وسطها بذراعه) آن أوان ذلك! فالضباب فوقنا!

مــــــايــا : أفى طريق النزول خطر كبير؟

أولـــــفهايم : ضباب الجبل أكثر خطورة.

(تتركه وتذهب إلى الحافة وتنظر إلى أسفل ثم تتراجع بسرعة)

أولـــــفهايم : (يذهب إليها ضاحكا) ماذا؟ هل أصابك الدوار من النظر إلى أسفل؟

مــــــايــا : (بضعف) نعم، هذا أيضا، ولكن اذهب وانظر هناك، وستجد هذين الاثنين صاعدين إلينا...

أولـــــفهايم : (يذهب وينظر من الحافة) ليس إلا الفريسة... وسيدته الغريبة.

مــــــايــا : ألا يمكن أن نمر بهما... دون أن يريانا؟

أولـــــفهايم : محال! فالممر ضيق جدا، وليس هناك من طريق غيره.

مــــــايــا : (تتشجع) لا بأس لا بأس... لنواجههما إذن!

أولـــــفهايم : إنك تتكلمين كما لو كنت قاتلة دببة حقيقية أيتها الزميلة!

(يظهر الأستاذ روبك وأيرين عند الحافة الخلفية، وقد وضع روبك جاكتته على كتفيه، بينما

ألقت أيرين معطفا من الفرو دون عناية على ثوبها
ولبست فوق رأسها غطاء من الصوف الناعم)

الأستاذ روبك : **(لا يظهر إلا نصفه)** حسن يا مايا، لقد التقينا إذن نحن الاثنين مرة أخرى؟

مايا : **(تتظاهر بالبرود)** إنى فى خدمتك، ألا تصعد؟

(يصعد الأستاذ روبك ويمد يده لأيرين فتصعد هى الأخرى)

الأستاذ روبك : **(لمايا ببرود)** إذن فقد كنت فوق الجبل طوال الليل... كما كنا؟

مايا : نعم... كنت أصطاد، فقد أعطيتنى إذنًا بذلك، ألا تذكر؟

أولفهايم : **(يشير إلى أسفل)** هل صعدت من هذا الطريق؟

الأستاذ روبك : كما رأيت.

أولفهايم : والسيدة الغريبة أيضا؟

الأستاذ روبك : نعم، بالطبع **(ينظر إلى مايا)** وقد قررنا أنا والسيدة الغريبة ألا تتفرق بنا السبل بعد اليوم.

أولفهايم : ألا تعرف إذن أن الطريق الذى أتيت منه محفوف بالأخطار المميتة؟

الأستاذ روبك : ومع ذلك فكرنا فى أن نتسلقه، فلم يكن يبدو على كثير من الصعوبة فى البداية.

أولفهايم : نعم، لا شيء يبدو صعبا فى البداية، ولكنك وصلت الآن إلى مكان صعب حيث لا تستطيع التقدم أو الرجوع، وإذ ذاك تظل أيها الأستاذ ثابتا فى مكانك! نحن الصيادين نسمى ذلك وثاق الجبل.

الأستاذ روبك : **(يبتسم وينظر إليه)** هل أفهم هذه الكلمات على أنها تنبؤات أوحى إليك بها يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : معاذ الله أن أمثل دور الموحَى إليه! **(فى إلحاح وهو يشير إلى المرتفعات العليا)** ولكن، ألا ترى أن العاصفة فوقنا؟ ألا تسمع صرير الريح؟

الأستاذ روبك : **(يسمع)** تبدو كمقدمات يوم البعث.

أولفهايم : إنها صرير الريح فوق القمم يا رجل! ألا ترى كيف تسير السحب وتتحدر هابطة؟ إنها سرعان ما تحيط بنا وكأنها الأكفان!

أيرين : **(فى خوف وارتجاف)** أعرف هذه الأكفان!

مايا : **(تسحب أولفهايم بعيدا)** دعنا نسرع بالنزول.

أولفهايم : **(للأستاذ روبك)** لن أستطيع مساعدة أكثر من واحد، فاحتم بالكوخ وقت العاصفة، وسأرسل إليكما من يعودون بكما.

أيرين : **(فى خوف)** يعودون بنا! لا، لا!

أولفهايم : **(بصوت خشن)** ليأخذوكما بالقوة إن احتاج الأمر، فالمسألة هنا مسألة حياة أو موت، وقد عرفتما الأمر الآن. **(لمايا)** هيا بنا، لا تخافى، ضعى ثقتك فى زميلك، وأسلميه زمام أمرك.

مايا : **(تتعلق به)** أوه، وكيف، لا أفرح وأغنى إذا نزلت وليس فى جسمى جرح واحد!؟

أولفهايم : **(يبدأ فى النزول وهو ينادى الآخرين)** ستبقيان فى الكوخ إذن حتى يأتى الرجال بحبالهم ليعودوا بكما.

(يحمل مايا ويترل من الحافة فى سرعة وحذر)

أيرين : **(تنظر إلى الأستاذ روبك وقد بدا الخوف فى عينيها)** أتسمع ذلك يا أرنولد؟ سيأتى الرجال ليعودوا بى! رجال كثيرون سيأتون...

الأستاذ روبك : لا تفزعى يا أيرين!

أيــــــرين : (فى فزع متزايد) وهى، المرأة ذات الثوب الأسود، ستأتى أيضا، إنها لا بد قد افتقــدتنى منــذ زمــن طويــل، وإذ ذاك ســتقبض علـــىَّ يـــا أرنولـــد! وستضطرنى إلى لبس قميص المجانين. أوه، إنـــه معها فى صندوقها، وقد رأيته بعينى هاتين.

الأستاذ روبك : لن يجسر أحد على لمسك.

أيــــــرين : (بضحكة وحشية) أوه، كـــلا، فأنـــا نفـــسى لـــدىَّ الوسيلة التى تحمينى من ذلك.

الأستاذ روبك : أى وسيلة تعنين؟

أيــــــرين : (تخرج الخنجر) هذا.

الأستاذ روبك : (يحاول أخذه) أمعك سكين؟

أيــــــرين : دائمًا، دائمًا... ليلا ونهارا... وفى الفراش أيضا!

الأستاذ روبك : أعطنى هذه السكين يا أيرين!

أيــــــرين : (تخفيها) لن تأخذها، فربما وجدت لهـــا نفعـــا أنـــا نفسى.

الأستاذ روبك : أى نفع تجدينه لها هنا؟

أيــــــرين : (تثبت أنظارها عليه) كنت أعدها لك يا أرنولد.

الأستاذ روبك : أنا!

أيـــــرين : عندما كنا جالسين على شاطئ بحيرة تـونتز فـي الليلة الماضية...

الأستاذ روبك : على شاطئ بحيرة؟

أيـــــرين : خارج كوخ الفلاح، وكنا نلعب بـالبجع وأزهـار الزنبق المائية.

الأستاذ روبك : ماذا إذن ماذا بعد ذلك؟

أيـــــرين : ... وعندما سمعتك تقول بهذا البرود القاتل إننى لم أكن فى حياتك سوى قصة...

الأستاذ روبك : إنك أنتِ لا أنا التى قلت ذلك يا أيرين!

أيـــــرين : **(مستمرة)** إذ ذاك أخرجت خنجرى، وكنت أريد أن أغيبه فى ظهرك.

الأستاذ روبك : **(فى إبهام)** ولماذا أمسكتِ عن ذلك؟

أيـــــرين : لأنه خطر لى فى الحال، وقد تملكنى الفزع، أنـك ميت... منذ عهد بعيد.

الأستاذ روبك : ميت؟

أيـــــرين : ميت، ميت مثلى تماما، كنا نجلس علـى شـاطئ بحيرة تونتز، نحن الجسدين الباردين من الطـين، وكنا نلعب سويًّا.

الأستاذ روبك : أنا لا أسمى ذلك موتا، ولكنك لا تفهمينني.

أيـــــــرين : أين إذن تلك الرغبة المحرقة التى كنت تحاربهـا وتجاهدها عندما كنت أقف أمامك حـرة كـالمرأة التى بعثت من الموت؟

الأستاذ روبك : لا شك أن حبنا لم يمت يا أيرين.

أيـــــــرين : إن الحب المتـصل بالحيـاة الأرضـية، الحيـاة الأرضية الجميلـة العجيبـة، الحيـاة الأرضـية الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا.

الأستاذ روبك : **(بانفعال)** ولكن أتعرفين أن هذا الحب بالذات، مـا زال يحترق ويغلى فى أحشائى كما لم يكن يغلـى من قبل؟

أيـــــــرين : وأنا؟ أنسيت من أكون الآن؟

الأستاذ روبك : كونى من تكونين أو ما تكونين، فلن أهتم بذلك! فلست عندى إلا تلك المرأة التى أراها عندما أحلم بك.

أيـــــــرين : قد وقفت على منصة النماذج، عارية، وأظهـرت نفسى لمئات الرجال، بعدك.

الأستاذ روبك : إنه أنا الذى دفعك إلى ذلك، كنت إذ ذاك أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحياة، والحب.

أيـــــــرين : **(ترخى نظرها)** لقد فات الأوان، وضاعت الفرصة!

الأستاذ روبك : كل ما حدث فى هذه الفترة لم يخفضك فى نظـــرى قيد شعرة.

أيـــــــرين : **(ترفع رأسها)** ولا فى نظرى أنا!

الأستاذ روبك : حسن، ماذا إذن! نحن إذن أحرار، ومازالت أمامنا فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين.

أيـــــــرين : **(تنظر إليه بحزن)** لقد ماتت فىَّ الرغبة فى الحياة يا أرنولد، فها قد بعثت وبحثت عنك حتى وجـــدتك، وإذ ذاك رأيت أنك أنت والحياة كليكما ميتان، كما كنت أرقد أنا ميتة.

الأستاذ روبك : ما أكثر شرودك! فها هى الحياة فينا ومن حولنـــا تختلج وتضطرب كما لم تكن من قبل!

أيـــــــرين : **(تبتسم وتهز رأسها)** المرأة الشابة فى تمثالك «يوم البعث» تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقـــد علـــى قاعدتها.

الأستاذ روبك : **(يطوقها بذراعيه فى قوة)** إذن دعى اثنين من الموتى، دعينا نحن الاثنين – نحيا حياتنا مرة لنتمتع بكل مـــا فيها، قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى!

أيـــــــرين : **(تصرخ)** أرنولد!

الأستاذ روبك : ولكن ليس هنا فى هذا الجو القائم! ليس هنا حيـــث يخفق حولنا هذا الكفن المبتل القبيح!

أيـــــــرين : **(فى انفعال شديد)** لا، لا... إلى أعلى حيث النور، وحيث المجد الزاهى كله! إلى أعلى، إلـــى قمـــة الموعد!

الأستاذ روبك : وهناك نقـــيم احـــتفالا بزواجـــنا يا أيـــرين... أوه يا حبيبتى!

أيـــــــرين : **(بفخر)** حيث تشـــرق علينا الشمس بلا حجـــاب يا أرنولد.

الأستاذ روبك : ستشرق علينا كل قوى الضياء، وكل قوى الظـــلام أيضا. **(يقبض على يدها)** هل تتبعيننى إذن؟ أوه، يا عروسى الظريفة.

أيـــــــرين : **(وكأنما تبدلت صورتها)** أتبعك بحرية وسرور، يـــا سيدى ومولاى!

الأستاذ روبك : **(يسحبها معه)** علينا أن نخترق الـــضباب أولاً يـــا أيرين، ثم...

أيـــــــرين : نعم، خلال الضباب كله، ثم نتوجه بعد ذلـــك علـــى الفور إلى قمة البرج الذى يلمع تحت أشعة الشمس.

(تتجمع سحب الضباب فوق المنظر، يصعد الأستاذ روبك وأيرين وقد تماسكا بأيديهما خـــلال الثلوج المتجمعة فى الناحيـــة الـــيمنى، وفى الحـــال تخفيهما السحب المنخفـــضة، هبـــات العواصـــف اللافحة تنوح وتصفر فى الجو. تظهر الراهبة عنـــد الصخرة إلى اليسار، تقف وتنظر حواليها فى صمت باحثة)

(يمكن سماع صوت مايا المنتصر وهى تغـــنى من الأعماق)

مـــــــايـــا : أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمرة

أنا كالطير رفّافًا، سأحيا مثله حرة

(يسمع فجأة من فوق الثلـــوج المتجمعـــة صوت كالرعد، وتنزلق هذه الثلـــوج وتـــسقط فى سرعة كبيرة. يمكن رؤية خيال غـــامض للأســـتاذ روبك وأيرين وهما يسقطان مع الثلوج ويقعان تحتها فتغطيهما).

الـــــراهبة : (تصرخ وهى تمد يديها نحوها وتصيح) أيرين!

(تقف لحظة صامتة ثم ترسم علامـــة الـــصليب فى الفضاء وتقول) السلام لكما!

(ما زال صوت مايا الظـــافر يـــسمع مـــن الأعماق)

«ســــتار»

چون جابرييل بوركمان

ترجمـــة: محمود سامى أحمـد

مراجعـة: علـــى أدهـــم

شخصيّات المسرحية

* جون جابرييل بوركمان: مدير بنك سابقًا.
* السيدة جنهيلد بوركمان: زوجته.
* إرهـــــارت بـــوركمان: ابنهما، طالب.
* الآنســـة ألـــلا رانثـــيم: أخت السيدة بوركمان التوأم.
* السيدة فـــانى ويلـــــتن.
* ويلهلـــــم فـــولـــــدول: كاتب صغير فى مكتب حكومى.
* فـــريدا فـــــــولدول: ابنته.
* خادمتا السيدة بوركمان.

(تجرى حوادث الرواية فى إحدى أمسيات الـشتاء
فى منـزل أسرة رانثيم بالقرب من كريستيانيا).

الفصل الأول



المنظر:

(غرفة استقبال مسنـــز بوركمان.

الغرفة مؤثثة بأثاث من طراز قديم، حـــالَ رونقُه.

فى الخلف باب جرار مفتوح يوصـــل إلى شرفة مقفلة ذات نوافذ وباب زجاجى ترى خلاله منظر الحديقة وقت الشفق والثلوج تتساقط.

إلى اليمين باب يوصل إلى الصالة وفى الجزء الأمامى من الجانب الأيمن موقد حديدى كبير من طراز قديم مشعلة فيه النيران.

فى الجانب الأيسر إلى الخلف باب صـــغير ذو مصراع واحد. وفى نفس الناحية إلى الأمـــام نافذة تغطيها ستائر سميكة.

بين الباب والنافذة أريكة من شعر الخيـــل وأمامها منضدة مغطاة بمفرش وعليها مصباح لـــه كمة (أباجورة) وبجوار الموقد كرسى ذو مـــساند عالى الظهر.

تجلس السيدة جنهيلد بوركمان على الأريكة وهى منصرفة إلى أشغال الإبرة، وهى سيدة عجوز ذات مظهر متميز بارد وأخلاق صارمة ووجه جامد، شعرها يغلب عليه البياض، ويداها الرقيقتان ناصعتان، وهى تلبس ثوبًا سميكا من الحرير الغامق الذى كان يوما جميلاً ولكنه الآن قديم رث نوعًا ما، وتضع على كتفيها شالا من الصوف.

تجلس بعض الوقت معتدلة متصلبةً منصرفة إلى أشغال الإبرة - ثم يسمع صوت أجراس زحافة مارة.

السيدة بوركمان : (تتسمع وقد لمعت عيناها سرورًا ثم تقول فى حماسة) إرهارت! أخيرًا!

(تنهض وتزيح الستارة قليلاً لتنظر إلى الخارج، ثم تجلس ثانية على الأريكة متخاذلة، وتستمر فى عملها، وبعد قليل تدخل الخادمة من الصالة حاملة بطاقة زيارة على صينية صغيرة)

السيدة بوركمان : (بسرعة) هل جاء السيد إرهارت أخيرًا؟

الخادم : كلا يا سيدتى ولكن هناك سيدة.

السيدة بوركمان : (تضع أشغال الإبرة جانبًا) أوه، السيدة ويلتـــون. أظن...

الخـــــــــادم : (تقترب) كلا، إنها سيدة غريبة...

السيدة بوركمان : (تأخذ البطاقة) فلنر... (تقرأها ثم تنهض مسرعة وتنظر إلى الفتاة، متفحصة) أواثقةٌ أنت أن هـــذه لي؟

الخـــــــــادم : نعم، فهمت أنها لك يا سيدتي.

السيدة بوركمان : أقالت إنها تريد مقابلة السيدة بوركمان؟

الخـــــــــادم : نعم، هذا ما قالته.

السيدة بوركمان : (تقول فجأة في عزم) حسن، قولي لها إذن إنـــي هنا.

(تفتح الخادم الباب للـــسيدة الغريبـــة ثم تنصرف فتدخل الآنسة أللا رانثيم الـــتي تـــشبه أختها، إلا أن وجهها يعبر عن الألم أكثر مما يعـــبر عن الجمود ومازالت فيه وآثار جمال رائع قـــديم، كما يدل على قوة الشخصية، شـــعُرها الغزيـــر الأبيض ممشط إلى الخلف في تموجـــات طبيعيـــة، تلبس ملابس من القطيفة السوداء تتكـــون مـــن

ثوب وقبعة ومعطف به خطوط من الفرو. تقف الأختان صامتتين مدة وكل منهما تنظر إلى الأخرى بإمعان، وقد وضح أن كل واحدة تنتظر الأخرى لتبدأ الكلام)

ألللا رانتيم : **(ما زالت واقفة قرب الباب)** رؤيتك إياى تدهشك يا جنهيلد!؟

السيدة بوركمان : **(تقف منتصبة بلا حراك بين الأريكة والمنضدة وقد وضعت أطراف أصابعها على المفرش)** ألم ترتكبى خطأً؟ إن المحضر يسكن الجناح الجانبى كما تعرفين.

ألللا رانتيم : ما جئت اليوم لأرى السيد.

السيدة بوركمان : إذن فأنا التى تريدينها؟

ألللا رانتيم : نعم، فلى معك حديث قصير.

السيدة بوركمان : **(تتقدم إلى منتصف الحجرة)** حسن، اجلسى إذن.

ألللا رانتيم : شكرا لك، ولكنى أستطيع الوقوف فى الوقت الحاضر.

السيدة بوركمان : كما تشائين ولكن على الأقل فكى أزرار معطفك.

ألللا رانتيم : **(تفك أزرار المعطف)** نعم، فالحرارة هنا شديدة.

السيدة بوركمان : إنى أشعر بالبرد على الدوام.

أللا رانتيـــــم : (تنظر إليها وقد وضعت يديها على ظهر الكرسى ذى المساند) لقد مضت ثمانى سنوات منذ آخـر لقاء لنا يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : (ببرود) منذ تحادثنا معًا على كل حال.

أللا رانتيـــــم : نعم، منذ تحادثنا معًا، فأظنك كنت ترينني من حين إلى حين، عندما كنت أحضر فى زيارتى السنوية للسيد.

السيدة بوركمان : رأيتك مرة أو مرتين.

أللا رانتيـــــم : وقد لحظتك أنا أيضًا مرة أو مرتين، هناك عند النافذة.

السيدة بوركمان : إذن لا بد أنك رأيتنى خلال الستائر، فنظرك حاد. (بصوتٍ خشنٍ جارح) ولكن آخر مرة تحادثنا فيها، كانت هنا فى هذه الحجرة.

أللا رانتيـــــم : (محاولة إيقافها) نعم، نعم، أعرف ذلك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : فى الأسبوع السابق، السابق لإطلاق سراحه.

أللا رانتيـــــم : (تتراجع) أوه، لا تتحدثى عن ذلك.

السيدة بوركمان : (بثباتٍ ولكن بصوت خافت) كـــان ذلـــك فـــى الأسبوع الذى سبق، سبقٍ نيل حريته.

ألللا رانتيــــــــم : (مؤنبة) أوه، نعم، نعم، نعم! أبدًا لن أنسى ذلـــك الوقت! ولكن مـــا أفظـــع التفكيـــر فيـــه! ولـــو لاسترجاعه لحظة واحدة... أوه!

السيدة بوركمان : (واجمة) ومع ذلك فأنا لا أستطيع التفكير فى أمر سواه! (فى عنف وهى تعتصر يديها) كـــلا، لـــن أستطيع فهم ذلك! أبدا لن أســـتطيع! لـــيس فـــى استطاعتى أن أفهم كيف أن شيئًا مثل هذا، شـــيئا بهذه الفظاعة يحل بأسرة واحدة! ثم... تكون هذه الأسرة هى أسرتنا! أسرتنا العريقـــة! تـــصورى كيف نُختار نحن من بين الجميع!

ألللا رانتيــــــــم : أوه، يا جنهيلد.. هناك أسر كثيرة، كثيـــرة جـــدًا غير أسرتنا أصابها نفس السهم.

السيدة بوركمان : أوه، نعم، ولكن هذه الأسر الأخـــرى لا تهمنـــى كثيرًا فلم يكن الأمر لديهم متعلقًا إلا بمبلغ قليل، أو بعض الأوراق، أما بالنسبة لنا! بالنسبة لـــى! ثم بالنسبة لإرهارت! طفلى الصغير... كما كان

إذ ذاك! **(فى انفعال يتزايد)** فهو العار الذى لطخنا نحن البريئين! والهوان! الكريه الفظيع! ثم الدمار الشامل أيضًا!

أللا رانثيم : **(بحذر)** خبرينى يا جنهيلد، كيف احتمل هو الأمر؟

السيدة بوركمان : أتعنين إرهارت؟

أللا رانثيم : لا، بل أعنيه هو نفسه. كيف احتمله؟

السيدة بوركمان : **(باحتقار)** أتحسبيننى أسأل يومًا عن ذلك؟

أللا رانثيم : تسألين؟ لستُ ولا شك، فى حاجة إلى السؤال.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليها فى دهشة)** لا أظنك تحسين أن لى به أى علاقة، أو أننى قابلته قط أو حتى لمحته؟!

أللا رانثيم : لا يمكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد!

السيدة بوركمان : الرجل الذى كان فى السجن، والذى قضى فى السجن خمس سنوات. **(تغطى وجهها بيديها)** أوه، يا لهذا الخزى المذل! **(فى عنف يتزايد)** وبعد ذلك التفكير فى كل ما يحمله اسم جون جابرييل بوركمان من معان! كلا، كلا، كلا، أبدًا لن أستطيع رؤيته ثانية! أبدًا!

أللا رانتيـــــــم : (تنظر إليها لحظة) ما أقسى قلبك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : عليه، نعم.

أللا رانتيـــــــم : وهو مع ذلك زوجك.

السيدة بوركمان : ألم يقل فى المحكمة إنى أنا التى بدأت خرابـــه؟ وإننى كنت أبذِّر المال بلا مبالاة؟

أللا رانتيـــــــم : (مستدرجة) ولكن، أليس فى ذلــك شــىء مــن الصحة؟

السيدة بوركمان : ولكنه هو نفسه الذى دفعنى إلى ذلك! هو الذى أصر على أن نعيش عيشة الإسراف الخرقاء هذه.

أللا رانتيـــــــم : نعم هذا ما أعلمه، ولكن هذا بالضبط ما كان يجب عليك أن تعارضيه فيه، وقد وضح أنك لم تفعلى..

السيدة بوركمان : وأنَّى لى أن أعرف أن ما أعطانيه مــن نقــود لأبذِّرها ليست ملكًا له؟ ثم إنه هو أيــضًا كــان مسرفا، مسرفا أضعاف أسرافى.

أللا رانتيـــــــم : (بهدوء) على العموم، أظن أنه كان مضطرًّا إلى ذلك بحكم مركزه... إلى حدٍّ ما على كل حال.

السيدة بوركمان : (باحتقار) نعم، كانت دائما نفس الجملة... يجــب أن «نظهر بمظهر عظيم»، وقد «ظهر بمظهــر

عظيم» لغرض ما ! كان من عادته أن يركب عربة تجرها أربعة جياد كأنما هو ملك، وكان يجد من الناس من ينحنون له وينكسون رءوسهم كما يفعلون مع الملك **(تضحك)** وكانوا دائمًا ينادونه باسمه الأول، فى كل أنحاء المنطقة. كأنما أصبح الملك نفسه «جون جابرييل»، «جون جابرييل»، كل إنسان يعرف كم كان «جون جابرييل» عظيما!

أللا رانثيم : **(بحرارة وتأكيد)** وقد كان رجلاً عظيمًا إذ ذاك.

السيدة بوركمان : نعم، كانت كل المظاهر تؤيد ذلك، ولكنه ما حدثنى قط عن مركزه الحقيقى، ولا بكلمة واحدة... وما أشار قط إلى موارده التى حصل منها على ثروته.

أللا رانثيم : طبعًا، طبعًا، حتى الناس الآخرون ما كانوا يحلمون بمعرفة هذه الموارد.

السيدة بوركمان : لست أهتم بالآخرين من الناس، ولكن كان من واجبه أن يصدقنى القول، وهذا ما لم يفعله قط! بل ظل يكذب على، يكذب، كذبًا كريهًا.

ألّلا رانثيـــــم : (تقاطعها) لا تقولى ذلك يا جنهيلد، ربمـا كـان يخفى هذه الأشياء، ولكنى واثقة من أنه ما كـان يكذب.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، سمِّى ذلـك مـا شـئت مـن الأسماء، فلن يتغير من الأمر شىء، ثم تحطـم كل شىء... تحطم عن آخره.

ألّلا رانثيـــــم : (لنفسها) نعم، كل شىء تحطـم، بالنـسبة لـه، وللآخرين.

السيدة بوركمان : **(تعتدل فى جلستها، وتقـول فى وعيـد)** ولكـن أخبرك الآن يا ألّلا أننى لم أيأس بعد، وسأصـلح ما فسد من أمرى، ولتضعى ذلك فى ذهنك!

ألّلا رانثيـــــم : **(فى لهفة)** تصلحين من أمرك! ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : أستعيد اسمى وشرفى وثروتى! أصـلح حيـاتى المحطمة. هذا ما أعنيه! ودعينـى أخبـرك أن هناك من حفظته لذلك، شخصا سيزيل كل لطخة تركها الآخر.

ألّلا رانثيـــــم : جنهيلد، جنهيلد!

السيدة بوركمان : **(فى انفعال متزايد)** قلت لك إن هناك من سينتقم لى! شخص سيصلح ما لحقنى من زلات أبيه!

أللا رانتيم : تعنين إرهارت.

السيدة بوركمان : نعم، إرهارت، ابنى الوحيد! سيصلح الأسرة والمنزل والاسم، وكل ما يمكن إصلاحه... وربما أشياء أخرى أيضًا.

أللا رانتيم : وكيف تحسبينه يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : يجب أن يفعل ذلك كأحسن ما يكون، لا أدرى كيف، ولكنى أعرف أنه يجب عليه أن يفعل ذلك وسيفعله. **(تنظر إليها متفحصة)** قولى الحق يا ألّلا، أليس ذلك فى الحقيقة هو ما خطر ببالك أنت أيضًا منذ كان طفلا؟

أللا رانتيم : لا أستطيع قول ذلك بالضبط.

السيدة بوركمان : كلا؟ إذن لماذا عنيت به عندما هبت العاصفة المخربة على... على هذا المنزل؟

أللا رانتيم : لأنك ما كنت تستطيعين أنت نفسك يا جنهيلد فى ذلك الوقت العناية به.

السيدة بوركمان : لا، لا، ما كنت أستطيع، أما أبوه... فقد كان لديه عذر حقيقى كاف، إذ كان هناك تحت الحفظ.

أللا رانتيـــــم : (فى سخط) أوه، كيف تستطيعين قول مثل ذلــك الكلام! أنت!؟

السيدة بوركمان : (فى حقد ظاهر) وكيف قررت أنــت أن تعملــى على الاحتفاظ بابن من يدعى... جون جابرييــل كأنما هو ابنك أنت!؟ تأخذين الطفل بعيدا عنــى، وترحلين معه إلى منزلك، وتحتفظين بــه عامــا بعد عام حتى كاد الطفل يصبح شــابًّا (**تنظر إليها فى ريبة**) ماذا كان الدافع الحقيقى لك يا أللا؟ لماذا احتفظت به عندك؟

أللا رانتيـــــم : لقد أحببته كل الحب...

السيدة بوركمان : أكثر مما أحبه أنا؟ أنا أمه؟

أللا رانتيـــــم : (فى مواربة) لست أعرف عن ذلك شيئًا، ثــم إن إرهارت كان إذ ذاك كما تعلمين طفلا رقيقا.

السيدة بوركمان : إرهارت؟ رقيق!؟

أللا رانتيـــــم : نعم، هذا ما ظننته... فى ذلك الوقــت علــى أى حال، وأنت تعلمين أن جو الشاطئ الغربى أكثر اعتدالا من هنا.

السيدة بوركمان : (**تبتسم فى مرارة**) هم... حقـا؟ (**محاولـة إنهـاء الموضوع**) نعم، لقد فعلت الكثير حقا لإرهـارت (**تغير نغمة صوتها**) حسن، كان فـى إمكانـك ولا ريب تقديم كل هذه الخدمات. (**تبتسم**) كنـت مجدودة كل الجد يا ألا، إذ عملت على الاحتفاظ بجميع أموالك.

ألا رانتيـم : (**فى ألم**) أؤكد لك أنى لم أقم بأى عمل فـى ذلـك السبيل، بل إنى لم تكن لدى أية فكـرة عـن أن التأمينات الخاصة بى لم تمس... إلا بعد مـرور وقت طويل، طويل.

السيدة بوركمان : على العموم أنا لا أفهم شيئًا فى مثل هذه الأمور! ولم أقل إلا أنك مجدودة. (**تنظر إليها متسـائلة**) ولكن عندما قررت بمحض إرادتك أن تقـومى بتعليم إرهارت بالنيابة عنى، ماذا كـان الـدافع الأساسى لك؟

ألا رانتيـم : (**تحملق فيها**) الدافع لى؟

السيدة بوركمان : نعم، لا بد وأن لك دافعًا أيا كـان. مـاذا كنـت تريدين فعله معه؟ أعنى ماذا كنـت تريـدين أن تفعلى به؟

أللا رانتيـــــم : (ببطء) أردت أن أمهد الطريق لإرهارت ليحيـا حياة سعيدة.

السيدة بوركمان : (باحتقار) يوه، إن مَنْ كانوا فى مثل موقفنا لديهم ما يفكرون فيه غير السعادة.

أللا رانتيـــــم : ماذا إذن؟

السيدة بوركمان : (فى ثباتٍ وجد) يجب على إرهـارت قبـل أى شىء آخر أن يهيئ لنفسه مركزًا كبيرًا، يكفـى لمحو كل أثر من ذلك العار الذى لطخ به أبـوه اسمى واسم ابنى.

أللا رانتيـــــم : (متسائلة) خبرينى يا جنهيلد، أهذا بالذات هو ما يريده إرهارت من حياته؟

السيدة بوركمان : (تتراجع قليلاً) نعم، هذا ما أرجوه!

أللا رانتيـــــم : أليس ذلك أقرب إلى أن يكون ما تطلبينـه أنـت نفسك منه؟

السيدة بوركمان : (بجفاف) إن مطالبنا أنا وإرهارت دائما واحدة.

أللا رانتيـــــم : (فى حزن وبطء) أنت إذن واثقة مـن ابنـك يـا جنهيلد تمام الثقة؟

السيدة بوركمان : (فى نصر خفى) نعم، تمام الثقة، وشكرا لله، تأكدى من ذلك!

أللا رانتيم : أظن أنك – ولا شك فى ذلك – سعيدة، على الرغم من كل شىء آخر.

السيدة بوركمان : نعم إنى لسعيدة... لهذا السبب فقط، ولكن بعد ذلك وفى كل لحظة تتدفع إلىَّ الأفكار الأخرى وكأنها العاصفة.

أللا رانتيم : (تتغير نبرات صوتها) خبرينى، وليكن ذلك فى الحال، فهذا فى الحقيقة ما جئت لاجله.

السيدة بوركمان : ماذا؟

أللا رانتيم : إنه أمر رأيت من الواجب أن أتحدث إليك فيه. خبرينى، ألا يعيش إرهارت هنا مع... معكما.

السيدة بوركمان : (بخشونة) لن يستطيع إرهارت العيش هنا معى، فهو مضطر لسكنى المدينة.

أللا رانتيم : وهذا ما أخبرنى به فى خطاباته.

السيدة بوركمان : إنه مضطر لذلك بسبب دراسته، ولكنه يأتى إلىَّ كل ليلة ليبقى معى برهة قصيرة.

ألا رانتيم : حسن، هل لى أن أراه إذن؟ هل أستطيع أن أحادثه على الفور؟

السيدة بوركمان : إنه لم يأتِ بعد، ولكنى أنتظر وصوله بين لحظة وأخرى.

ألا رانتيم : كيف يا جنهيلد؟ لا شك أنه وصل، ففى إمكانى سماع صوت خطواته فى الطابق العلوى.

السيدة بوركمان : **(تنظر إلى أعلى نظرة سريعة)** هناك فى القاعة الطويلة؟

ألا رانتيم : نعم، فقد سمعته يسير ذهابا وجيئة فى القاعة منذ حضرت.

السيدة بوركمان : **(تحول نظرها عنها)** إنه ليس إرهارت يا ألا.

ألا رانتيم : **(فى دهشة)** ليس إرهارت؟ **(فى تكهن)** من يكون إذن؟

السيدة بوركمان : إنه هو.

ألا رانتيم : **(بهدوء وهى تغالب ألمها)** بوركمان؟ جون جابرييل بوركمان؟

السيدة بوركمان : إنه يسير هكذا ذهابًا وجيئة، من أقصى القاعة إلى أقصاها، من الصباح حتى المساء، يومًا بعد يوم.

أللا رانثيـــــم : سمعت شيئًا كهذا.

السيدة بوركمان : أظن أن الناس يجدون الكثير الذى يروونه عنــا، ولا ريب فى ذلك.

أللا رانثيـــــم : حدثنى إرهارت فى خطاباته عن ذلك، قــال إن والده يقضى أغلب أوقاته فى الطــابق العلــوى، وحيدًا... وأنك تبقين وحيدة هنا.

السيدة بوركمان : نعم، هذا ما سرنا عليه يا ألَلا منذ أفرجوا عنــه وأرسلوه إلىَّ فى المنزل، كــل هــذه الــسنوات الثمانى الطوال.

أللا رانثيـــــم : ما كنت أعتقد قط أن من الممكن حدوث ذلــك، فهو أمر يبدو مستحيلاً!

السيدة بوركمان : (**تحنى رأسها موافقة**) إنه كــذلك، ولا يمكــن أن يكون غير ذلك.

أللا رانثيـــــم : (**تنظر إليها**) لا بد أنها حياة فظيعة يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : بل أسوأ من فظيعة، إنها حياة لا تطاق.

أللا رانثيـــــم : نعم، لا بد أنها كذلك.

السيدة بوركمان : أن تسمعى دائمًا خطواته فى الطابق العلوى، من الصباح المبكر حتى ساعة متأخرة من الليل، في

هذا المنزل الذى تسمع فيه الأصوات بغاية الوضوح!

أللا رانثيم : نعم، ما أغرب وضوح الصوت هنا.

السيدة بوركمان : أحس غالبا وكأن ذنبًا مريضًا يقطع قفصه مجيئًا وذهابا فى الصالة، فوق رأسى تماما (**تتسمع ثم همس**) أنصتى! ألا تسمعين؟ إلى الخلف وإلى الأمام، جيئة وذهابا، يسير الذئب.

أللا رانثيم : (**فى محاولة**) ألا يمكن حدوث أى تغيير يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : (**باشارة رادعة**) إنه لم يحاول أن يخطو خطوةً واحدةً صغيرة ليغير من الموقف.

أللا رانثيم : ألم تقومى أنت إذن بالخطوة الأولى؟

السيدة بوركمان : (**فى حنق**) أنا!؟ بعد كل ما ارتكبه فى حقى من أخطاء!؟ كلا، وشكرًا لك! أفضل أن يظل الذئب فى تجواله هناك.

أللا رانثيم : إن حرارة هذه الحجرة أكثر مما احتمله، فلتسمحى لى بخلع معطفى وقبعتى.

السيدة بوركمان : نعم، لقد طلبت منك ذلك.

(**تخلع أللا رانثيم قبعتها ومعطفها وتضعها على مقعد بجوار الباب الموصل إلى الصالة**)

أللا رانثيـــــم : ألم يحدث أن قابلته قط خارج المنزل؟

السيدة بوركمان : (تضحك بمرارة) تعنين فى المجتمعات؟

أللا رانثيـــــم : أعنى عندما يخرج ليتمشى فى الغابات أو...

السيدة بوركمان : إنه لا يخرج أبدا.

أللا رانثيـــــم : حتى ولا وقت الغروب؟

السيدة بوركمان : أبدًا.

أللا رانثيـــــم : (متأثرة) ألم يستطع إقناع نفسه بالخروج؟

السيدة بوركمان : أظن ذلك، فمعطفه الكبير وقبعته معلقـــان فـــى الخزانة، الخزانة التى فى الصالة، كما تعلمين.

أللا رانثيـــــم : (لنفسها) الخزانة التى اعتدنا الاختفاء فيها ونحن صغار.

السيدة بوركمان : (تحنى رأسها موافقة) وبين الحين والحين... فـــى ساعة متأخرة من الليل، كنت أسمعه وهو ينـــزل من الطابق العلوى كأنما يريد الخروج، ولكنـــه كان دائمًا يتوقف فى منتصف الطريق وهو يهبط الدرج، ثم يعود ثانية... قاصدًا القاعة مباشرة.

أللا رانثيـــــم : (بهدوء) ألا يزوره أحد من أصدقائه الأقدمين؟

السيدة بوركمان : ليس له أصدقاء قدماء.

ألّلا رانتيم : كان له الكثيرون... وقتًا ما.

السيدة بوركمان : هم! لقد تذرع بخير الطرق للتخلص منهم، فقد كان صديقًا عزيزًا لأصدقائه، كان كذلك جون جابرييل.

ألّلا رانتيم : أوه، نعم، هذا حق يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : **(بعنف)** لن يغير ذلك من الأمر شيئًا، وإنها في عرفي لحقارة ودناءة ووضاعة وصغارٌ أن يحسبوه هو سبب آلامهم، لأنه أضاع عليهم القليل من المال، فهم لم يفقدوا إلا المال، ولا شيء غيره.

ألّلا رانتيم : **(لا تجيبها)** إذن فهو يعيش في الطابق العلوي منفردًا، وحيدًا وحدة تامة.

السيدة بوركمان : نعم، هو كذلك في الواقع، وقد أخبروني أن عجوزًا من مستخدميه أو الكتبة أو شيء من هذا القبيل يأتي لزيارته بين الحين والحين.

ألّلا رانتيم : آه. حقا؟ لا شك أن اسمه فولدول، فأنا أعلم أنهما كانا صديقين من عهد الشباب.

السيدة بوركمان : نعم، أعتقد أنهما كانا كذلك، ولكنـــى لا أعــرف عنه شيئاً، فلم يكن من زوارنا... يوم كـــان لنـــا زوار.

أللا رانتيـــــم : إذن فهو يزور بوركمان الآن؟

السيدة بوركمان : نعم، إنه يتنازل ويزوره، ولكنه لا يزوره بالطبع إلا تحت ستار الظلام.

أللا رانتيـــــم : هذا الرجل فولدول، إنه أحد الذين فقدوا أمــوالهم عندما أفلس البنك.

السيدة بوركمان : **(بلا عناية)** نعم، أظنني سمعت أنه فقــد بعــض المال، ولكن لا شك أنه كان مبلغًا ضئيلاً جدًا.

أللا رانتيـــــم : **(بتأكيد خفيف)** إنه كان كل ما يملك.

السيدة بوركمان : **(تبتسم)** أوه، إذن فما كان يملكــه كـــان مبلغـــا ضئيلاً... لا يمكن التحدث عنه.

أللا رانتيـــــم : ولم يتحدث عنه، أعنى فولدول، أثناء التحقيق.

السيدة بوركمان : على كل حال، أؤكد لك أن إرهارت قد عوّضــه التعويض الكافى عن ذلك المبلغ الضئيل الــذى فقده.

أللا رانثيـــــم : (بدهشة) إرهارت!؟ كيف أمكــن إرهــارت أن يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : إنه يميل نوعًا إلى ابنة فولدول الصغرى، فعلمها أشياء كثيرة وساعدها على أن تطرق الطريــق الموصل إلى العمل، وستستطيع يومًا أنْ تكفـــى نفسها بنفسها، وأظن أن هذا أكثر مما كان يمكن أن يفعله أبوها لها.

أللا رانثيـــــم : نعم، فإنى أظن أن أباها لا تساعده حالته الماليـــة على فعل الكثير.

السيدة بوركمان : ثم ساعدها إرهارت على تعلم الموســيقى، وقــد تقدمت كثيرا حتى إنه أصبح فى استطاعتها الآن أن تصعد إلى... إليه فى الطابق العلوى لتعزف له بعض الأدوار.

أللا رانثيـــــم : ما زال إذن شغوفًا بالموسيقى؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، أظنه شغوفا بها، وعنده بالطبع البيــانو الذى أرسلته إلينا... عندما كانت عودته منتظرة.

أللا رانثيـــــم : وهى تعزف له عليه؟

السيدة بوركمان : نعم بين الحين والحين... فى بعض الأمسيات، وهذا أيضًا من تدبير إرهارت.

أللا رانتيم : وهل تضطر الفتاة المسكينة إلى قطع كل هذا الطريق من المدينة إلى هنا ثم العودة ثانية؟

السيدة بوركمان : لا، إنها ليست مضطرة إلى ذلك، فقد رتب إرهارت الأمر، وأسكنها عند سيدة تعيش بالقرب منا... سيدة تدعى السيدة ويلتن.

أللا رانتيم : **(باهتمام)** السيدة ويلتن؟

السيدة بوركمان : امرأة واسعة الغنى، لا تعرفينها.

أللا رانتيم : لقد سمعت باسمها، السيدة فانى ويلتن، أليس كذلك؟

السيدة بوركمان : نعم، هى تمامًا.

أللا رانتيم : قد ذكرها إرهارت مرات عديدة، أتسكن هنا الآن؟

السيدة بوركمان : نعم قد أجرت فيلا هنا، وتركت المدينة من زمن.

أللا رانتيم : **(بشىء من التردد الخفيف)** يقال إنها طلقت من زوجها.

السيدة بوركمان : لقد مات زوجها منذ سنوات عديدة.

ألا رانثيم : نعم، ولكنهما كانا مطلقين، فقد حصل على الطلاق.

السيدة بوركمان : لقد هجرها، نعم هجرها، وإنى لواثقةٌ أن الخطأ ليس خطأها.

ألا رانثيم : تعرفينها معرفة وثيقة يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، معرفة وثيقة جدًا، فإنها تسكن على مقربة منا، وتزورنا بين الحين والحين.

ألا رانثيم : وهل تحبينها؟

السيدة بوركمان : إن ذكاءها غير عادى، وحكمها واضحٌ صوابه.

ألا رانثيم : تعنين حكمها على الناس؟

السيدة بوركمان : نعم، وبخاصة على الناس، لقد درست إرهارت دراسة محققة، حللت أخلاقه تحليلاً دقيقًا... وفهمت روحه فهمًا تامًا، وكانت النتيجة أنها تعبده، ولم يكن فى وسعها أن تفعل غير ذلك.

ألا رانثيم : **(بقليل من الدهاء)** لعلها إذن عرفت إرهارت أكثر مما عرفتك.

السيدة بوركمان : نعم فقد كان إرهارت يزورها كثيرًا فى المدينة قبل أن تنتقل للسكنى هنا.

ألللا رانتيم : **(بدون تفكير)** وعلى الرغم من ذلك تركت المدينة؟

السيدة بوركمان : **(تتراجع فى دهشة، وتنظر إليها مدققة)** وعلى الرغم من ذلك، ماذا تعنين؟

ألللا رانتيم : **(فى مواربة)** أوه، لا شىء على التحديد.

السيدة بوركمان : لقد قلتها بطريقة غريبة. إنك تعنين شيئًا بذلك يا ألللا؟!

ألللا رانتيم : **(تواجهها بنظراتها)** نعم، هذا حقيقى يا جنهيلد، فإن هناك ما أعنيه بذلك.

السيدة بوركمان : حسن، قوليه إذن.

ألللا رانتيم : دعينى أخبرك أولاً أن لى أنا أيضًا بعض الحق على إرهارت، ألا تظنين ذلك؟

السيدة بوركمان : **(تنظر حواليها فى الحجرة)** لا شك، بعد كل ذلك المال الذى أنفقته عليه.

ألللا رانتيم : أوه، ليس لهذا السبب يا جنهيلد ولكن لأنى أحبه.

السيدة بوركمان : **(تبتسم فى احتقار)** ابنى؟ أهذا محتمل؟ أنت؟ رغم كل شىء؟

أللا رانثيـــــــم : نعم، ممكن... رغم كل شيء، وهو حقيقى أيضًا، إنى أحب إرهارت، كأقوى ما أشعر به من حب نحو أى إنسان... الآن... فى سنى حياتى هذه.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، لنفرض إنك تحبينــه... مـــاذا بعد؟

أللا رانثيـــــــم : إذ ذاك أضطرب إذ أرى شيئًا يهدده.

السيدة بوركمان : يهدد إرهارت؟ كيف؟ ماذا يمكن أن يهـــدده؟ أو من ذا الذى يهدده؟

أللا رانثيـــــــم : أنت أولاً... بطريقتك.

السيدة بوركمان : **(بعنف)** أنا!؟

أللا رانثيـــــــم : وثانيا أخشى أن تكون هذه السيدة ولتن أيضًا.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليها لحظة وقد عقدت الدهـــشة لـــسانها)** وتظنين مثل هذه الظنون بإرهارت؟ ابنى الوحيد! هو الذى عليه واجبٌ مقدسٌ عظيم يجب أن يتمه!

أللا رانثيـــــــم : **(بخفة)** أوه، واجبه المقدس!

السيدة بوركمان : **(بغيظ)** كيف تجرئين على قـــول ذلـــك بلهجـــة الازدراء هكذا؟

ألللا رانتيـــــــم : أتظنين أن شابًّا فى عمر إرهارت مملوءًا صحةً ومرحًا... أتظنينه سيضحى بنفسه من أجل، من أجل «واجب مقدس»؟

السيدة بوركمان : (فى حزم وتأكيد) سيفعل إرهارت.. إنى على ثقة من ذلك.

ألللا رانتيـــــــم : (تهز رأسها) إنك لا تثقين بهذا ولا تؤمنين به يـــا جنهيلد.

السيدة بوركمان : أنا لا أومن به!

ألللا رانتيـــــــم : ليس إلا حلمًا خلقته لنفسك، لأنك لو لم تتـــشبثى بمثل هذا الحلم لتملكك اليأس التام.

السيدة بوركمان : نعم، لا شك أن اليأس يتملكنى. (بعنف) وأظن أن هذا ما تودين رؤيته يا ألللا.

ألللا رانتيـــــــم : (ترفع رأسها) نعم، أفضل أن أرى ذلك مـــن أن أراك تصلحين من شأنك على حساب إرهارت.

السيدة بوركمان : (متوعدة) أتريدين الوقيعة بيننا؟ بين أم وابنهـــا؟ أنت؟

ألللا رانتيـــــــم : إنما أريد أن أحرره من قوتك... من إرادتـــك... من سلطتك الغاشمة.

السيدة بوركمان : (فى انتصار) لقد فات الأوان! لقد أمسكته فى شباكك كل هذه الأعوام... حتى بلغ الخامسة عشرة، ولكنى الآن أسترجعته. أترين!؟

أللا رانثيم : إذن سأسترده منك ثانية. (بصوتٍ خشنٍ شبه هامس) لقد كانت بيننا من قبل يا جنهيلد حرب حياة أو موت، من أجل روح رجل.

السيدة بوركمان : (تنظر إليها منتصرة) نعم وقد انتصرت عليك.

أللا رانثيم : (تبتسم فى احتقار) أما زلت تظنين أن النصر يساوى ما أجتنيه.

السيدة بوركمان : (فى وجوم) كلا، والله يعلم أنك على صواب فى ذلك.

أللا رانثيم : لا حاجة بك إلى التطلع هذه المرة أيضًا إلى نصر يساوى ما يمكن اجتناؤه منه.

السيدة بوركمان : ولكنى هذه المرة أحارب فى سبيل تأكيد سلطة الأم على ابنها.

أللا رانثيم : كلا، إنما تريدين التسلط عليه.

السيدة بوركمان : وأنت؟

أللا رانثيم : (فى حرارة) أريد مودته... روحه... كل قلبه.

السيدة بوركمان : **(ثائرة)** هذا ما لن تناليه طول حياتك.

أللا رانتيـــــم : **(محدقة فيها)** وهل دبرت الأمر لذلك؟

السيدة بوركمان : **(مبتسمة)** نعم، سمحت لنفسى بذلك. ألم تلاحظى شيئًا فى رسائله؟

أللا رانتيـــــم : **(تخفض رأسها عدة مرات ببطء)** نعم لقد لاحت لى صورتك... صورتك الكاملة... فى كل رسائله الأخيرة.

السيدة بوركمان : **(فى إثارة)** لقد انتهزت كل الفرص الممكنة فى هذه السنوات الثمانى، ولم أغفل عنه لحظة. أفهمت؟

أللا رانتيـــــم : **(تضبط زمام نفسها)** ماذا قلت لإرهارت عنى؟ أيمكنك إخبارى بكل ما قلته.

السيدة بوركمان : أوه، نعم... يمكننى أن أخبرك بكل ما قلته.

أللا رانتيـــــم : إذن، أرجوك أن تتكلمى.

السيدة بوركمان : ما قلتُ له إلا الصدق.

أللا رانتيـــــم : إنى منصتة.

السيدة بوركمان : كل يوم من أيام حياته كنتُ مثابرةً على جعله لا ينسى أبدًا أنك أنت التى ندين لها بالمستوى الذى نعيش عليه... بل بالحياة على الإطلاق.

ألّلا رانثيـــــــم : أهذا كل شيء؟

السيدة بوركمان : أوه، هذا هو نوع الكلام الذى يؤلم، وإنى لأحس بألمه فى قلبى.

ألّلا رانثيـــــــم : ولكن هذا فعلاً ما يعلمه إرهارت.

السيدة بوركمان : عندما عاد إلىَّ كان يحسب أن الدافع لــك علـى ذلك كله ليس إلا طيبة القلب. **(تنظـر إليهـا فى خبث)** ولكنه ما عاد يعتقد بذلك الآن يا ألّلا.

ألّلا رانثيـــــــم : ماذا يعتقد الآن إذن؟

السيدة بوركمان : إنه يعرف الآن الحقيقة، فقد سألته عمـا يظنـه السبب فى عدم زيارة خالته ألّلا لنا هنا.

ألّلا رانثيـــــــم : **(مقاطعة)** إنه يعرف تماما الأسباب التى تدعونى لذلك!

السيدة بوركمان : وهو يعرف هذه الأسباب الآن أفـضل مـن ذى قبل، لقد جعلته يعتقد أن ذلك لتخففى الخجل عنى و... وعن ذلك الذى فى الطابق العلوى.

ألّلا رانثيـــــــم : وهذا هو الحق.

السيدة بوركمان : لم يعد إرهارت يصدق ذلك الآن.

ألّلا رانثيـــــــم : ماذا أدخلت فى رأسه؟

السيدة بوركمان : إنه يعلم الآن الحقيقة، وهو أنك ما امتنعت عن زيارتنا إلا لخجلك منا... واحتقارك لنا. وهل تستطيعين التظاهر بعكس ذلك؟ ألم ترتبى الأمر مرة على أن تبعديه عنى إلى الأبد؟ تذكرى يا ألللا فما أحسبك تنسين.

أللا رانثيم : **(بحركة إنكار)** كان ذلك وقت اشتداد الفضيحة، عندما كانت القضية أمام المحكمة، ولكن ما عادت لى مثل هذه التدبيرات الآن.

السيدة بوركمان : ولن يضيرنا لو أن عندك هذه التدبيرات، وإلا فماذا يكون من أمر الواجب الملقى على عاتقه؟ كلا، وشكرا لك، فإننى أنا التى يحتاج إليها إرهارت... لا أنت. ولذلك يجب أن يكون فى نظرك كأنما هو ميت، وأن تكونى فى نظره كذلك.

أللا رانثيم : **(ببرود وعزم)** سنرى، فإنى الآن سأبقى هنا.

السيدة بوركمان : **(تحملق فيها)** هنا؟ فى هذا المنزل؟

أللا رانثيم : نعم، هنا.

السيدة بوركمان : هنا، معنا؟ تبقين طول الليل؟

ألّلا رانتيـــــــم : بل سأبقى ما بقى لى من أيام لو احتاج الأمر.

السيدة بوركمان : (تتمالك نفسها) لا بأس يا ألّلا، فالبيت بيتك.

ألّلا رانتيـــــــم : أوه، كلام فارغ.

السيدة بوركمان : كل شيء ملكك، إنك تملكين الكرسى الذى أجلس عليه، والفراش الذى أنام وأتقلب عليـــه، حتـــى الطعام الذى نأكله نشتريه بمالك.

ألّلا رانتيـــــــم : أنت تعلمين أن الأمور ما كان يمكن أن ترتـــب على وجه آخر، فبوركمان لا يستطيع أن يمتلــك شيئًا باسمه؛ وإلا جاء أحد الدائنين وأخذه منه.

السيدة بوركمان : نعم، أعرف ذلك، يجب علينا أن نعيش عالة على رحمتك وإحسانك.

ألّلا رانتيـــــــم : (ببرود) لن أستطيع منعك من النظر إلى الأمــر على هذه الصورة يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : كلا لن تستطيعى، متى تريدين رحيلنا؟

ألّلا رانتيـــــــم : (تنظر إليها) ترحلين؟

السيدة بوركمان : (بانفعال شديد) نعم، فلست أظنــك تحـــسبيننى أستطيع العيش معك تحت سقف واحد! ولتعلمـــى إننى أفضل العيش فى أحد الملاجئ أو التـــشرد فى الطرقات.

أللا رانثيـــــــم : حسن، دعينى آخذ إرهارت معى إذن.

السيدة بوركمان : إرهارت؟ ابنى الوحيد؟ طفلى؟

أللا رانثيـــــــم : نعم، إذ ذاك سأعود فورا إلى منزلى.

السيدة بوركمان : (بعد أن تفكر قليلا تقول بعزم) سيختار إرهارت بنفسه بيننا.

أللا رانثيـــــــم : (تنظر إليها فى شك وتردد) هو يختار؟ أتجسرين على تلك المخاطرة يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : (بضحكة قاسية) هل أجسر؟ أن أدع ابنى يختار بين أمه وبينك؟ نعم، إنى أجسر بالطبع!

أللا رانثيـــــــم : (تتسمع) هل هناك أحد قادم؟ أظننى سمعت.

السيدة بوركمان : هو إرهارت إذن

(طرقةٌ حادةٌ على الباب الموصل إلى الصالة يفتح بعدها مباشرة، وتدخل السيدة ويلتن فى ملابس السهرة وقد وضعت فوقها معطفها، تتبعها الخادم وقد بان عليها الجزع، لأنها لم تجد الوقت الكافى لتعلن قدومها، يظل الباب نصف مفتوح، والسيدة ويلتن امرأة فى الثلاثين من عمرها نامية الجسم أخاذة الجمال، ذات شفاه عريضة حمراء ضاحكة وعيون لا معة وشعر غزير أسود).

السيدة ويلتن : مساء الخير يا عزيزتى السيدة بوركمان!

السيدة بوركمان : (أقرب إلى البرود) مساء الخير يا سيدة ويلتن. (مخاطبة الخادمة وهى تشير إلى الشرفة) خذى ذلك المصباح الموجود هناك وأشعليه.

السيدة ويلتن : (ترى اللأ رانثيم) أوه، أرجو المعذرة... فإن عندك زائرة.

السيدة بوركمان : ليس إلا شقيقتى، التى حضرت توًّا من...

(يفتح إرهارت بوركمان الباب نصف المفتوح على مصراعيه ويدخل مندفعًا، وهو شاب لامع العينين ضاحكهما، قد بدا شاربه فى النمو ويلبس ملابس أنيقة)

إرهارت : **(يقف على عتبة الباب وقد فاض به السرور)** ماذا أرى!؟ خالتى ألّلا هنا؟ **(يندفع إليها ويقبض على يديها)** خالتى، خالتى! أممكن هذا؟ أأنت هنا؟

ألّلا رانثيم : **(تلف يديها حول عنقه)** إرهارت، يا بنى العزيز، العزيز! ماذا؟، لقد نموت كثيرًا! أوه، ما أسعدنى إذ أراك ثانية!

السيدة بوركمان : (بحدة) ما معنى هذا يا إرهارت؟ أكنت مختبئـا في الصالة؟

السيدة ويلتن : (بسرعة) إرهارت... السيد بوركمان جاء معي.

السيدة بوركمان : (تنظر إليه في شدة) حقا يا إرهارت! لم تحضر إلى أمك أولاً.

إرهارت : لقد مررت على السيدة ويلتن للحظة قصيرة... لا، ستدعى فريدا الصغيرة.

السيدة بوركمان : أهذه الآنسة فولدول معك أيضًا؟

السيدة ويلتن : نعم، وقد تركناها في الصالة.

إرهارت : (مخاطبًا شخصا في الخارج) يمكنك الصعود إلى الطابق العلوى يا فريدا.

(لحظة صمت، اللأ رانثيم تلاحظ إرهارت في حيرته ونفاد صبره وقد بان على وجهه البرود والعصبية، تد خل الخادم حاملة المصباح المشتعل فتضعه في الشرفة ثم تخرج مغلقة الباب وراءها)

السيدة بوركمان : (بأدب زائف) حسن يا أستاذة ويلتن، إذا كنت ستمنحيننا السرور بالسهر معنا الليلة فعلاً...

السيدة ويلتن : شكرًا جزيلاً يا سيدتى العزيزة، ولكنى فى الحق لن أستطيع، فلدينا دعوة أخرى، نحن ذاهبان إلى آل هنكل.

السيدة بوركمان : **(تحملق فيها)** نحن؟ ماذا تعنين بكلمة نحن هذه؟

السيدة ويلتن : **(ضاحكة)** أوه، كان يجب أن أقول أنا، ولكنى كُلفت من سيدات المنزل أن أحضر معى السيد بوركمان... إذا اتفق ورأيته.

السيدة بوركمان : وقد اتفق أن رأيته فعلاً، كما هو واضح...

السيدة ويلتن : نعم، لحسن الحظ، فقد كان من التوفيق أن يمر بمنزلى... لاستدعاء فريدا.

السيدة بوركمان : **(بجفاف)** ولكنى لم أكن أعلم يا إرهارت أنك على معرفة بهذه الأسرة... أسرة هانكل!

إرهارت : **(بضيق صدر)** لا، لست أعرفهم تماما. **(ثم يضيف فى نفاد صبر)** إنك تعلمين يا أمى خيرًا من أى إنسان آخر من أعرف من الناس ومن لا أعرف...

السيدة ويلتن : أوه، لا أهمية لذلك، فإنك ما إن تدخل منزلهم حتى تحس بالراحة والرضا، إنهم أناسٌ مرحون يكرمون الضيف، ثم إن المنزل ممتلىء بالفتيات.

السيدة بوركمان : (فى تأكيد) إذا كان لى أن أحكم بمعرفتى لابنى يا سيدة ويلتن فإنى أرى أنهم مجموعة لا تصلح له.

السيدة ويلتن : يا للعجب يا سيدتى العزيزة، إنه شاب صغير كما تعلمين!

السيدة بوركمان : نعم، لحسن الحظ إنه صغير، فإن المطلوب أن يكون صغيرًا.

إرهارت : (يكشف عن نفاد صبره) كفى، كفى، كفى يا أمى، فمن الواضح أننى لن أذهب هذا المساء إلى منزل آل هنكل، لأنى سأبقى بالطبع معك ومع خالتى أللا.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ستفعل ذلك يا عزيزى إرهارت.

أللا رانتيم : كلا يا إرهارت، لن أدعك تبقَىْ فى البيت من أجلى.

إرهارت : كلا، بالطبع، لن أفكر فى الذهاب يا خالتى العزيزة. (ينظر إلى السيدة ويلتن فى شك) ولكن كيف نتصرف فى الأمر؟ هل أستطيع التخلص من هذه الدعوة؟ فإنك وافقت على الدعوة نيابة عنى، أليس كذلك؟

السيدة ويلتن : (بمرح) ما هذا الكلام الفارغ!؟ لا تستطيع التخلص من الدعوة!؟ عندما أدخل القاعة المرحة وحيدة مهجورة... تصور ذلك! عندئذٍ سأرفض الدعوة نيابة عنك.

إرهارت : (مترددًا) حسن، إذا كنت حقيقة تعتقدين أنى أستطيع التخلص...

السيدة ويلتن : (تبعد الموضوع بخفة) لقد تعودت دائما على أن أقبل وأرفض فى نفس الوقت... لحسابى الخاص، وأنت بالطبع لا يمكنك الخروج وترك خالتك التى حضرت توًّا.. يا للعار يا سيد إرهارت... أتكون هذه معًاملة الابن البار؟

السيدة بوركمان : (فى غضب) الابن؟

السيدة ويلتن : فلنقل الابن المتبنى إذن يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، كان يجب أن تقولى ذلك.

السيدة ويلتن : أوه، يخيل إلىَّ أننا غالبا ما تكون أكثر تقديرًا لجميل مربيتنا منا لأمنا الحقيقية.

السيدة بوركمان : أرأيك هذا نتيجة تجربة؟

السيدة ويلتن : أخشى أن أقول إنى لا أعرف عن أمى إلا القليل، ولكن ربما لو كان لى مربية طيبة لما أصبحت على هذه الـ... الرداءة كما يقول الناس عنى... حسن، إذن ستبقى فى البيت فى هدوء شأن الأولاد المهذبين لتشرب الشاى مع ماما والخالة **(للسيدتين)** وداعًا، استودعك الله يا سيدة بوركمان! استودعك الله يا آنسة رانثيم.

(تحنى السيدتان رأسيهما فى صمت بينما تتجه السيدة ويلتن إلى الباب)

إرهارت : **(يتبعها)** ألا يجب على أن أصحبك جزءًا من الطريق؟

السيدة ويلتن : **(عند الباب تدفعه إلى الداخل)** لن تسير معى خطوة واحدة، فإنى دائمًا معتادة السير وحدى. **(تقف على عتبة الباب وتنظر إليه وهى تحنى رأسها)** ولكن احترس يا سيد بوركمان... إنى أحذرك!

إرهارت : مم تحذريننى؟

السيدة ويلتن : (فى مرح). بالطبع، عندما أسير فى الطريق - وحيدة مهجورة كما سبق أن قلت - فإنى سأحاول أن أسحرك.

إرهارت : (ضاحكًا) أوه، حقا، هل تعاودين هذه المحاولة مرة أخرى؟

السيدة ويلتن : (بين الجد والهزل) نعم، لا أطلب منك إلا أن تكون حلوا! كلما أمعنت فى السير سأقول لنفسى - مركزة كل إرادتى - سأقول: «السيد إرهارت بوركمان، خذ قبعتك فى الحال!».

السيدة بوركمان : أو تعتقدين أنه سيأخذها؟

السيدة ويلتن : (ضاحكة) يا للعجب، طبعًا، سيخطف قبعته على الفور، وعندئذٍ سأقول: «كن مطيعا والبس معطفك الآن يا إرهارت بوركمان! والبس خفيك! تأكد أنك لم تنسَ الخفين! ثم اتبعنى! أفعل ما آمرك به، ما آمرك به، ما آمرك به!».

إرهارت : (بمرح مصطنع) أوه، يمكنك الاعتماد على ذلك.

السيدة ويلتن : (ترفع سبابتها) ليلة سعيدة!

(تضحك وتحنى رأسها للسيدتين محيية ثم تغلق الباب خلفها)

السيدة بوركمان : أهى قادرة حقًا على مثل هذه الأعمال؟

إرهـــــارت : أوه، بالطبع لا، كيف يخطر ذلك علـــى ذهنـــك؟ إنما تقول ذلك علـــى ســبيل الفكاهـــة. **(منـــهيا الموضوع).** ولكن دعونا من موضـــوع الـــسيدة ويلـــتن. **(يجبر خالته أللا رانثيم على الجلوس على الكرسى ذى المساند القريب من الموقد، ثم يقـــف وينظر إليها)** من كان يظن أن تقطعى كل هـــذه المسافة يا خالتى أللا! وفى الشتاء أيضًا!

أللا رانثيــــم : وجدت أننى مضطرة إلى ذلك يا إرهارت.

إرهـــــارت : حقا؟ ولماذا؟

أللا رانثيــــم : كنت مضطرة إلى الحضور إلى المدينة على كل حال لأ عرض نفسى على الأطباء.

إرهـــــارت : أوه، إنى سعيد لذلك!

أللا رانثيــــم : **(مبتسمة)** أأنت سعيد لذلك؟

إرهـــــارت : أعنى إننى سعيد لأنك قررت ذلك أخيرًا.

السيدة بوركمان : **(ببرودٍ وهى جالسةٌ على الاريكة)** أأنت مريـــضة يا أللا؟

أللا رانتيم : (تنظر إليها بشدة) أنت تعلمين تمام العلم أننى مريضة.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ضعيفة، وأنك ظللت كذلك سنوات.

إرهارت : قلت لك قبل أن أغادرك إنه يجب عليك استشارة طبيب.

أللا رانتيم : ليس بين الأطباء المجاورين لى من أثق فيه، بالإضافة إلى أنى لم أكن أحس بالمرض إذ ذاك بهذه الشدة.

إرهارت : أحالتك ازدادت سوءًا يا خالتى؟

أللا رانتيم : نعم يا بنىَّ العزيز، لقد ازدادت حالتى سوءًا.

إرهارت : ولكن ليس فى الأمر خطورة؟

أللا رانتيم : هذا يتوقف على الطريقة التى تنظر بها إلى المرض.

إرهارت : (فى تأكيد) حسن، إذن، سأخبرك بما يجب عمله يا خالتى أللا، لا تفكرى أبدا فى العودة إلى منزلك فى الوقت الحاضر.

أللا رانتيم : لا، لم أفكر فى ذلك.

إرهـــــــارت : يجب أن تبقَىْ بالمدينة، لأنــك هنــا تــستطيعين اختيار أحسن الأطباء.

أللا رانثيــــــم : هذا ما فكرت فيه عندما تركت البيت.

إرهـــــــارت : إذن يجب أن تتأكدى من الحصول علـــى بيــت لطيف تعيشين فيه، بيت يضم حجــرات هادئـــة مريحة...

أللا رانثيــــــم : لقد ذهبت هذا الصباح إلى بيتـــى القـديم الــذى تعودت الحياة فيه...

إرهـــــــارت : أوه، هذا حسن، فقد كنتِ مرتاحة فيه.

أللا رانثيــــــم : نعم، ولكنى لن أبقى هناك على كل حال.

إرهـــــــارت : حقاً؟ ولم لا؟

أللا رانثيــــــم : لقد غيرت رأيى بعد الوصول هنا.

إرهـــــــارت : (فى دهشة) حقا؟ أغيرت رأيك؟

السيدة بوركمان : **(وهى تعمل فى أشغال الابرة دون أن ترفع عينيها)** خالتك ستبقى هنا، فى منزلها الــذى تملكــه يـــا إرهارت.

إرهـــــــارت : **(ينظر إليهما على التعاقب)** هنا معنـــا؟! معنـــا؟؟ أهذا صحيح يا خالتى؟

ألـلا رانتيـــــم : نعم، هذا ما قررت عمله.

السيدة بوركمان : (كما كانت قبل) أنت تعلم أن خالتك تملك كل شىء هنا.

ألـلا رانتيـــــم : لقد قررت أن أبقى هنا يا إرهارت. الآن... فى الوقت الحاضر، سأعد لى شقة صغيرة فى الجناح الذى يقيم فيه السيد.

إرهـــــارت : آه، هذه فكرة طيبة، ففى الجناح حجرات كثيرة. (وفى مرح مفاجئ) ولكن، بالمناسبة يا خالتى، ألست متعبة جدا بعد هذه الرحلة؟

ألـلا رانتيـــــم : أوه، نعم، جد متعبة.

إرهـــــارت : حسن، إذن، أظن أنه يجب أن تأوى إلى فراشك مبكرة.

ألـلا رانتيـــــم : (تنظر إليه مبتسمة) وهذا ما نويته.

إرهـــــارت : (بحماسة) وبعد ذلك نستطيع غدا... أو فى أى يوم آخر بالطبع... أن نتحدث حديثًا طويلاً فى مختلف الموضوعات، نتحدث فى كل شىء على العموم أنت وأمى وأنا، أليست هذه خطة طيبة يا خالتى ألـلا...

السيدة بوركمان : **(فى غضب مفاجئ ناهضة من الأريكة)** إرهارت، إنى أرى أنك تريد أن تتركنى وتخرج...

إرهـــــارت : **(يفاجأ)** ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى... إلى آل هنكل.

إرهـــــارت : **(من غير قصد)** أوه، هــذا! **(يـــستجمع نفـــسه)** ولكنك لا تريديننى أن أجلس هنا لأبقـــى خـــالتى مستيقظة إلى منتصف الليل؟ تذكرى أنها مريضة يا أمى.

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى آل هنكل يا إرهارت.

إرهـــــارت : **(فى نفاد صبر)** فى الحقيقة يا أمى، أنا لا أستطيع التحلل من هذا الموعد، ما رأيك يا خالتى؟

أللا رانثيـــــم : أحب أن تتصرف بحرية كاملة يا إرهارت.

السيدة بوركمان : **(تذهب إليها متوعدة)** إنك تريدين إبعاده عنى!

أللا رانثيـــــم : **(تنهض)** نعم، وياليتى أستطيع يا جنهيلد!

(تسمع موسيقى من الطابع العلوى)

إرهـــــارت : **(يتلوى كأنما يؤلمه شـــىء)** أوه، لا طاقـــة لـــى باحتمال هذا! **(ينظر حوله)** أين وضعت قبعتى؟ أتعلمين ماذا تعزف فى الدور العلوى؟

أللا رانثيـــــم : كلا، ماذا تعزف؟

إرهـــــارت : إنه اللحن الجنازى... رقصة الموت! ألا تعلمين رقصة الموت يا خالتى؟

أللا رانثيـــــم : (تبتسم فى حزن) ليس بعد يا إرهارت.

إرهـــــارت : (للسيدة بوركمان) أمـــى، أرجـــوك وأتوســـل إليك... دعينى أذهب!

السيدة بوركمان : (تنظر إليه بشدة) بعيدا عن أمك؟ أهذا ما تريـــد أن تفعله؟

إرهـــــارت : سأعود ثانية بالطبع... ربما غدا.

السيدة بوركمان : (فى حركة عاطفية) إنك تريـــد الابتعـــاد عنـــى! لتذهب إلى هؤلاء الغرباء! مع.. مع.. كلا، إنى لا أستطيع حتى التفكير فى ذلك!

إرهـــــارت : هناك أضواء متألقة، ووجوه سعيدة شابة، وهناك موسيقى يا أمى!.

السيدة بوركمان : (تشير إلى أعلى) وهنا أيضًا موسيقى يا إرهارت.

إرهـــــارت : نعم، ولكن هذه الموسيقى هـــى التـــى تـــدفعنى للخروج من المنزل.

أللا رانثيـــــم : أتكره لأبيك أن ينسى همومه لحظة!

إرهـــــــارت : كلا، لست أكره له ذلك، إنى سعيد جدا... سـعيد جدا لانه ينسى همومه... بشرط ألا اضطر أنـا للسماع.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى جد)** كن قويًا يا إرهارت! كن قويا يا بنى، لا تنس أن عليك واجبا مقدسًا.

إرهـــــــارت : أوه، يا أمى... جنبينى هذه العبارات! فلم أولـد لأكون صاحب رسالة مقدسة... أتمنى لك ليلـة سعيدة يا خالتى العزيزة! ليلة سعيدة يا أمى!

(يخرج مسرعًا إلى الصالة)

السيدة بوركمان : **(بعد فترة صمت قصيرة)** لم تحتاجى إلى وقـت طويل لاستعادته إليك يا ألّلا على كل حال.

ألّلا رانثيـــــم : أتمنى أن أتسطيع تصديق ذلك.

السيدة بوركمان : ولكنك سترين أنه لن يُسمح لكِ بالاحتفـاظ بـه طويلاً.

ألّلا رانثيـــــم : لن يُسمح لى؟ تعنين أنك لن تسمحى لى؟

السيدة بوركمان : أنا أو... هى، المرأة الأخرى.

ألّلا رانثيـــــم : ما دام الأمر كذلك فإنى أفضلها عليك.

السيدة بوركمان : **(تحنى رأسها موافقة فى بطء)** هذا شـىء أفهمـه،

فإنى أقول نفس الشيء، أتمنى أن تأخذه هى منى على أن تأخذيه أنت.

أللا رانثيـــــم : مهما حدث له فى النهاية.

السيدة بوركمان : لا أهمية كبيرة لذلك، هذا ما أقوله.

أللا رانثيـــــم : **(تحمل معطفها وقبعتها على ذراعها)** للمرة الأولى فى حياتنا نحن التوأمين نتفق على رأى واحـــد، أتمنى لك ليلة سعيدة يا جنهيلد.

(تخرج من الباب المؤدى إلى الصالة – يعلو صوت الموسيقى فى الطابق العلوى)

السيدة بوركمان : **(تقف بلا حراك لحظة، ثم تجفل فجأة فى اشمئزاز ثم همس كأنها على غير رغبتها)** ها هـــو ذا عـــواء الذئب يعود ثانية، الذئب المريض **(تقـــف بـــلا حراك، ثم تلقى بنفسها على الأرض وهى تتلوى من الألم هامسة)** إرهـــارت! إرهـــارت... كـــن مخلصًا لى! أوه، عد إلى المنزل لتقف إلى جانب أمك! فلن أستطيع احتمال هذه الحياة أكثـــر مـــن ذلك!

«ســــتار»


الفصل الثانى



المنظر:

(الصالة الكبرى فى الدور العلوى من مترل أللا رانثيم، الجدران مغطاة بستائر وسجاجيد مرسوم عليها مناظر القنص، والرعاة والراعيات، ولكن ألوانها حائلة.

إلى اليسار باب ذو مصراعين وفى المقدمة اليسرى بيانو، فى الركن الأيسر إلى الخلف باب مغطى بستارة دون إطار. فى وسط الباب الأيمن مكتب ضخم من البلوط المحفور، فى الحجرة كثير من الكتب والأوراق.

فى المقدمة اليمنى أريكة ومنضدة أمامها عدد من الكراسى، الأثاث من الطراز الإمبراطورى القديم. على المكتب والمنضدة مصابيح مشتعلة.

جون جابرييل بوركمان يقف إلى جانب البيانو واضعًا يديه خلف ظهره، مستمعًا إلى الجزء الأخير من رقصة الموت التى تعزفها فريدا فولدول.

وبوركمان رجل متوسط القامة متين التركيب قوى الجسم قارب الستين من عمره، مظهره متميز وتقاطيعه حادة وعيناه ثاقبتان وشعر رأسه ولحيته المجعد الرمادى يغلب عليه البياض، وهو يلبس حُلَّة سوداء من طراز قديم نوعًا وربطة عنق بيضاء.

أما فريدا فولدول فهى فتاة جميلة شاحبة الوجه، فى الخامسة عشرة من عمرها. على وجهها تعبير يجمع بين الصرامة والتعب، ملابسها رخيصة خفيفة الألوان)

(لحظة صمت بعد انتهاء الموسيقى)

بوركمان : أتستطيعين أن تخمنى متى استمعت إلى مثل هذه الألحان لأول مرة؟

فريدا : (تنظر إليه) كلا يا سيد بوركمان.

بوركمان : كان ذلك فى جوف المناجم.

فريدا : (غير فاهمة) حقًا؟ فى جوف المناجم؟

بوركمان : أبى كان عاملاً فى المناجم كما تعلمين، أو لعلك لا تعلمين؟

فـــــــــريدا : كلا يا سيد بوركمان.

بـــوركمـــــــان : أنا ابن أحد عمال المناجم، وقد كان من عادة أبى أن يأخذنى معه أحيانا إلى جـــوف المـــنجم. إن المعادن تغنى هناك.

فـــــــــريدا : حقا؟ أتغنى؟

بـــوركمـــــــان : **(يحنى رأسه موافقا)** عندما تتخلص من قيدها، إن ضربات المطارق التـــى تخلـــصها ليـــست إلا أجراس نصف الليل التى تدق احتفالا بحريتهـــا، ولهذا تغنى... على طريقتها... سرورا.

فـــــــــريدا : ولماذا تفعل ذلك يا سيد بوركمان؟

بـــوركمـــــــان : لأنها تريد أن تصعد إلى الضوء وتخدم الإنسان. **(يقطع الصالة ذهابا وجيئة ويداه دائمـــا خلـــف ظهره).**

فـــــــــريدا : **(تجلس صامتة فترة قصيرة ثم تنظر فى ســـاعتها وتقف)** أرجو المعذرة يا سيد بوركمان، أخـــشى أن أكون مضطرًا إلى الانصراف.

بـــوركمـــــــان : **(يقف أمامها)** أذاهبة أنت فى الحال؟

فـــــــــريدا : **(تضع قطع الموسيقى فى حقيبتها)** حقيقة يجب أن أذهب. **(فى تأثر واضح)** عندى موعد هذه الليلة.

بــوركمـــــــان : لحفل؟

فـــــــــريدا : نعم.

بــوركمـــــــان : وهل ستعزفين أمام الناس؟

فـــــــــريدا : **(تعض شفتيها)** كلا، ولكنى على الأقل ســأعزف لهم أثناء الرقص.

بــوركمـــــــان : للرقص فقط؟

فـــــــــريدا : نعم، فالعشاء يعقبه حفل راقص.

بــوركمـــــــان : **(يقف وينظر إليهـــا)** أتحبــين عــزف الألحــان الراقصة؟ أعنى فى الحفلات؟

فـــــــــريدا : **(تلبس معطفها وقبعتها)** نعم، عندما يتفق معـــى، فإنى أكسب بعض المال من هذا الطريق.

بــوركمـــــــان : **(فى اهتمام)** أهذه هى الفكرة الرئيسية التى تشغل ذهنك وأنت تعزفين للراقصين؟

فـــــــــريدا : لا، فعادة ما أفكر فى أنه من أصعب الأمور ألاَّ أشترك أنا نفسى فى الرقص.

بـوركمـان : **(يحنى رأسه موافقًا)** هذا بالضبط ما كنت أريد معرفته. **(يتحرك فى الغرفة فى قلق)** نعم، نعم، نعم، إن أصعب شيء على النفس ألاّ تستطيعى الاشتراك فى الرقص. **(يقف)** ولكن هناك أمرًا يا فريدا يساعدك على تحمل ذلك...

فـريدا : **(تنظر إليه فى تساؤل)** وما هذا يا مستر بوركمان؟

بـوركمـان : معرفتك أن إحساسك بالموسيقى عشرة أضعاف إحساس جميع أولئك الراقصين.

فـريدا : **(تبتسم فى خجل)** أوه، ولكن ذلك كله أمر غير مؤكد.

بـوركمـان : **(يشير إليها بسبابته محذرًا)** إياك أن ينتابك جنون الشك فى نفسك!

فـريدا : ولكن ما دام الأمر غير معروف لأحد...

بـوركمـان : ما دمت أنت نفسك تعرفينه فهذا يكفى. وأين ستذهبين للعزف الليلة؟

فـريدا : عند آل هنكل.

بـوركمـان : **(بنظرة سريعة حادة إليها)** أقلت آل هنكل؟

فريدا : نعم.

بوركمان : (بابتسامة ساخرة) أيقيم هذا الرجل حفلات؟ أيجد من الناس من يزوره؟

فريدا : نعم، لقد قالت مسز ويلتن إن كثيرًا من الناس يزورونهم.

بوركمان : (بشدة) وأى صنف من الناس هؤلاء؟ أيمكنك أن تخبرينى؟

فريدا : (بقليل من العصبية) كلا، فإنى فى الحقيقة لا أعرف، بل نعم، فقد عرفت بالمناسبة أن السيد بوركمان الصغير سيكون هناك الليلة.

بوركمان : (يتراجع مأخوذا) إرهارت؟ ابنى؟

فريدا : نعم، إنه ذاهب عندهم.

بوركمان : وكيف عرفت؟

فريدا : لقد قال هو نفسه ذلك... منذ ساعة مضت.

بوركمان : هل حضر هنا اليوم؟

فريدا : نعم، فقد أمضى طيلة بعد الظهر فى منزل السيدة ويلتن.

بوركمان : (متسائلاً) أتعلمين إن كان قد حضر إلى هذا المنزل أيضًا؟ أعنى هل زار أحدا فى الطابق الأول؟

فريدا : نعم لقد جاء لزيارة السيدة بوركمان.

بوركمان : (بمرارة) آها... كان يجب أن أعلم ذلك.

فريدا : وأظن أن سيدة قريبة أيضًا كانت تزورها.

بوركمان : حقًا؟ أكانت هناك زائرة؟ أوه، نعم، فإنى أظن أن الناس يأتون بين الحين والحين لزيارة السيدة بوركمان.

فريدا : أأطلب من السيد بوركمان الصغير إذا ما قابلته الليلة أن يزورك أنت أيضا؟

بوركمان : (بخشونة) لن تفعلى شيئًا كهذا... فلست أريد ذلك مهما كانت الأسباب، من يريد زيارتى فليأت بمحض إرادته، ولكنى لن أطلب من أحد زيارتى.

فريدا : أوه، حسن جدًا، لن أقول شيئًا إذن، أتمنى لك ليلة سعيدة يا سيد بوركمان.

بوركمان : (يسير جيئة وذهابًا وهو يهمهم) مساء الخير.

فــــــــريدا : ألديك مانع إن كنت أنزل من السلم الحلزونــــى؟ فهو أقصر طريق.

بــوركمـــــــان : أوه، لا مانع مطلقًا، استعملى أى سلم تريـــدين، فلا شأن لى، أتمنى لك ليلة سعيدة!

فــــــــريدا : مساء الخير يا سيد بوركمان.

(تخرج من الباب الصغير المغطى فى الركن الأيسر. يتوه فى أفكاره فيذهب إلى البيانو ويهُّـــم بغلقه ثم يغير رأيه وينظر حوله فى الحجرة الكبيرة الخالية، ثم يبدأ فى ذرعها من البيانو إلى الـــركن الأيمن ذهابًا وجيئة فى عصبية وإصرار، وأخـــيرا يذهب إلى المكتب ويتـــسمع تجـــاه البـــاب ذى المصراعين فيسحب بسرعة مرآة يد ينظر فيهـــا وينظم ربطة عنقه .

طرقة على الباب يسمعها بوركمان وينظر بسرعة تجاه الباب ولكنه يظل صامتًا، بعد فتـــرة قصيرة سمع طرقة أقوى).

بــوركمـــــــان : (يقف بجوار المكتب وقد استند عليه بيده اليسرى بينما وضع يده اليمنى فى صدر سترته) ادخل!

(يدخل ولهلم فولدول الحجرة بهدوء، وهو رجل منهمك منحنى الجسم عيناه زرقاوان لطيفتان وشعره طويل خفيف رمادى يتدلى على ياقة سترته، يحمل تحت ذراعه محفظة أوراق وقبعة لينة من اللباد ويلبس نظارات كبيرة إطارها من العظم يرفعها إلى جبهته).

بوركمان : (يغير من موقفه وينظر إلى فولدول وعلى وجهه تعبير يجمع بين خيبة الأمل والسرور) أوه، أليس من أحد غيرك؟

فولدول : مساء الخير يا جون جابرييل، نعم، أنت ترى أنه أنا.

بوركمان : (بنظرة صارمة) لا مناص أن أقول إنك فى الحقيقة زائر متأخر.

فولدول : نعم ولكنك تعلم أن الطريق طويل بعض الشىء، خاصة إذا كد الإنسان ماشيا على قدميه ليقطعه.

بوركمان : ولكن لماذا تمشى دائما يا ولهلم والترام يمر أمام بيتك؟

فـولـدول : من الخير للإنسان أن يمشى، خاصة وأنه يوفر بنسين فى كل مرة. بالمناسبة ألم تحضر فريدا للعزف لك فى الأيام الأخيرة؟

بـوركمـان : لقد خرجت منذ دقيقة واحدة، ألم تقابلها فى الخارج؟

فـولـدول : كلا، فلم يقع نظرى عليها منذ وقت طويل، منذ ذهبت للسكنى عند من تدعى السيدة ويلتن.

بـوركمـان : **(يجلس على الأريكة وهو يشير إلى كرسى)** أجلس ياولهلم.

فـولـدول : **(يجلس على حافة كرسى)** شكرًا جزيلاً. **(ينظر إليه وقد بدت الكآبة على وجهه)** إنك لا تدرى مبلغ الوحدة التى أحس بها منذ غادرتنى فريدا.

بـوركمـان : أوه، خفف عن نفسك... فقد غادرك قبلها كثيرات.

فـولـدول : نعم، يعلم الله أنه قد غادرنى الكثيرات، خمس من بناتى، ولكن فريدا هى الوحيدة التى كانت تفهمنى. **(يهزُّ رأسه بحزن)** لم يكن الأخريات يفهمننى إطلاقًا.

بــوركمــــــــان : (بكآبة وقد حدد نظره أمامه وأخذ يدق بأصابعه على المنضدة) نعم، هذا هو لبُّ الموضوع، إنهـــا اللعنة التى قُدِّر لنا نحن العباقرة المختارين مـــن النـــاس أن نتحملهـــا، فـــإن القطيـــع العـــادى، المتوسطين من الرجال والنساء... لا يفهموننا يا ولهلم.

فــــــولــدول : (فى خضوع) لو أن الأمر اقتــصر علـــى عـــدم الفهم... فإن الإنسان بقليل من الصبر يستطيع أن ينتظر بعض الوقت. (وقد اختنق صوته بالدموع) ولكن هناك ما هو أمرٌّ.

بــوركمــــــــان : (بحدة) ليس هناك ما هو أمرٌّ.

فــــــولــدول : بل هناك يا جون جابرييل، لقد تــشاجرت فـــى المنزل الليلة... قبل أن أخرج مباشرة.

بــوركمــــــــان : حقا؟ ولماذا؟

فــــــولــدول : (ثائرًا) إنهم فى بيتى... يحتقروننى.

بــوركمــــــــان : (بحنق) يحتقرونك!؟

فــــــولــدول : (يمسح دموعه) لقد كنت أعرف ذلك منـــذ زمـــن طويل، ولكن الليلة وضح الأمر وضوحًا تامًا.

بــوركمــــــان : **(بعد فترة صمت قصيرة)** أخــشى أن أقــول إن زواجك كان قرارًا أحمق.

فــــــولــدول : لم يكن لى فى الواقع أى اختيار فى الموضـــوع، خاصة وأن الإنسان يحتاج إلى من يصحبه فـــى أيامه الأخيرة، ولما كنـــت فـــى ذلـــك الوقـــت محطمًا.. مفلسًا إفلاسًا تامًا...

بــوركمــــــان : **(يقف ثائرًا فى غضب)** أتعنينى بذلك؟ أهو تـــوبيخ لى؟

فــــــولــدول : كلا، كلا، بحق الإله يا جون جابرييل!

بــوركمــــــان : نعم، إنك تفكر فى كارثة البنك، وإنى لعلى يقين فى ذلك!

فــــــولــدول : **(مهدئًا)** ولكنى لا ألومك لما حدث! حرام!

بــوركمــــــان : **(مهمهمًا وهو يجلس)** حسن، هذا كلام طيب على أى حال.

فــــــولــدول : ومع ذلك، لا تظن أنى أشكو من زوجتى، حقيقة هى غير مهذبة، مسكينة، ولكنها على كل حـــال زوجة طيبة، إنهم أولادى.

بــوركمــــــان : هذا ما ظننته.

فولدول : لأن الأولاد... وقد زادت كثافتهم، ينتظرون نوعًا من الراحة فى حياتهم أكثر مما أتيحه لهم.

بوركمان : **(ينظر إليه فى عطف)** ولهذا يحتقرك أولادك يا ولهلم؟

فولدول : **(يهز كتفيه)** أنت تعلم أنى لم أنجح فى حياتى نجاحًا يذكر... ولا يمكن نكران ذلك.

بوركمان : **(يقترب ويضع يده على ذراعه)** ألا يعلمون إذن أنك كتبت فى شبابك مأساة مسرحية؟

فولدول : بلى، بالطبع يعلمون ذلك، ولكن يبدو أن ذلك لا يترك أثرًا فى نفوسهم.

بوركمان : إنهم إذن لا يفهمون فى الأدب، فإن مسرحيتك جيدة، وإنى مقتنع بذلك تمامًا.

فولدول : **(فى سرور)** نعم، ألا تظن أن فيها بعض المناظر الجيدة يا جون جابرييل؟ يا إلهى، لو استطعت فقط تقديمها على المسرح! **(يفتح حافظة أوراقه ويبدأ فى لهفة فى البحث فى محتوياتها)** انظر، دعنى أريك بعض ما قمت به من تغيير فى موقف أو موقفين.

بـورکمـــــان : أهی معك؟

فـــــولـــدول : نعم، فكرت فی إحضارها، فقـــد مـــضى وقـــت طويل منذ قرأتها لك، فظننت أنه قد يـــسرك أن أقرأ لك منها فصلاً أو فصلين.

بـورکمـــــان : **(يقف ويشير بيده نفيًا)** لا، لا، فليكن ذلـــك فـــی وقت آخر.

فـــــولـــدول : فليكن، كما تشاء. **(يذرع بوركمان الغرفة، بينما يضع فولدول الأوراق فی الحافظة).**

بـورکمـــــان : **(يقف أمامه)** لقد كنت على حق تمامًا فيما قلتـــه الآن بخصوص عدم توفيقك فی عملك، ولكنـــی أعدك يا ولهلم أنه عندما تدق ســـاعة خلاصـــی وعودتی إلى سابق عهدی.

فـــــولـــدول : **(يحاول القيام)** أوه، شكرًا، شكرًا!

بـورکمـــــان : (يحرك يده) لا، اجلـــس أرجـــوك. **(فی انفعـــال يتزايد)** عندما تدق ساعة عـــودتی إلـــی ســـابق عهدی... عندما يتأكدون أنهـــم لـــن يـــستطيعوا المضی بدونی... عندما يحضرون إلى هنا فـــی هذه القاعة، ويزحفون إلى موطئ قدمی متوسلين

أن أعود إلى قيادة زمام البنك! البنك الجديد الذى أسسوه ولم يستطيعوا إدارته...

(يقف بجوار المكتب كما كان يقف قبل دخول فولدول ضاربًا بكفه على صدره) سأكون واقفًا هنا لاستقبالهم! وسيعرف الجميع فى كل مكان فى القطر أى شروط وضعها جون جابرييل بوركمان قبل أن... **(يسكت فجأة ويحملق فى فولدول)** إن نظراتك تنطق بالشك! لعلك لا تصدق أنهم سيحضرون! لعلك لا تصدق أنهم يجب أن يحضروا يومًا ما، يجب، يجب. ألا تصدق ذلك؟

فولدول : يعلم الله أنى أصدق يا جون جابرييل.

بوركمان : **(يجلس ثانية على الأريكة)** إنى أصدق ذلك تمام التصديق، وإنى لمقتنع تمامًا... وعارف بأنهم سيحضرون، لو لم أكن متأكدًا من ذلك لأطلقت على رأسى الرصاص منذ زمن طويل.

فولدول : **(قلقا)** أوه، كلا، بحق الإله!

بـــوركمــــــــان : **(بفخر)** ولكنهم سيحــضرون! سيحــضرون ولا شك فى ذلك! وسترى! إنى أنتظرهم فى أى يوم، فى أى لحظة، ولهذا ترى أننى على تمام الأهبة فى أى وقت لاستقبالهم.

فـــــــولــدول : **(يتنهد)** لو أنهم يحضرون سريعًا؟

بـــوركمــــــــان : **(قلقًا)** نعم، فالوقت يطير، والسنون تهرب منّــا، والحياة... آه، لا، لا أجسر على التفكير فى ذلك! **(ينظر إليه)** أتعرف كيــف أشــعر فــى بعــض الأوقات؟

فـــــــولــدول : كيف؟

بـــوركمــــــــان : أحس كأنى نابليون وقد بُتِر أحد أعــضائه فــى أولى معاركه.

فـــــــولــدول : **(يضع يده على حافظته)** عندى هذا الإحساس أنا أيضا.

بـــوركمــــــــان : أوه، نعم، ولكن ذلك على نطاق أصغر بالطبع.

فـــــــولــدول : **(بهدوء)** إن عالمى الشعرى الصغير ثمين جــدا بالنسبة لى يا جون جابرييل.

بــوركمـــــــان : (بحدة) نعم، ولكن فكر فىّ، أنا الذى كـــان فـــى استطاعتى أن أجمع ملايين! أنا الذى كنت أتحكم فى كل هذه المناجم! وهـــذه العـــروق المعدنيـــة الجديدة التى لا عـــدد لهـــا! ومـــساقط الميـــاه! والمحاجر! وخطوط التجارة، والبـــواخر التـــى تجوب الدنيا الفسيحة كلها! لقد كنت أنظـــم هـــذا كله... أنا وحدى!

فـــــولـــدول : نعم، أعرف، أعرف، لم يكن هناك ما تحجم عنه فى هذا العالم.

بــوركمـــــــان : (يعصر يديه إحداهما بالأخرى) والآن، أضـــطر إلى الجلوس هنا كالنسر الجـــريح أنظـــر إلـــى الآخرين وهم يسبقوننى ويأخذون منى كل شىء قطعة قطعة.

فـــــولـــدول : هذا حظى أنا أيضا.

بــوركمـــــــان : (غير ملتفت إليه) فكر فقط فى ذلك فى أنى كنت أقرب ما أكون إلى الهدف! لو كنت قد أعطيـــت أسبوعًا واحدًا فقط أنظم فيه أمرى! لكنت غطيت جميع الودائع وأعدت جميـــع التأمينـــات التـــى

تصرفت فيها بجرأة إلى مكانها، كم شركة عظيمة كان بينها وبين النجاح شعرة، لو حدث ذلك لما ضاع لأحد نصف بنس.

فولدول : نعم، نعم، كنت قد وضعت قدمك على حافة النجاح.

بوركمان : **(فى ثورة مكتومة)** وعندئذ تغلبت على الخيانة! فى نفس هذه اللحظة الحرجة! **(ينظر إليه)** أتعرف ما هى أكثر جرائم الإنسان سفالة؟

فولدول : كلا، خبِّرنى.

بوركمان : إنها ليست جريمة القتل، وليست السرقة أو السطو على المنازل، أو حتى القسم الكاذب، لأن هذه الجرائم كلها يرتكبها الناس مع من يكرهونهم، أو من لا يبالونهم أو يهتمون بهم.

فولدول : وما أفظع الجرائم إذن يا جون جابرييل؟

بوركمان : **(فى تأكيد)** أسفل الجرائم هى تلك التى يخون فيها الصديق ثقة صديقه.

فولدول : **(فى بعض الشك)** نعم، ولكنك تعرف...

بـوركمــــــان : (فى غضب وثورة) ماذا أنت قائل؟ إنى أرى ذلك واضحًا فى وجهك، ولكن دون جدوى، كل مـــن كانت لهم تأمينات فى البنك كانوا سيستردونها... إلى آخر بنس. كلا، سأخبرك بأبــشع الجــرائم، إنها تلك التى يــستغل فيهــا الرجــل خطابــات صديقه، فينشر على الملأ ما كان سرًّا خاصًّا به وحده، سرًّا كهمسة فى حجرة خالية مظلمة مغلقة الأبواب. إن من يفعل ذلك لهو فاسد وضار إلى آخر درجة، وقد وصل بأخلاقه إلى غايــة مــا يمكن أن يصل إليه مــن الخبــث، ومثــل هــذا الصديق كان صديقى... وهو الذى حطمنى.

فــــولــدول : فى استطاعتى أن أخص من تعنى...

بـوركمــــــان : لم أتردد لحظة فى أن أطلعه على كل ما خفــى ودق من أمرى، وعندئذ، عندما حلــت اللحظــة المناسبة سدد إلىَّ الأسلحة التى وضعتها أنا نفسى فى يديه.

فــــولــدول : لم أستطع أبدًا فهم السبب الذى... بالطبع تهامس الناس بمختلف الإشاعات فى ذلك الوقت.

بــوركمــــــان : وما كانت هذه الهمسات؟ خبِّرنى، فأنت تعلم أننى لا أدرى شيئا، لأنى اضطررت إلى المضى فورًا إلى... إلى عزلتى... بم كان يهمس النــاس يــا ولهلم؟

فــــــولــدول : كانوا يقولون إنك كنت تطمــع فــى أن تكــون وزيرًا.

بــوركمــــــان : لقد عرض على منصب الوزارة ولكنى رفضته.

فــــــولــدول : لم تكن إذن تقف فى طريقه فى هذا الأمر؟

بــوركمــــــان : أوه، كلا، لم يكن ذلك سبب خيانته لى.

فــــــولــدول : أنا إذن لا أفهم حقيقة الأمر.

بــوركمــــــان : سأخبرك به على أى حال ياولهلم.

فــــــولــدول : قلى لى.

بــوركمــــــان : كان... فى الحقيقة كان فى الأمر امرأة...

فــــــولــدول : فى الأمر امرأة؟ ولكن يا جون جابرييل...

بــوركمــــــان : **(يقاطعه)** كفى كفى... دعنا نــسكت عــن هــذه الحكايات القديمة السخيفة، وعلى كل لــم يــصل أحدنا إلى مركز الوزارة، لا هو ولا أنا.

فــــــولــدول : ولكن نجمه ارتفع فى أنحاء الدنيا.

بوركمان : وسقطت أنا فى الهاوية.

فولدول : أوه، يا لها من مأساة مروعة.

بوركمان : **(يهز رأسه فى موافقة)** مروعة كمأساتك، هذا ما أظنه إذا ما فكرت فيها.

فولدول : **(ببساطة)** نعم، من ناحية أنها مروعة.

بوركمان : **(يضحك فى هدوء)** ولكن إذا نظرت إليها من زاوية أخرى وجدتها فى الحقيقة كأنما هى ملهاة.

فولدول : ملهاة؟ قصة حياتك؟

بوركمان : نعم، يبدو أنها تتجه إلى ذلك، فما سأخبرك به...

فولدول : ماذا؟

بوركمان : سبق أن قلت إنك لم تقابل فريدا فى أثناء قدومك.

فولدول : نعم.

بوركمان : فى هذه اللحظة ونحن جالسان هنا، تعزف هى ألحان الفالز لضيوف ذلك الرجل الذى خاننى وحطمنى.

فولدول : ليس عندى أدنى فكرة عن ذلك.

بوركمان : نعم لقد أخذت نوتاتها الموسيقية وذهبت من عندى رأسًا إلى... إلى المنزل الكبير.

فولدول : (معتذرًا) لكن، أنت تعلم، الطفلة المسكينة.

بوركمان : وهل تستطيع أن تخمن لمن ستعزف... مع غيره من الحضرين؟

فولدول : كلا.

بوركمان : لابنى.

فولدول : ماذا؟

بوركمان : ما تظن فى ذلك يا ولهلم؟ ابنى هناك فى حلبة الرقص هذا المساء... ألست على حق إذ أسمى الأمر ملهاة؟

فولدول : ولكن تأكد فى هذه الحالة أنه لا يعرف شيئًا عن الموضوع.

بوركمان : ما الذى لا يعرفه؟

فولدول : تأكد أنه لا يعرف كيف أنه... هذا الرجل...

بوركمان : لا تحجم عن ذكر اسمه، فإنى أستطيع أن أتحمل سماعه الآن.

فولدول : أنا واثق من أن ابنك لا يعلم الظروف يا جون جابربيل.

بوركمان : (فى وجوم، يجلس ويدق على المنضدة) بل هو يعلم، إنى على ثقة من ذلك كثقتى بجلوسى هنا.

فولدول : كيف يمكن إذن أن يكون ضيفاً فى هذا البيت؟

بوركمان : (يهز رأسه) لعل ابنى لا يرى الأمور كما أراها، بل إنى أقسم أنه فى صف أعدائى! لا شك أنه يظن - كما يظن الناس جميعًا - أن هنكل حين خاننى لم يفعل إلا واجبه الكريه.

فولدول : ولكن يا صديقى العزيز، من تظنه جعله يرى الأمور هكذا؟

بوركمان : من؟ نسيت من الذى رباه؟ ألم تربه خالته منذ كان فى سن السادسة أو السابعة، ثم تولت أمه تربيته فى هذه السنين الأخيرة؟

فولدول : فى اعتقادى أنك تظلمهم بهذا الكلام...

بوركمان : (يستشيط غضبا) أنا لم أظلم فى حياتى قط! كلتاهما سممت أفكاره من ناحيتى، وإنى لأؤكد ذلك!..

فولدول : طيب، طيب، طيب، إنى أظنهما فعلتا.

بوركمان : (فى حنق) يا لهؤلاء النساء! إنهن يحطمن حياتنا ويقوضنها! إنهن يقمن بدور الشيطان فى تحطيم مستقبلنا... وتقدمنا فى سبيل النجاح.

فولدول : ليس كلهن!

بوركمان : حقا؟ أتستطيع أن تذكر لى امرأة واحدة تصلح لشىء ما؟

فولدول : كلا، وهذه هى المشكلة، فإن القليلات اللائى أعرفهن لا يصلحن لشىء.

بوركمان : (بلهجة احتقار) حسن، إذن، ما فائدة ذلك؟ ما نفع هؤلاء النساء الموجودات... ما دمت لن تعرفهن أبدا؟

فولدول : (بحرارة) بل هناك فائدة فى ذلك يا جون جابرييل، وإنى لأؤكد هذا، فإنها فكرة مباركة خيِّرة أن نعلم أن هناك فى هذا العالم فى مكان ما بعيد كل البعد... توجد على كل حال امرأة حقيقية.

بوركمان : (يتململ فى مجلسه على الأريكة) أوه، جنبنى هذا الهراء الشعرى.

فـولـدول : **(ينظر إليه وقد جُرحت كرامته جرحًا عميقًا)** أتسمى إيمانى المقدس هراء شعريا؟.

بـوركمـان : **(بخشونة)** نعم، أسميه كذلك! فإن هذا هو الذى منعك دائما من النجاح فى الحياة. لو أنك طردت هذه الأفكار من رأسك، لكان هناك أمل فى استطاعتى مساعدتك فى الحياة، مساعدتك على النهوض من كبوتك.

فـولـدول : **(يغلى من الداخل)** أوه، لن تستطيع ذلك.

بـوركمـان : بل أستطيع، عندما أستعيد مكانتى ثانية.

فـولـدول : لن يحدث هذا قريبا.

بـوركمـان : **(فى عنف)** لعلك تحسب أن هذا اليوم لن يأتى؟ أجبنى!

فـولـدول : لست أدرى كيف أجيب.

بـوركمـان : **(يقف ويقول فى برود وترفع، وهو يشير بيده إلى الباب)** إذن، لا فائدة لى منك بعد الآن.

فـولـدول : **(يحملق فيه وهو جالس)** لا فائدة.

بـوركمـان : ما دمت لا تظن أن الريح ستتحول معى.

فولدول : كيف أعتقد ذلك إذا قسته بعقلى؟ يجب أولاً أن تسترد اعتبارك قانونيًا.

بوركمان : أستمر! استمر!

فولدول : حقيقة إنى لم استمر فى تعليمى، ولكن ما قرأته من القانون يكفى لأن أعرف أن...

بوركمان : **(بسرعة)** تعنى أن ذلك مستحيل؟

فولدول : ليس هناك سوابق لذلك.

بوركمان : الرجال الممتازون لا تنطبق عليهم السوابق.

فولدول : القانون لا يعرف الامتيازات.

بوركمان : **(فى خشونة وتأكيد)** إنك لست شاعرًا يا ولهلم.

فولدول : **(يضع يديه على صدره دون وعى)** أتقول هذا وأنت جاد؟

بوركمان : **(يترك الموضوع بدون إجابة)** إننا نضيع وقتنا معًا، من الخير أن تمتنع عن زيارتى.

فولدول : أنت إذن تريدنى أن أتركك حقيقة؟

بوركمان : **(دون أن ينظر إليه)** لم يعد لى فائدة فيك.

فولدول : **(بنعومة وهو يحمل حقيبته)** لا، لا، لا، لا أجسر على قول ذلك.

بورکمان : لقد كنت تكذب عليّ طول هذا الوقت.

فولدول : (يهز رأسه) لم أكذب عليك قط يا جون جابرييل.

بورکمان : ألم تكن تجلس هنا لتبث فى نفسى الأمل والثقة؟ ألم يكن ذلك كله كذبًا؟

فولدول : لم يكن كذبًا ما دمت تثق فى موهبتى، ما دمت تثق فيّ فأنا أثق فيك.

بورکمان : كنا إذن يخدع كل منا الآخر، بل كل منا يخدع نفسه، نحن الاثنين.

فولدول : أو ليس هذا جوهر الصداقة يا جون جابرييل؟

بورکمان : (يبتسم فى مرارة) نعم، صدقت فى هذا، فالصداقة تعنى... الخداع، لقد تعلمت هذا الدرس من قبل.

فولدول : (ينظر إليه) لست على شىء من الموهبة الشعرية... وقد قلت لى رأيك هذا بخشونة.

بورکمان : (فى لهجة أدق) أنت تعرف أنى لا أستطيع الادعاء بأنى أفهم فى مثل هذه الموضوعات.

فولدول : لعلك تعرف أكثر مما تظن.

بورکمان : أنا؟

فولدول : (بنعومة) نعم أنت، وإنى لأخبرك أنى أنا نفسى

كثيرا ما ساورتنى مثل هــذه الــشكوك، الــشكوك الفظيعة فى أنى ربما أضعت حياتى فى سبيل وهم.

بــوركمـــــان : إذا فقدت الثقة فى نفسك فأنت حقا فـــى طريـــق الهاوية.

فـــــولـــدول : وهذا هو السبب الــذى جعلنـــى أحــضر إليــك للاعتماد على ثقتك فىَّ (يمسك قبعته) ولكنك الآن أصبحت غريبًا عنى.

بــوركمـــــان : وأنت كذلك بالنسبة لى.

فـــــولـــدول : مساء الخير يا جون جابرييل.

بــوركمـــــان : مساء الخير يا ولهلم.

(يخرج فولدول من الناحية اليسرى.

يظل بوركمان واقفًا لحظة وهو يحملــق فى الباب المغلق، ويهمُّ بالتحرك كأنما ينادى فولدول ثم يغير رأيه، ويبدأ فى ذرع الحجرة ويداه خلــف ظهره، ثم يقف بجوار المنضدة القريبة من الأريكة ويطفئ المصباح فتصبح الحجرة نصف مظلمــة، وبعد لحظة قصيرة يسمع طرقًا على الباب المغطى بالستارة)

بـــوركمـــــــان : (يفاجأ وهو عند المنضدة فيدور لمواجهة البـــاب ويقول بصوت عال) من الطارق؟

(لا تسمع إجابة ثم تسمع طرقة ثانية).

بـــوركمـــــــان : (دون حراك) من أنت؟ ادخل!

(تظهر فى الباب أللا رانثيم وهـــى تحمـــل شمعة مشعَلة، ومازالت فى ملابسها السوداء إلا أن معطفها ملقى على كتفيها)

بـــوركمـــــــان : (يحملق فيها) من أنت؟ ماذا تريدين منى؟

أللا رانثيـــــم : (تغلق الباب وتتقدم داخل الحجرة) إنه أنـــا يـــا بوركمان.

بـــوركمـــــــان : (تضع الباب وتتقدم داخل الحجرة)

(يقف مذهولا وهو يحملق فيها بثبات ويقـــول فى شبه همس) أأنت.. أأنت أللا؟ أأنت أللا رانثيم؟

أللا رانثيـــــم : نعم، أنا عزيزتك أللا كما اعتدت أن تنادينى فى الأيام الماضية منذ سنوات عديدة... عديدة.

بـــوركمـــــــان : (بنفس اللهجة) نعم، إنك أللا، أســـتطيع أن أراك الآن.

أللا رانثيـــــم : أتستطيع التعرف علىَّ؟

بـــوركمـــــــان : نعم، الآن بدأت أن...

ألـلا رانتثيـــــم : لقد أثرت الأيام فيَّ، وأصبحت فى خريف العمر يا بوركمان، ألا ترى ذلك؟

بـــوركمـــــــان : (بصوت مغتصب) يبدو أنك تغيرت كثيرا... عند النظرة الأولى.

ألـلا رانتثيـــــم : لم تعد خصلات الشعر السوداء تغطى عنقـــى... الخصلات التى كنت تحب وقتًا ما أن تلفها حول أصابعك...

بـــوركمـــــــان : حقا! لقد وضح الأمر الآن يا ألـلا، لقـــد غيـــرتِ تسريحة شعرك.

ألـلا رانتثيـــــم : (ببسمة حزينة) بالـــضبط، إن طريقـــة تـــسريح الشعر هى التى ســـببت هـــذا الاخـــتلاف فـــى المظهر.

بـــوركمـــــــان : (مغيرًا الموضوع) لم يكن عندى أدنى فكرة عـــن أنك فى هذا الجزء من العالم.

ألـلا رانتثيـــــم : لقد وصلت توًّا.

بـــوركمـــــــان : ما الذى دعاك إلى هذه الرحلة الطويلة الآن، فى الشتاء؟

ألـلا رانثيـم : هذا ما ستسمعه الآن.

بـوركمـان : أجئت لمقابلتى؟

ألـلا رانثيـم : أنت وغيرك، ولكى أخبرك عن الغرض من حضورى يجب أن أعود إلى الماضى البعيد.

بـوركمـان : يبدو عليكِ التعب.

ألـلا رانثيـم : نعم، أنا متعبة.

بـوركمـان : ألا تجلسين؟ هنا على الأريكة!

ألـلا رانثيـم : نعم، شكرًا لك، فإنى فى حاجة إلى الراحة...

(تقطع الغرفة إلى الناحية اليمنى وتجلس على الطرف القريب من الأريكة، بينما يقف بوركمان بجوار المنضدة ناظرًا إليها وقد وضع يديه خلف ظهره، فترة صمت قصيرة)

ألـلا رانثيـم : يخيل إلىَّ أنه مرت أجيال طويلة لا نهاية لها منذ التقينا آخر مرة وجها لوجه يا بوركمان.

بـوركمـان : (بوجوم) إنه زمن طويل... طويل، وقد حدثت منذ ذلك الوقت أحداث فظيعة.

ألـلا رانثيـم : لقد مرت حياة كاملة... حياة مضيعة.

بـوركمـان : (ينظر إليها باهتمام) مضيعة!؟

ألـلا رانثيـــم : نعم، قلت مضيعة... بالنسبة لكلينا.

بـوركمـــان : (فى نغمة باردة) لا أظن حتـى الآن أن حيـاتى مضيعة.

ألـلا رانثيـــم : وماذا عن حياتى أنا؟

بـوركمـــان : لا تلومى فى ذلك إلا نفسك يا ألـلا.

ألـلا رانثيـــم : (تجفل) وتستطيع أن تقول ذلك؟

بـوركمـــان : كان فى استطاعتك أن تعيشى فى سعادة بدونـى.

ألـلا رانثيـــم : أتعتقد ذلك؟

بـوركمـــان : إذا كنت قد قررت ذلك.

ألـلا رانثيـــم : (بمرارة) أوه، نعم، فإنى أعلم تمامًا أن شخصًا ما غيرك كان على أتم استعداد ليتزوجنى.

بـوركمـــان : ولكنكِ رفضتِه؟!

ألـلا رانثيـــم : نعم، فعلت ذلك...

بـوركمـــان : لقد رفضته مرة بعد مرة، وسنة بعد أخرى...

ألـلا رانثيـــم : (باحتقار) أظنك تحسبنى رفضت الـسعادة سـنة بعد سنة؟

بـوركمـــان : كان من الممكن أن تكونى سعيدة تمامًا معه، ثـم كان من الممكن إذ ذاك أن تنقذينى.

ألــلا رانتيـــم : أنت؟

بــوركمـــان : نعم، كان من الممكن أن تنقذينى يا ألــلا.

ألــلا رانتيـــم : كيف؟

بــوركمـــان : لقد ظن أنى السبب الحقيقى فى عنادك... ورفضك الدائم، فصمم على الانتقام منى، وكان ذلك سهلاً جدا بالنسبة إليه، إذ كان يحتفظ بخطاباتى السرية الصريحة، فاستغلها، وبذلك قضى علىَّ... فى ذلك الوقت إن أردت الدقة، وهكذا ترين أنك السبب فيما حدث يا ألــلا!

ألــلا رانتيـــم : أوه، حقًّا يا بوركمان، إذا دققنا النظر فى المسألة لوجدنا أنى مدينة لك بتعويض عما حدث...

بــوركمـــان : هذا يتوقف على طريقة نظرك إلى المسألة، فأنا أعلم تمامًا كل ما فعلتِه من أجلنا، فقد اشتريتِ فى المزاد هذا المنزل وكل الممتلكات، ووضعتِ المنزل بكل ما فيه تحت تصرفى... وتصرف شقيقتك، كما أنك عنيت بإرهارت وتحملت نفقته من جميع الوجوه...

ألــلا رانتيـــم : لقد عنيتُ به طوال ما سُمح لى...

بـــوركمــــــان : تعنين سماح شقيقتك... إننى لم أتدخل أبدًا فـــى هذه الأمور المنزلية، أعود فأقول إننى أعـــرف كل التضحيات التى قدمتها لى ولشقيقتك، ولكنك كنت فى مركز يسمح لك بذلك يا أللا ويجب ألاَّ تنسىْ أننى أنا الذى وضعتك فى هذا المركز.

أللا رانثيـــــم : (فى غضب) إنك ترتكب خطأ كبيرًا فى ذلك يـــا بوركمان! إن الحب الذى كان يملأ شغاف قلبـــى لإرهارت... ولك أيضًا... هو الذى جعلنى أفعل ما فعلت...!

بـــوركمــــــان : (مقاطعًا) يا عزيزتى ألّلا دعينـــا مـــن حـــديث العواطف وما أشبه، إن ما أعنيه بالطبع هـــو أن السخاء الذى تصرفت به ليس إلا نتيجـــة للقـــوة التى وضعتُها فى يديك...

أللا رانثيـــــم : (تبتسم) هم... القوة فى يدىَّ؟

بـــوركمــــــان : (بحرارة) نعم، قلت القوة التى فى يديك! ففى الليلة التى اتخذت فيها قرارى النهائى فى المعركة... عندما لم يكن فى استطاعتى إعفـــاء صـــديق أو قريب، عندما كان علىَّ أن أمد يدى إلى... أعنى

عندما مددت يدى إلى الملايين من أموال التأمين التى كانت أمانة لـــدى... إذ ذاك أبقيـــت علـــى أموالك فلم آخذ مليمًا واحدًا منها، مع أنه كان فى استطاعتى أن آخذها وأستغلها كما فعلت بأموال الآخرين جميعًا!

أللا رانثيـــــم : (ببرود وهدوء) هذا حق يا بوركمان.

بـــوركمـــــــان : نعم، هو كذلك، وذلك هو السبب فى أنهم عنـــدما جاءوا وأخذونى وجدوا أموالك فى خزانة البنـــك كاملة لم تُمس.

أللا رانثيـــــم : (تنظر إليه) لقد كنت أتساءل دومًا عن الأســـباب الحقيقية التى جعلتك تخفى أموالى، أموالى فقـــط دون غيرها؟

بـــوركمـــــــان : أسبابى؟

أللا رانثيـــــم : نعم أسبابك، خبِّرنى.

بـــوركمـــــــان : (بخشونة وازدراء) لعلك ظننت أننى فعلت ذلـــك لأجد ما أستند عليه عندما تسوء الحال؟

أللا رانثيـــــم : أوه، كلا، فإنى واثقة من أن ذلك لم يخطر ببالك فى ذلك الحين...

بـــوركمــــــــــان : أبدا! فقد كنت واثقا تمام الوثوق من النصر...

ألللا رانثيـــــــم : ما السبب إذن؟

بـــوركمــــــــــان : (يهز كتفه) الحق يقال يا ألللا، إنـــه لـــيس مـــن السهل أن يتذكر الإنسان دوافعه بعـــد عـــشرين عامًا، كل ما أعرفه أننى عندما بدأت وحدى فى صمت أمسك بخيوط المشروعات العظيمة التـــى كانت تطوف بذهنى كنت أحس بإحساس من يبدأ رحلة فى بالون، وكنت طوال ليالى الأرق أنفـــخ فى بالونى الجبار وأعد نفسى للتحليق بعيدًا إلـــى مناطق خطرة مجهولة.

ألللا رانثيـــــــم : (مبتسمة) أنت، يا من لم يكن لديه أدنى شك فى الانتصار؟

بـــوركمــــــــــان : (فى ضيق) هكذا خُلِقَ الرجال يا ألـــلا، يـــشكون ويؤمنون فى نفس الوقت (ينظر أمامه) وأظن أن هذا هو السبب الـــذى جعلنـــى لا آخـــذك أنـــت وأموالك معى فى البالون.

ألللا رانثيـــــــم : (بلهفة) إنى أسألك لماذا؟ خبِّرنى لماذا!؟

بـــوركمـــــــان : (دون أن ينظر إليها) إن الإنـــسان لـــيحجم عـــن المخاطرة بأعز ما عنده فى مثل هذه الرحلة.

أللا رانثيـــــم : لقد خاطرت بأعز ما عندك فى تلـــك الرحلـــة، خاطرت بكل مستقبل حياتك.

بـــوركمـــــــان : ليست الحياة دائمًا هى أعز ما عند الإنسان...

أللا رانثيـــــم : (مبهورة) أكان هذا شعورك فى ذلك الوقت؟

بـــوركمـــــــان : أظننى أذكر شيئًا كهذا.

أللا رانثيـــــم : كنتُ أعز شىء فى الدنيا عندك؟

بـــوركمـــــــان : يبدو أننى أتذكر شيئًا من هذا القبيل.

أللا رانثيـــــم : ومع ذلك مضت سنوات وسنوات منذ هجرتنـــى وتزوجت... تزوجت أخرى!

بـــوركمـــــــان : أتقولين هجرتك؟ يجب أن تعلمى تمامًا أن هناك دوافع عُليا... ثم كانت هنـــاك دوافـــع أخـــرى اضطرتنى لذلك، فبـــدون معاونتـــه مـــا كنـــت لأستطيع عمل شىء.

أللا رانثيـــــم : (تتمالك نفسها) وعلى هذا هجرتنى بـــسبب... دوافع عُليا؟

بـــوركمــــــان : ما كنت لأستطيع الوصول إلـــى شـــىء بـــدون مساعدته، وقد جعلكِ الثمن لمساعدته لى.

ألـلا رانـثيــــم : وقد دفعت الثمن، دفعته كاملاً... دون مساومة.

بـــوركمــــــان : لم يكن لى اختيار، إما النجاح وإما الفشل.

ألـلا رانـثيــــم : **(فى صوت مرتعش وهى تنظر إليه)**

أممكن أن يكون ما قلته لى صحيحًا... من أننى كنتُ أَحَبَّ شىء فى العالم إلى قلبك؟؟

ألـلا رانـثيــــم : كنت كذلك وبعد ذلك... بزمن طويل، طويل.

ألـلا رانـثيــــم : ولكنك مع ذلك قايضتَ علىَّ، عقدت صفقة مـــع رجل آخر بعتَ فيها حبك، بعتَ حبى من أجل... من أجل الرئاسة.

بـــوركمــــــان : **(بكآبة وهو يحنى رأسه)** كانـــت تـــدفعنى رغبـــة جامحة يا أللا.

ألـلا رانـثيــــم : **(تنهض من الأريكة وهى ترتجف متأثرة بعواطفها)** مجرم!

بـــوركمــــــان : **(يحملق فيها ولكنه يضبط نفسه)** ســمعت هـــذه الكلمة من قبل.

أللا رانثيم : أوه، لا تتصور أننى أفكر فى أى جريمة ارتكبتَها ضد القوانين الأرضية! أتظن أننى أهتم أقل اهتمام... باستغلالك هذه المستندات والضمانات أو أى اسم آخر أطلقته عليها؟! لو كان قد قدر لى أن أقف بجانبك عندما حلت الكارثة؟!

بوركمان : (بشوق) ماذا كان يحدث يا ألّلا؟

ألّلا رانثيم : صدقنى، كنت تحملت بسرور كل ما يحلُّ بك، العار، والخراب... وكنت ساعدتك على أن تتحملها كلها... كلها!

بوركمان : أكنت تملكين الإرادة... والقوة؟

ألّلا رانثيم : الإرادة والقوة كليهما، لأننى ما كنت أعلم إذ ذاك شيئًا عن جريمتك الكبرى الفظيعة.

بوركمان : أية جريمة؟ عمَّ تتحدثين؟

ألّلا رانثيم : أتحدث عن الجريمة التى لا غفران لها.

بوركمان : (يحملق فيها) لا بدَّ أنك مجنونة.

ألّلا رانثيم : (تقترب منه) إنك قاتل! لقد ارتكبت الخطيئة الوحيدة المميتة!

بوركمان : (يتراجع نحو البيانو) إنك تهذين يا أللا!

أللا رانثيم : لقد قتلت فىَّ حب الحياة. **(مازالت بالقرب منه)** أتدرى ما معنى ذلك؟ لقد ذكر الكتاب المقدس خطيئة غامضة لا غفران لها، ولم أكن أفهم ما المقصود بذلك، ولكنى فهمت الآن، فإن الخطيئة الكبرى التى لا غفران لها هى أن تقتل حب الحياة فى قلب إنسان.

بوركمان : وتقولين إنى فعلت ذلك؟

أللا رانثيم : لقد فعلت ذلك، ولكنى حتى هذه الليلة لم أكن أفهم بوضوح ماذا حل حقيقة بى، فإنى اعتبرت هجرك لى وتحولك عنى إلى جنهيلد، اعتبرته نوعًا من التقلب العادى من جهتك، ونتيجة لتآمر من لا قلب له من ناحيتها، بل إنى كنت أحسبنى أحتقرك قليلاً على الرغم من كل شىء، ولكن الآن وضح لى كل شىء، إنك هجرت المرأة التى تحبها! هجرتنى أنا، أنا، أنا! لقد قايضت علىَّ من كانت أعز شىء لديك فى العالم فى سبيل الربح، وهذه هى جريمة القتل المزدوجة التى ارتكبتها! قتل روحك وروحى!

بـوركمــــــان : (**متمالكا نفسه فى برود**) لقد تعرفت الآن تمامــا على عاطفتك المتحكمة فيــك يــا ألـــلا، ومــن الطبيعى، ولا ريب أن تنظرى إلى المسألة هــذه النظرة، بالطبع، أنت امرأة، وعلى هذا فإن قلبك هو الشىء الوحيد فى العالم الــذى تعرفينــه أو تهتمين به.

ألـلا رانـثيـــم : نعم، نعم، هو كذلك.

بـوركمــــــان : إن قلبك هو الشىء الوحيد الموجود فى نظرك.

ألـلا رانـثيـــم : الشىء الوحيد! الشىء الوحيد! أنت صادق فــى هذا...

بـوركمــــــان : ولكن تذكرى أننى رجل، لقد كنت كامرأة أعــز شىء فى العالم عندى، ولكن إذا لم يكن هناك بد فإن أى امرأة يمكن أن تحلَّ محل أخرى.

ألـلا رانـثيـــم : (**تنظر إليه مبتسمة**) أكانت هذه تجربتّــك التــى مررت بها عندما اتخذت جنهيلد زوجة لك؟

بـوركمــــــان : كلا، ولكن الأهداف العظيمة التى كنــت أتطلــع إليها فى حياتى، ساعدتنى علــى أن أتحمــل أى شىء حتى هذا، كنت أريد أن أتحكم فــى كــل

منابع القوة فى هذه البلاد، كل الثروة المختبئة فى الأرض والصخور والغابات والبحر... كنت أريد أن أجمعها كلها فى يدى، وإن أجعل نفسى سيدا لهذا كله، وعندئذٍ أستطيع أن أرتقى بمستوى رفاهية الآلاف العديدة.

أللا رانثيم : **(وقد سرحت مع الماضى)** أعرف ذلك، يكفى أن تذكر الليالى الطويلة التى قضيناها فى التحدث عن مشروعاتك...

بوركمان : نعم... فقد كنت أستطيع التحدث معك يا ألّلا.

أللا رانثيم : كنت أمزح معك مرة حول خططك، فسألتك أكنت تريد أن توقظ كل الأرواح النائمة فى الينبوع؟

بوركمان : **(يحنى رأسه موافقة)** أذكر هذه العبارة، **(ببطء)** كل الأرواح النائمة فى الينبوع.

أللا رانثيم : ولكنك لم تحمل الأمر على محمل المزاح، بل قلت «نعم نعم يا ألّلا، هذا بالضبط ما أريده».

بوركمان : وهذا ما كان يحدث، لو أنى فقط وضعت قدمى فى الركاب... وكان هذا يتوقف على هذا الرجل

نفسه، فقد كان فى استطاعته أن يضمن لى رئاسة البنك... إذا كنت من جانبى...

أللا رانثيم : نعم.. هكذا! إذا كنت من جانبك تقدم له فى مقابل ذلك المرأة التى تحبها والتى تحبك حبًّا ليس بعده حب.

بوركمان : كنت أعرف حبه المضنى لك، وأعلم أنه تحت أى شرط آخر لن...

أللا رانثيم : وهكذا عقدت الاتفاق!

بوركمان : **(بعنف)** نعم، فعلت ذلك يا ألّلا! فإن حب السيطرة غلاَّب فى نفسى، أفهمت؟! ولهذا عقدت الاتفاق، كنت مضطرًّا، وقد ساعدنى حتى منتصف الطريق إلى القمة المنشودة التى كنت أرغب فى الوصول إليها، ثم أخذت أصعد وأصعد، سنة بعد أخرى وأنا أصعد...

أللا رانثيم : وكنت أنا مع ذلك قد اختفيت من حياتك.

بوركمان : وبعد ذلك طوح بى فى الهاوية ثانية، وكان ذلك بسببك يا ألّلا.

أللا رانثيم : **(بعد فترة صمت وتفكير)** ألا تلاحظ يا بوركمان أن هناك نوعًا من اللعنة حلَّت بكل علاقتنا؟

بوركمان : (ينظر إليها) لعنة؟

أللا رانتيم : نعم... ألا ترى ذلك؟

بوركمان : (فى قلق) نعم.. ولكن ما السبب؟ (فى غضب) أوه، يا أللا، لقد بدأت أتساءل عمن فى جانب الحق... أنت أم أنا؟

أللا رانتيم : إنك أنت الآثم، لقد قتلت كل مسرات الحياة فى نفسى.

بوركمان : (بقلق) لا تقولى ذلك يا ألّلا!

ألّلا رانتيم : كل مسرات المرأة على أى حال، فمنذ اليوم الذى بدأت فيه صورتك تتضاءل فى ذهنى وأنا أعيش كأنما قد غشّتنى الظلمة، وخلال هذه الأعوام كلها أصبحت محبة أى مخلوق حى... تصعب علىَّ شيئًا فشيئًا... حتى أصبحت مستحيلة تمامًا. لقد انزويت عن الناس والحيوانات والنباتات، انزويت عنها جميعًا... جميعًا ماعدا واحدًا.

بوركمان : أى واحد؟

ألّلا رانتيم : إرهارت بالطبع.

بـــوركمــــــــان : إرهارت؟

ألـلا رانثيــــم : إرهارت... ابنك يا بوركمان.

بـــوركمــــــــان : أكان حقيقة قريبا إلى قلبك؟

ألـلا رانثيــــم : وهل هناك من سبب آخر يدفعنى إلى ضمه إلىَّ وإبقائه عندى أطول مدة أستطيعها؟ هل من سبب آخر؟

بـــوركمــــــــان : كنت أظن الشفقة هى الدافع، كما كانت دافعك إلى كل ما فعلته.

ألـلا رانثيــــم : **(فى انفعال نفسى قوى)** شفقة!هاها! لم أعرف الشفقة قط منذ هجرتنى، فقد كنت غير قادرة على الإحساس بها، ولو أن طفلاً فقيرًا جائعًا دخل مطبخى وهو يرتجف باكيا وطلب منى كسرة خبز لتركت أمره للخدم دون أن أشعر بأى رغبة فى ضم الطفل إلىَّ أو إبقائه بجوار مدفئتى لأحس بالسرور عندما أراه يأكل حتى يشبع، ومع ذلك لم يكن هذا حالى عندما كنت صغيرة، وإنى لأذكر ذلك بوضوح! إنه أنت الذى خلق هذه الصحراء الخالية القاحلة فى داخلى... وحولى أيضًا!

بـــوركمـــــــــان : بالطبع فيما عدا ما يختص بإرهارت.

ألــلا رانثيـــــم : نعم.. فيما عدا ما يختص بابنك، ولكننى أصبحت قاسية على كل كائن حى آخـــر، لقـــد ســلبتنى مسرات الأم وسعادتها فى الحياة كمـــا ســلبتنى كذلك أحزان الأم ودموعها، ولعل ذلك أفدح مـــا فقدته.

بـــوركمـــــــــان : أتقولين ذلك يا أللا؟

ألــلا رانثيـــــم : من يدرى؟ لعل ما كنت فى أشد الحاجة إليه هو أحزان الأم ودموعها. **(ما زال انفعالها النفـــسى قويا)** ولكنى فى ذلك الوقت لم أستطع أن أخضع قلبى لتحمل خسارتى، وكان ذلك ســبب ضـــمى إرهارت إلىَّ، وقد ربحته لنفسى كُلِّيـــة، كـــسبت قلبه الطفل الحار الواثق... حتى... أوه!

بـــوركمـــــــــان : حتى ماذا؟

ألــلا رانثيـــــم : حتى أخذته منى ثانية... أمه... أعنـــى أمـــه التـــى ولدته.

بـــوركمـــــــــان : كان سيتركك على أى حال، فقد كان مـــضطرًّا إلى الحضور إلى المدينة.

ألــلا رانثيـــم : (تعصر يديها) نعم، ولكننى لا أستطيع احتمال الوحدة... الفراغ! لا أستطيع احتمال فقدان محبة ابنك!

بـــوركمـــان : (فى عينيه تعبير شرير)

هم.. إنى لأشك فى فقدانك إياه يا ألّلا، فالقلوب لا يمكن أن تتحول بسهولة إلى شخص معين... فى الحجرة التى بالطابق الأول.

ألــلا رانثيـــم : لقد فقدت إرهارت هنا، وقد استعادته هى مرة ثانية، وإن لم تكن هى فقد كسبته أخرى، وهذا واضح وضوحًا تامًّا فى الخطابات التى يرسلها إلىَّ بين الحين والحين.

بـــوركمـــان : إذن فاسترداده هو سبب حضورك؟

ألــلا رانثيـــم : نعم، لو أن ذلك كان ممكنًا!

بـــوركمـــان : هذا ممكن لو أنك صممت عليه، لأن لك الحق الأول والأقوى عليه.

ألــلا رانثيـــم : أوه، حقوق، حقوق! وما فائدة الحقوق؟ إن لم يكن لى بمحض إرادته فهو ليس لى على الإطلاق، وإنى لفى أشد الحاجة إليه! يجب أن يكون لى قلب ابنى كاملاً غير مقسم... الآن!

بوركمان : يجب أن تتذكرى أن إرهارت قارب العشرين من عمره، وأنك لا تكادين تستطيعين المطالبة بالاحتفاظ بقلبه غير مقسم لمدة طويلة، كما عبرت أنت.

أللا رانثيم : **(بابتسامة كئيبة)** لست فى حاجة إلى ذلك لمدة طويلة.

بوركمان : حقًّا؟ إنى لأذكر أنك عندما تريدين شيئًا فإنك تريدينه إلى آخر أيام حياتك.

أللا رانثيم : هذا صحيح، ولكن حاجتى هذه لن تدوم مدة طويلة.

بوركمان : **(مأخوذًا)** ماذا تعنين بذلك؟

أللا رانثيم : أظنك تعلم أننى منذ سنوات فى حالة صحية سيئة؟

بوركمان : حقا؟

أللا رانثيم : ألا تعلم ذلك؟

بوركمان : كلا، لا أستطيع القول بأنى أعلم.

أللا رانثيم : **(تنظر إليه فى دهشة)** ألم يخبرك إرهارت بذلك؟

بوركمان : أنا فى الحقيقة لا أتذكر الآن.

ألـلا رانثيـــــم : لعله لم يذكرنى لك مطلقا.

بـــوركمـــــــان : أوه، بل إنى أعتقد أنه تحدث عنك، ولكن الحقيقة هى أننى قلما أراه، بل نادرًا مـــا أراه؛ فهنـــاك شخص فى الطابق الأول يبعـــده عنـــى، يبعـــده عنى... أتفهمين ذلك؟

ألـلا رانثيـــــم : أأنت واثق من ذلك تمامًا يا بوركمان؟

بـــوركمـــــــان : نعم، تمام الثقة. **(يغيِّر نغمة صوته)** إذن فقد كنـــت مريضة يا ألّلا؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، كنت مريضة، وقد ازدادت الحالة سوءًا هذا الخريف؛ مما اضطرنى إلـــى الحـــضور إلـــى المدينة طلبا لاستشارات طبية أفضل.

بـــوركمـــــــان : وهل عرضت نفسك على الأطباء فعلاً؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، هذا الصباح.

بـــوركمـــــــان : وماذا قالوا؟

ألـلا رانثيـــــم : أكدوا لى ما كنت أشك فيه طويلاً.

بـــوركمـــــــان : خيرًا.

ألـلا رانثيـــــم : **(فى ثبات وهدوء)** لن أُشفى من مرضى أبدًا يـــا بوركمان.

بــوركمــــــــان : أوه، يجب ألا تصدقى ذلك يا أللا.

أللا رانثيـــــم : إنه مرض لا علاج له ولا شـــفاء منـــه، ولـــن يستطيع الأطباء عمل شيء للمصاب بـــه، بـــل يتركونه ليصل إلى غايته، فهـــم لا يـــستطيعون وقفه، وغاية ما يستطيعونه أن يخففـــوا آلامـــه، وهذا على أى حال عمل لا بأس به.

بــوركمــــــــان : أوه، ولكنه سيحتاج إلى وقت طويل ليصل إلـــى غايته، أنا واثق من ذلك.

أللا رانثيـــــم : ربما عشت إلى آخر الشتاء، هذا ما قالوه.

بــوركمــــــــان : (بدون تفكير) أوه، لا بأس، فالشتاء طويل.

أللا رانثيـــــم : (بهدوء) طوله كاف بالنسبة لى على أى حال.

بــوركمــــــــان : (فى حرارة محاولا تغير الموضوع) ولكن ماذا جلب عليك هذا المرض؟ أنت يا من كنـــت تعيـــشين دائمًا حياة صحية منظمة، ماذا يمكن أن يجلـــب إليك المرض؟

أللا رانثيـــــم : (تنظر إليه) يظن الأطباء أننى ربما مررت فـــى فترة من حياتى تحت ضغط عاطفى شديد.

بـــوركمـــــــــان : (فى غضب) عاطفى!؟ أها، فهمت! تعنين أننـــى السبب؟

ألّلا رانثيــــــم : (فى انفعال نفسى يتزايد)

لقد فات الوقت للحديث عن ذلـــك الآن! ولكـــن يجب أن أسترد محبة طفلى قبل أن أذهب! فـــإن مما يثير حزنى الشديد أن أفكر فى أننى سأخرج من هذه التى يسمونها حياة... بعيدًا عن الشمس والنور والهواء... دون أن أترك ورائى إنـــساناً واحدا يذكرنى، يذكرنى فى محبة وحزن، كمـــا يذكر الابن أمه التى فقدها.

بـــوركمـــــــــان : (بعد فترة صمت قـــصيرة) خذيـــه يـــا ألـــلا إن استطعت كسبه.

ألّلا رانثيــــــم : (فى انتعاش) أتوافق على ذلك؟ أتستطيع؟

بـــوركمـــــــــان : (فى كآبة) نعم، وليس فى ذلك أية تـــضحية مـــن جانبى، فهو لم يكن لى على أى وجه.

ألّلا رانثيــــــم : شكرًا لك، شـــكرًا لـــك علـــى أى حـــال علـــى تضحيتك! ولكن هناك أمرًا آخر أرجوه منـــك... إنه أمر عظيم لى يا بوركمان.

بـــوركمــــــان : حسن، وما هو؟

ألــلا رانثيـــم : ربما تظن فى الأمر طفولة من ناحيتى، فلن تفهم.

بـــوركمــــــان : هيا، أخبرينى ما الأمر؟

ألــلا رانثيـــم : عندما أموت، وسيكون ذلك وشيكًا، سأترك مبلغا كبيرًا من المال.

بـــوركمــــــان : نعم، أظن ذلك.

ألــلا رانثيـــم : وقد عزمت على أن أترك كل ما لى لإرهارت.

بـــوركمــــــان : لا بأس، فليس لك فى الحقيقة من هو أقرب منه.

ألــلا رانثيـــم : **(بحرارة)** نعم، حقا ليس لى من هو أقرب منه.

بـــوركمــــــان : لا أحد من أسرتك، فأنت الأخيرة.

ألــلا رانثيـــم : **(تحنى رأسها موافقة فى بطء)** نعـم، وهـذا هـو الأمر، عندما أموت سيموت معى اسم رانثـيم، وهذه الفكرة تعذبنى كثيرًا، إذ يمحى الإنسان من الوجود، ولا يبقى حتى ولا اسمه...

بـــوركمــــــان : **(فى غضب)** آه، لقد بدأت أفهم ما ترمين إليه!

ألــلا رانثيـــم : **(فى شغف)** دع إرهارت يحمل اسمى بعدى!

بـــوركمــــــان : **(ينظر إليها فى غلظة)** إنى أفهمك تمامًا، إنك تريدين إنقاذ ابنى من حمل اسم أبيه، وهذا ما تعنيه.

ألـلا رانثيـــم : لا، لا، ليس هذا ما أعنيه! فإنى أنا نفسى كنت أرجو أن أحمل اسمك معك فى فخر وسرور! ولكن الأم التى وصلت إلى حافة الموت، إن لها فى الاسم رباطًا قويًا أقوى مما تتصور أو تعتقد يا بوركمان.

بوركمـــان : **(فى برود وفخر)** حسن، حسن يا ألـلا، إنى رجل فى إمكانى حمل اسمى وحدى.

ألـلا رانثيـــم : **(تقبض على يده وتضغطها)** شكرًا لك، شكرًا لك! الآن تمت بيننا تسوية كاملة! نعم، نعم، فليكن الأمر على هذا الوجه! فقد قدمت كل ما تستطيعه من كفارة، لأنى عندما أترك هذه الدنيا سأترك ورائى إرهارت رانثيم!

(يدفع الباب المغطى بالستارة فيفتح وتُرى السيدة بوركمان واقفة بالباب، وقد غطت رأسها بشال كبير)

السيدة بوركمان : **(فى اضطراب شديد)** أبدًا لن يحمل إرهارت هذا الاسم فى حياته.

ألـلا رانثيـــم : (تتراجع) جنهيلد!

بـورکمـــان : (فى صوت خشن فيه تهديد) أنا لا أسمح لأحد أيًّا كان بالصعود إلى حجرتى!

السيدة بوركمان : (تتقدم خطوة) أنا لا أسألك السماح لى.

بـورکمـــان : (يتجه ناحيتها) ماذا تريدين منى!؟

السيدة بوركمان : سأحارب بكل قوتى دفاعا عنك، سأحميك من قوى الشر.

أللا رانثيـم : إن أسوأ «قوى الشر» فى داخل نفسك يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (بخشونة) فليكن. (فى وعيد وقد مدت نحوها ذراعها) ولكنى استمعى إلى قولى هذا، إنه سيحمل اسم أبيه! وسيحمله عاليًا فى شرف مرة أخرى، وسأكون أمه! أنا وحدى! وستكون محبة ابنى لى، لى وليس لأحد آخر.

(تخرج من الباب المغطى بالستارة وتغلقه وراءها)

أللا رانثيـم : (مضطربة محطمة) بوركمان، ستتحطم حياة إرهارت فى هذه العاصفة، يجب أن تتفاهم أنت وجنهيلد، يجب أن تنزل إليها فى الحال.

بـورکمـــان : (ينظر إليها) ننزل؟ أتعنين أن أنزل أنا أيضًا؟

ألـلا رانثيــــم : أنا وأنت.

بـــوركمـــــان : (يهز رأسه) صدقينى إن فيها صـــلابة، صـــلابة كذلك المعدن الذى حلمتُ يومًا بأن أستخرجه من الصخور.

ألـلا رانثيــــم : جرب الآن إذن.

(بوركمان لا يجيب، ولكنه يقــف نـــاظرًا إليها فى شك)

«ســـــتار»



الفصل الثالث



المنظر:

(غرفة استقبال السيدة بوركمان، ما زال المصباح مضاء على المنضدة القريبة من الأريكة، ولكن الشرفة الخلفية مظلمة تمامًا، تدخل السيدة بوركمان من باب الصالة، ومازال الشال فوق رأسها وهى فى اضطراب شديد، فتذهب إلى النافذة فتزيح الستارة قليلا وتنظر إلى الخارج ثم تذهب لتجلس بجوار الموقد، ثم تنهض فى الحال وتذهب إلى حبل الجرس فتجذبه ثم تقف بجوار الأريكة دقيقة فلما لم يحضر أحد تدق الجرس ثانية بقوة.

تدخل الخادم فى الحال باب الصالة، يبدو عليها أثر النوم والغضب وقد لبست ملابسها بسرعة)

السيدة بوركمان : (بفروغ صبر) ماذا حدث لك يا ميلينا؟ لقد دققت الجرس مرتين.

الخادم : نعم يا سيدتى، لقد سمعتك.

السيدة بوركمان : ومع ذلك لم تحضرى؟

الخـــــادم : **(فى عبوس)** أظن أنه كان من الواجب علـــىَّ أن ألبس بعض ملابسى أولاً.

السيدة بوركمان : نعم، يجب أن تلبسى ملابسك كلها ثـــم تـــذهبى بسرعة للبحث عن ابنى.

الخـــــادم : **(تنظر إليها فى دهشة)** أتريدين منى أن أبحث عن السيد إرهارت؟

السيدة بوركمان : نعم، أخبريه أن يحضر إلى المنزل على الفــور، فإنى أريد أن أتحدث إليه.

الخـــــادم : **(فى تذمر)** إذن يحسن بى أن أذهب إلـــى جنـــاح السيد لأنادى سائق العربة.

السيدة بوركمان : لماذا؟

الخـــــادم : لأطلب منه إعداد الزحافة، فالثلج المتساقط الليلة كثير جدا.

السيدة بوركمان : أوه، لا أهمية لذلك، كل ما أطلبـــه أن تـــسرعى بالذهاب فهو قريب منّا.

الخـــــادم : كيف يا سيدتى، لا يمكن أن يكون قريبا منّا.

السيدة بوركمان : بالطبع هو قريب، ألا تعرفين فيللا مستر هنكل؟

الخـــــــــادم : (بخبث) أوه، حقاً؟ هل مـــستر إرهـــارت هنـــاك الليلة؟

السيدة بوركمان : (فى ذهول) كيف؟ أين تفترضين وجوده إذن؟

الخـــــــــادم : (بابتسامة صغيرة) حسن، ظننته حيث يوجد عادة.

السيدة بوركمان : أى مكان تعنين؟

الخـــــــــادم : منزل تلك التى يدعونها السيدة ويلتن.

السيدة بوركمان : منزل السيدة ويلتن؟ إن ابنـــى لا يـــذهب هنـــاك كثيرًا.

الخـــــــــادم : (فى صوت أشبه بالتمتمة) لقد سمعتهم يقولون إنه يذهب إلى منزلها كل يوم.

السيدة بوركمان : هذا كله كلام فارغ يا ميلينا، اذهبـــى تـــوًا إلـــى منزل السيدة هنكل وحاولى الإتيان به.

الخـــــــــادم : (وهى تلقى برأسها إلى الخلف) أوه، حسن جـدًا، ها أنا ذاهبة

(عندما همّ بالخروج من باب الصالة يفتح الباب وتظهر على عتبته ألـــلا رانثـــيم ومـــستر بوركمان).

السيدة بوركمان : (تتراجع خطوة وهى تترنح) ما معنى هذا؟

الخـــــــادم : (فى فزع تطوى يديها بدون شعور) احمنا يا رب!

السيدة بوركمان : (همس للخادم) أخبريه أن يحضر فى الحال.

الخـــــــادم : (فى همس) نعم يا سيدتى.

(تدخل أللا رانثيم الحجرة يتبعها الـسيد بوركمان، بينما تمشى الخادم بجنبها من خلفهما، ثم تخرج وتغلق الباب خلفهـا. فتـرة صـمت قصيرة).

السيدة بوركمان : (تتمالك نفسها فتلتفت إلى أللا) ماذا يريد هنـا فى حجرتى؟

أللا رانثيــم : إنه يريد أن يتفاهم معك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : لم يحاول ذلك من قبل قط.

أللا رانثيــم : إنه يحاول الليلة.

السيدة بوركمان : إن آخر مرة واجهنا فيها أحدنا الآخر... كانـت فى قاعة المحكمة عندما دعونى لأقدم تقريرًا.

بــوركمـــان : (يقترب) إنه أنا الذى سيقدم تقريرًا عن نفسه فى هذه الليلة.

السيدة بوركمان : (تحملق فيه) أنت؟

بــوركمـــان : ليس عما ارتكبته من خطأ، فالعالم كله يعـرف ذلك.

السيدة بوركمان : (تتنهد فى مرارة) نعم، هذا صحيح، العالم كله يعرف ذلك.

بوركمان : ولكن لا أحد يعرف لماذا فعلت ذلك، لماذا اضطررت إلى فعله، فالناس لا يفهمون أننى كنت مضطرًا، لأننى أنا نفسى، لأننى جون جابرييل بوركمان، أنا نفسى وليس أحدًا آخر، وهذا ما سأحاول أن أشرحه لك.

السيدة بوركمان : (تهزُّ رأسها) لا فائدة، فالإغراء والتحريض لا يبرئان أحدًا.

بوركمان : قد يُبرئ الإنسانَ أمام نفسه!

السيدة بوركمان : (فى إشارة اشمئزاز) أوه، دعنا من ذلك! فقد فكرت فى هذا العمل الأسود الذى أقدمتَّ عليه بما فيه الكفاية وأكثر.

بوركمان : وأنا أيضًا. كان لدى الوقت الكافى للتفكير فى ذلك فى زنزانتى – وفى غيرها من الأماكن – خلال هذه السنوات الخمس التى لم يكن يبدو لها نهاية، كما كان لا يزال لدى الوقت الفسيح خلال هذه الأعوام الثمانية التى قضيتها فى الصالة

الكبرى. لقد أعدت مناقشة الموضوع كله، لنفسى، أعدت ذلك مرة بعد مرة، وكنت أقوم بدور موجّه الاتهام والمحامى والقاضى، وقد كنت أكبر إنصافًا من أى إنسان آخر... وهذا ما أجرؤ على قوله، لقد كنت أقطع القاعة جيئةً وذهابًا وأنا أقلِّب كل ما أقدمت عليه من عمل على جميع وجوهه. بحثت الموضوع من جميع جوانبه دون أى شفقة أو رحمة كأىِّ محام للخصوم، وكان الحكم النهائى الذى كنت أصل إليه دائمًا هو أن الشخص الذى أثمت فى حقه هو... أنا نفسى.

السيدة بوركمان : وماذا عنى؟ وماذا عن ابنك؟

بوركمان : أنتِ وهو ضمن ما أعنيه بقولى أنا نفسى.

السيدة بوركمان : وماذا إذن عن المئات من الآخرين، من الناس الذين قيل إنك حطمتهم؟

بوركمان : **(أكثر عنفًا)** كنت أملك القوة فى يدى! وكنت أحس بدعوة فى داخل نفسى لا يمكن مقاومتها! إن الملايين المحبوسة فى كل مكان من القطر،

عميق فى باطن الأرض. كانت تنادينى بـــأعلى صوتها! تصيح بى أن أحررهـــا! ولكـــن أحـــدًا غيرى لم يسمع صوتها، أنا وحدى الذى أعطاها سمعه.

السيدة بوركمان : نعم، ليوصم اسم بوركمان بالعار.

بـــوركمـــــــان : لو كان لدى الآخرين ما لـــدىَّ مـــن القـــوة، ألا تظنين أنهم كانوا يتصرفون كما فعلت؟

السيدة بوركمان : لا أحد، لا أحد غيرك كان يفعل ما فعلت.

بـــوركمـــــــان : ربما، ولكن ذلك لأنهم لا يملكون ما أملك مـــن ذكاء، ولو أنهم فعلوا ذلك ما كانوا يصلون إلـــى مقصدى، كان عملهم يختلف تمامًا عن عملـــى، بالاختصار لقد برَّأت نفسى.

ألـــلا رانتيـــم : **(بهدوء وإعجاب)** أوه، أتستطيع قول ذلك بهـــذه الثقة يا بوركمان؟

بـــوركمـــــــان : **(يحنى رأسه موافقًا)** برأت نفسى لهـــذا الـــسبب، ولكن يبقى بعد ذلك الاتهـــام الـــضخِّم المحطـــم للنفس.

السيدة بوركمان : وما هو؟

السيدة بوركمان : لقد اختفيت هناك فى الطابق الأعلى، وأضعت على نفسى ثمان سنوات ثمينة من عمرى! كان يجب علىَّ منذ اليوم الأول من الإفراج عنى أن أنطلق فى العالم، أن أخرج إلى عالم الحقيقة الصلب الخالى من الأحلام! كان يجب أن أبدأ من أسفل السلم ثم أدفع نفسى إلى العُلا مرة أخرى، أعلى مما كنت قبلاً، على الرغم مما حدث قبل ذلك.

السيدة بوركمان : أوه، كنت ستسير فى نفس الطريق الذى سرت فيه من قبل، صدقنى فى قولى هذا.

بوركمان : **(يهزُّ رأسه وينظر إليها فى استعلاء)** حقيقة إنه ليس من جديد فيما يحدث، ولكن ما يحدث لا يتكرر أيضًا، إن العين هى التى تبدل شكل العمل، فالعين الجديدة تبدل من شكل العمل القديم **(يُنهى كلامه)** ولكنك لا تفهمين كلامى هذا.

السيدة بوركمان : **(بجفاء)** نعم، لا أفهمه.

بوركمان : آه، وهذه هى اللعنة التى حلَّت بى؛ لم أجد شخصًا واحدًا قط يفهمنى.

ألـــلا رانثيــــم : **(تنظر إليه)** ولا واحدا يا بوركمان؟

بــوركمـــــان : ماعدا واحدًا، ربما، وكان ذلك منذ زمن بعيـد، بعيد، فى تلك الأيام التى لم أكن أظن فيها أنـــى فى حاجة إلى من يفهمنى، ولكن منذ ذلك الوقت على أى حال لم أجد من يفهمنى! لم يكن من أحد يفهم رغبــاتى ويكـــون مستعدًا لإيقاظى، لـــدق جرس الصباح لى، ليصيح بى أن أعاود عملـــى الباسل، وليلح علىَّ بأنى أفعل ما لا يمكن الصفح عنه.

السيدة بوركمان : **(فى ضحكة ساخرة)** أنت إذن مع كل ذلـــك فـــى حاجة إلى دافع خارجى؟

بــوركمـــــان : **(فى غضب يتزايد)** نعم، عندما أجمعَ العالم كلـــه على أننى وقعت ولن أنهض ثانية، كانت تمر بى لحظات أصدق أنا نفسى ذلك. **(يرفع رأسه)** ولكن كانت ثقتى الكامنـــة فـــى نفـــسى تعلـــو إذ ذاك منتصرة، وكان فى ذلك تبرئة لى.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى جفاء)** لماذا لم تحضر إلىَّ ولا مرة واحدة لتسألنى عمَّا تسميه تفاهمًا؟

بـــوركمــــــان : وما فائدة حضورى إليك؟

السيدة بوركمان : (فى إشارة اشمئزاز) إنك لم تحب أحدًا غير نفسك، وهذا سر الأمر كله.

بـــوركمــــــان : (فى فخر) لقد أحببت القوة.

السيدة بوركمان : نعم؟ القوة؟

بـــوركمــــــان : القوة لأخلق حولى سعادة الناس فى أوسع مدى!

السيدة بوركمان : لقد كانت لديك القوة وقتًا ما لتسعدنى، فهل حققت ذلك؟

بـــوركمــــــان : (دون أن ينظر إليها) لا بد عـــادة مـــن شـــخص يغرق مع حطام السفينة.

السيدة بوركمان : وابنك أنت؟ هل استخدمت قوتك، وهـــل عـــشت وعملت، لكى تحقق له السعادة؟

بـــوركمــــــان : أنا لا أعرفه.

السيدة بوركمان : نعم، هذا صحيح، إنك لا تعرفه مجرد معرفة.

بـــوركمــــــان : (بجفاء) إنك، وأنتِ أمه، جعلتِ همَّك ذلك!

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى تكبر) أوه، إنك لا تعرف ما وجهت اهتمامى إليه!

بـــوركمــــــان : أنتِ؟

السيدة بوركمان : نعم، أنا، أنا وحدى.

بـوركمـــان : خبِّرينى إذن.

السيدة بوركمان : لقد وجهت اهتمامى إلى ذكراك.

بـوركمـــان : (بضحكة قصيرة جافة) ذكراى؟ أوه، حقـا! فى الكلمة رنين يوحى بأنى كأنما متُّ.

السيدة بوركمان : وإنك لكذلك.

بـوركمـــان : (فى بطء) نعم، ربما كان هذا صحيحًا.

(فى غضب) ولكن لا ، لا ، لم أمت بعد! لقد كنت على حافة الموت، ولكننى الآن صحوت، وعدت إلى نفسى، إن حياة كاملة تنتظرنى، أستطيع أن أراها فى انتظارى متأنقة حيَّة، وأنتِ... أنتِ أيضًا سوف ترينها.

السيدة بوركمان : (ترفع يدها) لا تفكر فى الحياة ثانية! ارقد هادئا حيث أنت.

ألــلا رانثيـــم : (مصدومة) جنهيلد! جنهيلد! كيف تجرئين!

السيدة بوركمان : (لا تسمع إلى قولها) سأقيم نصبًا على قبرك.

بـوركمـــان : نصب العار، أظن هذا ما تعنينه.

السيدة بوركمان : **(فى ثورة تتزايد)** أوه، كلا، فلن يكون نصبا من معدن أو حجر، ولن يحاول أحد أن يصوغ أسطورة ساخرة حول هذا النصب الذى سأقيمه، سيكون حول قبرك، كما كان دائمًا، سياج من الأشجار والشجيرات الملتفة سريعة النمو التى تتقارب وتتقارب، حتى لا تقع أعين الرجال ولا أفكارهم بعد ذلك على جون جابرييل بوركمان.

بوركمان : **(فى صوت أجش حاد)** وماذا عن عملية الحب التى ستقومين بها؟

السيدة بوركمان : لن أقوى على ذلك بقوتى المفردة، فهذا ما لا يمكن التفكير فيه، ولكنى ربيت شخصًا ليساعدنى، وستكون حياته وقفًا على هذا العمل، ستكون حياة نقية عالية برَّاقة، حتى إن سقطتك السوداء هذه ستصبح كأن لم تكن!

بوركمان : **(فى غموض وتهديد)** إن كنت تعنين إرهارت فقولى ذلك على الفور!

السيدة بوركمان : **(تنظر فى عينيه)** نعم، إنه إرهارت، ابنى، ذلك الذى تريد أن تبرأ منه تكفيرًا عن أفعالك.

بـــوركمـــــــان : (وهو ينظر إلى ألللا) للتكفير عن أسود خطاياى.

السيدة بوركمان : (ناقضة الفكرة) إنها ليست إلا خطيئة نحو شخص غريب، تذكر خطيئتك نحوى! (تنظر إليهما فى انتصار) ولكنه لن يطيعك! عندما أناديه إذ أحتاج إليه فسيخف عنِّى! إنه سيبقى معى أنا! معى أنا وليس مع أى إنسان آخر.

(تتسمع فجأة ثم تصيح) إنى أسمعه! إنه هنا، إنه هنا! إرهارت!

(يفتح إرهارت بوركمان باب الصالة بسرعة ويدخل إلى الحجرة وقد لبس معطفه وقبعته)

إرهـــــــــارت : (فى شحوب واضطراب) أمى! بحق السماء ماذا...

(يفاجأ برؤية بوركمان عند الباب المؤدى إلى الشرفة فيخلع قبعته ثم يسأل بعد فترة صمت)

ماذا تريدين منِّى يا أمى؟ ماذا حدث؟

السيدة بوركمان : (تمد يديها نحوه) أريد أن أراك يا إرهارت! أريدك أن تبقى معى دائمًا!

إرهـــــــارت : (فى لعثمة) تريدينى؟ دائمًا؟ ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : ستبقى معى، هذا ما أقوله! فإن هناك من يريـد أن يأخذك منى!

إرهـــــــارت : (يتراجع خطوة) آه، أنتِ إذن تعرفين؟

السيدة بوركمان : نعم، أتعرف ذلك أنت أيضًا؟

إرهـــــــارت : (ينظر إليها فى دهشة) أأعرف أنا ذلـك؟ نعـم، بالطبع.

السيدة بوركمان : آها، إذن فقد اتفقتم كلكم على ذلك! دون علمـى؟ إرهارت! إرهارت!

إرهـــــــارت : (بسرعة) أمى، أخبرينى بما تعرفين!

السيدة بوركمان : أنا أعرف كل شىء، أعرف أن خالتـك جـاءت لتأخذك منِّى.

إرهـــــــارت : خالتى أللا!؟

ألـــلا رانثيـــم : أوه، استمع إلىَّ قليلاً يا إرهارت!

السيدة بوركمان : (مستمرة) إنها تريد منِّى أن أتنازل عنـك لهـا، فهى تريد أن تقوم مقام أمك يا إرهارت! تريد أن تكون ابنها لا ابنى منذ اليوم، تريد أن تورثك كل ما تملك وأن تتنازل عن اسمك وتحمـل اسـمها

بدلاً منه!

إرهـــــــــارت : أهذا صحيح يا خالتى أللا؟

ألـــلا رانثيـــــم : نعم، صحيح.

إرهـــــــــارت : لم أكن أعلم شيئًا عن ذلـــك. لمـــاذا تريـــدين أن أعيش معك ثانية؟

ألـــلا رانثيـــــم : لأنى أشعر أنى أفقدك وأنت هنا.

السيدة بوركمان : **(بغبطة)** إنك تفقدينه لأنى أكسبه... نعـــم، وهـــذا بالضبط ما يجب حدوثه.

ألـــلا رانثيـــــم : **(تنظر إليه فى توسُّل)** لـــن أســـتطيع فقـــدك يـــا إرهارت، لأنى، وهذا ما يجب أن أخبـــرك بـــه، امرأة وحيدة، على وشك الموت.

إرهـــــــــارت : على وشك الموت؟

ألـــلا رانثيـــــم : نعم، على وشك الموت، فهل تأتى لتبقـــى معـــى إلى النهاية؟ تقدم نفسك كلِّيةً لى؟ تكون لى كأنك ابنى الحقيقى؟

السيدة بوركمان : **(مقاطعة)** وتهجر أمك؟ وربما تهجر رسالتك فى الحياة كذلك؟ هل تفعل ذلك يا إرهارت؟

ألـــلا رانثيـــــم : إنى مُشرِفة على الموت، فأجبنى يا إرهارت.

إرهارت : (فى حرارة وعاطفية) لقد كنت طيِّبة نحوى يا خالتى أللا طيبة بالغة، فقد عشت معك فى سعادة تامة لم يحس بها طفل من قبل.

السيدة بوركمان : إرهارت، إرهارت!؟

ألـلا رانثيم : أوه، ما أسعدنى إذ ما زلت تستطيع قول ذلك!

إرهارت : ولكنى لا أستطيع أن أضحى بنفسى الآن من أجلك، فليس من الممكن أن أخصص نفسى كلِّيةً لأخذ مكان الابن منك.

السيدة بوركمان : (فى انتصار) آه، كنت أعلم ذلك! لن تأخذيه! لن تأخذيه يا أللا!

ألـلا رانثيم : (فى حزن) فهمت، لقد استرددته منى.

السيدة بوركمان : نعم، نعم! إنه لى، سيظل لى! قل إن الأمر كذلك يا عزيزى إرهارت، فإن أمامنا نحن الاثنين طريقًا طويلة سنقطعها معًا أليس كذلك؟

إرهارت : (مقاومًا نفسه) أمى، يجب أن أخبرك كذلك بوضوح...

السيدة بوركمان : (فى لهفة) ماذا؟

إرهـــــــــــارت : أخشى أن يكون ما سنقطعه من الطريــق ســـويًا قصيرًا.

السيدة بوركمان : **(كأنها أصيبت بصاعقة)** ماذا تعنى بذلك؟

إرهـــــــــــارت : **(محاولا جمع شتات نفسه)** يا للسماء، يا أمـــى، لا تنسى أنى شاب! إنى أحس كأنى ســأختنق فـــى النهاية من هواء هذه الغرفة المطبق.

السيدة بوركمان : الهواء المطبق؟ هنا؟ معى؟

إرهـــــــــــارت : نعم، هنا معك يا أمى.

ألـــلا رانثيـــــم : إذن تعال معى يا إرهارت.

إرهـــــــــــارت : أوه، يا خالتى ألّلا، إن الحال معـــك لا يَفــضُل الحالة هنا مثقال ذرة، إنها متغيرة ولكن ليـــست أفضل، ليست بالنسبة لى، فهنـــاك أيــضًا أشـــم رائحة أوراق الورد والخزامى، ولكن الجو خانق هنا وهناك على السواء.

السيدة بوركمان : **(مصدومة، ولكنها تتمالك نفسها بعد مجهود)** جو خانق فى حجرة أمك؟ أهذا ما تقوله؟!

إرهـــــــــــارت : **(فى ضيق يتزايد)** نعم، لم أجد تعبيرًا آخر، فكـــل هذه العناية المريضة والـــ... المحبة التى تبلـــغ

حد العبادة الوثنية، أو ما شئتم أن تطلقوا عليها من أسماء... لم أعد أستطيع تحمُّل أى شىء منها!

السيدة بوركمان : **(فى جلال عظيم)** أنسيت يا إرهارت ما كرَّست حياتك له؟

إرهارت : **(فى ثورة)** أوه، بل قولى ما كرَّستِ أنتِ حياتى له، فأنتِ، أنتِ كنتِ إرادتى، إذ لم تسمحى بأن تكون لى إرادة خاصة، ولكنى الآن لا أستطيع أن أتحمل هذا الشر أكثر من ذلك، إنى شاب، تذكرى هذا يا أمى. **(وهو ينظر إلى بوركمان نظرة احترام وأدب)** ولن أستطيع أن أكرس حياتى للتكفير عن خطيئة شخص آخر، مهما كان هذا الشخص.

السيدة بوركمان : **(يتملكها قلق يتزايد)** من الذى غيَّرك يا إرهارت؟

إرهارت : من؟ ألا تستطيعين إدراك أنه أنا نفسى؟

السيدة بوركمان : كلا، كلا، كلا! لقد وقعت تحت تأثير قوة غريبة، لم تعد خاضعًا لأمك، ولا لـ... لأمك بالتربية أيضًا.

إرهـــــــارت : (فى حماسة مشتعلة) إنى خاضع لنفسى يا أمـــى! تابع لإرادتى!

بـــوركمــــــان : (يتقدم من إرهارت) إذن، لعل الوقت قد حان لى أخيرًا.

إرهـــــــارت : (فى صوت جاف وأدب متكلف) كيـــف؟ مـــاذا تعنى يا سيدى؟

السيدة بوركمان : (باستخفاف) نعم، لك أن تسأل هذا السؤال.

بـــوركمــــــان : (يتقدم دون أن يتأثر بالمقاطعة) اسمع يا إرهارت، ألا تربط مستقبل حياتك بوالدك؟ فإن من يـــسقط لا يمكن أن تقال عثرته بواســـطة أى شـــخص آخر. إن كل ما سمعته هنا فى هـــذه الحجـــرة ذات الجـــو الخانق ليـــس إلا خرافات لا معنـــى لها، فلو أنك أردت أن تحيا حياتك كمـــا يفعـــل جميع القديسين مجتمعين، فلن يكون فى ذلك أى نفع لى.

إرهـــــــارت : (فى احترام متزن) هذا صحيح تمامًا.

بـــوركمــــــان : نعم، إنه صحيح، كما إنه لا فائدة كذلك من أن أسلم نفسى إلى ندم حقير حتى أذوى، لقـــد حاولـــت أن

أغذو نفسى بالآمال والأحلام طوال هذه السنين، ولكنى لست الرجل الذى يقنع بذلك، أما الآن فقد نويت أن أقطع كل ما بينى وبين الأحلام.

إرهـارت : (بانحناءة صغيرة) وماذا... وماذا ستفعل يا سيدى؟

بـوركمـان : سأعمل على خلاص نفسى، هذا ما سأفعله، سأبدأ من أول السلم ثانية، فإن الإنسان يستطيع أن يكفِّر عن ماضيه خلال حاضره ومستقبله فقط، فخلال العمل، العمل الذى لا يمل، خلال ذلك كله كان للحياة معناها فى شبابى... وإن ذلك ليبدو الآن أعظم ألف مرة مما كان فى الماضى. إرهارت، أتشترك معى وتساعدنى فى هذه الحياة الجديدة؟

السيدة بوركمان : (ترفع يدها محذرة) لا تقبل يا إرهارت!

ألـلا رانتيـم : (بحرارة) نعم، نعم، اقبل ذلك! أوه، ساعده يا إرهارت.

السيدة بوركمان : أتنصحينه بأن يقبل ذلك، أنت المرأة الوحيدة التى على وشك الموت؟

ألـلا رانتيـم : أنا لا أهتم بنفسى.

السيدة بوركمان : نعم، ما دام الذى سيأخذه منك غيرى.

ألـــلا رانثيـــم : بالضبط يا جنهيلد.

بـــوركمـــان : أتقبل يا إرهارت؟

إرهـــارت : **(يمزقه الألم)** لا أستطيع الآن يا أبى، فهذا مستحيل استحالة تامة.

بـــوركمـــان : ماذا تريد أن تفعل إذن؟

إرهـــارت : **(فى حدة مفاجئة)** إنى شاب صغير! أريد أن أعيش مرة بأى شكل كما يعيش غيرى من الناس! أريد أن أحيا حياتى!

ألـــلا رانثيـــم : ألا تستطيع أن تتنازل عن شهرين أو ثلاثة تمر سريعًا فى سبيل إشراق حياة مسكينة على وشك الانتهاء؟

إرهـــارت : لا أستطيع يا خالتى، ولو أنى كنت أتمنى لو أنى أستطيع.

ألـــلا رانثيـــم : حتى ولو كان من أجل من تحبك أكبر الحب؟

إرهـــارت : إنى أؤكد لك فى خشوع أننى لا أستطيع يا خالتى ألّلا.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه بإمعان)** وحتى أمك لم يعد لها أى تأثير عليك أيضًا؟

إرهـــــــارت : سأحبك دائما يا أمى، ولكنـى لـن أسـتطيع أن أستمر على الحياة منقطعًا لك، فليست هذه هـى الحياة التى أريدها.

بـوركمـــــان : إذن تعال بعد كل ذلك واشترك معى! فإن الحياة يا إرهارت، الحياة تعنى العمل، تعال وسنـسير سويًا فى الحياة قُدمًا وسنعمل معًا!

إرهـــــــارت : **(بتأثر)** نعم، ولكنى لا أريد أن أعمل الآن، لأنى ما زلت صغيرًا! وهذا ما لم أدركه من قبل قط، ولكنى عرفته الآن، وأصبحت هذه المعرفة تطن فى كل عرق من جـسدى، لـن أعمـل! فقـط سأعيش، سأعيش، سأعيش!

السيدة بوركمان : **(فى صيحة كمن يقرأ الغيب)** وماهدفك من الحياة يا إرهارت؟

إرهـــــــارت : **(وعيونه تلمع)** السعادة يا أمى!

السيدة بوركمان : وأين تظن أنك ستجدها؟

إرهـــــــارت : لقد وجدتها فعلاً!

السيدة بوركمان : **(تصيح)** إرهارت!

(يذهب إرهارت بسرعة إلى باب الـصالة ويفتحه عن آخره).

إرهـــــــارت : (ينادى من باالخارج) فانى، تـسـتطيعين الـدخول الآن!

(تظهر السيدة ويلتن على عتبة الباب وهى بملابس الخروج الكاملة)

السيدة بوركمان : (ترفع يديها) السيدة ويلتن!؟

السيدة ويـلتن : (فى تردد وهى تنظر إلى إرهارت نظرة متـسائلة) أتريد منى أن...؟

إرهـــــــارت : نعم، تستطيعين الدخول الآن، فقد أخبرتهم بكـل شىء.

(تتقدم السيدة ويلتن إلى داخل الحجـرة ويغلق إرهارت الباب بعد دخولها، تنحنى بهيئـة رسمية لبوركمان الذى ينحنى لها فى صمت... فترة صمت قصيرة)

السيدة ويـلتن : (تحاول أن تتحدث بـصوت رزيـن) إذن فقـد أخبركم أخيرًا، وأظنكم تحسبوننى سببًا فـى أن حلَّت مصيبة عظيمة بهذا البيت؟!

السيدة بوركمان : (ببطء وهى تنظر إليها بشدة) لقد سحقت البقيـة الباقية من رغبتى فى الحياة. (فى ثورة) ولكن كل ذلك، كل ذلك مستحيل تمامًا!

السيدة ويلتن : إنى أفهم تماما أن هذا الأمر يجب أن يبدو مستحيلاً لك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، إنك بالتأكيد تحسِّين أنه أمر مستحيل، وإلاَّ؟

السيدة ويلتن : بل يجب أن أقول إنه يبدو بعيد الاحتمال، ولكن هذا ما حدث، وليس شيئًا أقل من ذلك.

السيدة بوركمان : **(تلتفت)** أأنتما جادان حقًا فى هذا الأمر يا إرهارت؟

إرهارت : إنه يعنى السعادة لى يا أمى، كل الجمال والسعادة فى الحياة، وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك.

السيدة بوركمان : **(تعصر يدها بالأخرى، وتخاطب السيدة ويلتن)** أوه، كيف استطعت أن تتملقى وتغوى ابنى التعس!؟

السيدة ويلتن : **(ترفع رأسها فى كبرياء)** لم أفعل شيئًا من هذا القبيل.

السيدة بوركمان : لم تفعلى؟ وتقولين ذلك!؟

السيدة ويلتن : نعم، أنا لم أتملقه ولم أغوه، لقد جاء إرهارت إلىَّ بمحض إرادته، وذهبت أنا بمحض إرادتى إلى منتصف الطريق لمقابلته.

السيدة بوركمان : **(تقيسها بنظراتها فى احتقار)** نعم، بالطبع، هذا ما أستطيع تصديقه بسهولة.

السيدة ويلتن : **(تتمالك نفسها)** السيدة بوركمان، إن فى الحياة الإنسانية قوى يبدو أنك لا تعرفين عنها إلا القليل.

السيدة بوركمان : هل لى أن أسألك أى قوى تعنين؟

السيدة ويلتن : القوى التى تفرض على شخصين أن تتصل حياتهما سويًا اتصالاً وثيقًا... دون خوف.

السيدة بوركمان : **(وهى تبتسم)** ظننتك مرتبطة فعلاً ارتباطًا وثيقًا... بآخر.

السيدة ويلتن : **(فى اقتضاب)** هذا الأخير هجرنى.

السيدة بوركمان : ولكنه ما زال حيًّا، هكذا يقولون.

السيدة ويلتن : إنه ميت فى نظرى.

إرهارت : **(فى إصرار)** نعم يا أمى، إنه ميت بالنسبة لفانى، هذا إلى أن هذا الآخر لا يغيِّر من الأمر شيئًا بالنسبة لى!

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى عبوس)** إذن فأنت تعرف كل هذا... عن الآخر؟

إرهـــــــارت : نعم يا أمى، إنى أعرف معرفة تامة... كل شىء عن هذا الموضوع!

السيدة بوركمان : ومع ذلك تجسر على القول بأن ذلك لا يغير من الأمر شيئًا بالنسبة إليك؟

إرهـــــــارت : **(متحديًا فى حدة طبع)** كل ما أستطيع أن أقولـه إننى يجب أن أحصل على السعادة! إنى صغير! أريد أن أعيش، أعيش، أعيش!

السيدة بوركمان : نعم، إنك صغير يا إرهارت، أصغر من أن تفعل ذلك.

السيدة ويـلتن : **(بثبات وجد)** لا تظنى يا سيدة بوركمان أننى لم أقل له نفس الكلام، لقد عرضت أمامـه حيـاتى كلها، وقد كررت له مرة بعد مرة أننـى أكبُـره بسبع سنوات...

إرهـــــــارت : **(مقاطعًا)** أوه، هراء يا فانى، لقد كنـت أعـرف ذلك منذ اللحظة الأولى.

السيدة ويـلتن : ولكن لا شىء، لا شىء استطاع أن يمنعه.

السيدة بوركمان : حقا؟ لا شىء؟ لماذا إذن لم تصرفيه دون عنـاء أكثر؟ لماذا لم تغلقى بابك دونه؟ كان يجـب أن تفعلى ذلك، وتفعليه فى وقته!

السيدة ويـــلتن : (تنظر إليها وتقول فى صوت خافت) لم أســتطع أن أفعل ذلك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : لماذا لم تستطيعى؟

السيدة ويـــلتن : لأنه بالنسبة لى أنا أيضًا كان يعنى السعادة.

السيدة بوركمان : (باحتقار) هم، السعادة، السعادة.

السيدة ويـــلتن : لم أذق طعم السعادة فى حياتى من قبل، فلم يكن ممكنًا أن أطرد السعادة بعيدًا عنى لا لــشىء إلا لأنها جاءت متأخرة.

السيدة بوركمان : وإلى متى تحسبين هذه السعادة ستدوم؟

إرهـــــــــارت : (مقاطعًا) دامت أو لم تدم، ليس لذلك أهمية الآن يا أمى!

السيدة بوركمان : (بغضب) إنك فتى أعمى! ألا ترى إلام يقــودك كل هذا؟

إرهـــــــــارت : لا أريد أن أُنعم النظر فى المستقبل، لا أريــد أن أنظر حولى فى أى اتجاه، كل ما صممت عليـــه أن أحيا حياتى... أخيرًا!

السيدة بوركمان : (بألم) وتدعو تلك حياة يا إرهارت!؟

إرهـــــــــارت : ألا ترين كم هى جميلة!؟

السيدة بوركمان : (تعصر يديها إحداهما بالأخرى) وعلىَّ أن أحمل هذا الثقل من العار أيضًا!

بوركمان : (فى مؤخرة القاعة فى صوت خشن حاد) هو... لقد تعودتِ على حمل مثل هذه الأشياء يا جنهيلد!

أللا رانثيم : (فى توسل) بوركمان!

إرهارت : أبى!

السيدة بوركمان : سأضطر يومًا بعد يوم إلى رؤية ابنى مرتبطًا بـ... بـ...

إرهارت : (يقاطعها بخشونة) لن ترَىْ شيئًا من ذلك يا أمى! فليرتح بالك من هذه الناحية، لأنى لن أبقى هنا.

السيدة ويلتن : (فى سرعة وتصميم) سنسافر بعيدًا يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : (يشحب وجهها) أأنت أيضًا مسافر بعيدًا؟ مسافران معًا ولا شك؟

السيدة ويلتن : (تحنى رأسها موافقة) نعم، سأسافر إلى الخارج، إلى الجنوب، وسأصحب معى فتاة صغيرة، وسيسافر معنا إرهارت كذلك.

السيدة بوركمان : معك؟ ومع فتاة صغيرة؟

السيدة ويلتن : نعم، إنها فريدا فولدول الصغيرة التى تعيش معى، فإنى أود أن أصحبها معى إلى الخارج لتزيد ثقافتها الموسيقية.

السيدة بوركمان : ولهذا فأنت تصحبينها معك؟

السيدة ويلتن : نعم، فلن أستطيع أن أتركها وحيدة فى الدنيا.

السيدة بوركمان : **(تكتم ابتسامتها)** ماذا تقول فى هذا يا إرهارت؟

إرهارت : **(فى ارتباك وهو يهزُّ كتفيه)** لا بأس يا أمى، ما دامت فانى تريد الأمر هكذا.

السيدة بوركمان : **(فى برود)** ومتى ستبدأ هذه المجموعة المتميزة السفر إن كان لى أن أسأل؟

السيدة ويلتن : سنسافر فى الحال، الليلة، زحافتى المغطاة تنتظرنا فى الطريق خارج بيت آل هنكل.

السيدة بوركمان : **(تقيسها بنظراتها من الرأس إلى القدم)** آها! إذن فهذا ما كان يقصد بالحفلة؟

السيدة ويلتن : **(مبتسمة)** نعم، كنت أنا وإرهارت كل المدعوين إلى الحفل، ومعنا. فريدا الصغيرة بالطبع.

السيدة بوركمان : وأين هى الآن؟

السيدة ويلتن : إنها فى الزحافة تنتظرنا.

إرهارت : **(فى حيرة مؤلمة)** لا شك أنك تفهمين يا أمى، لقد كنت أود أن أجنِّبك هذا كله، أنت وغيرك.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى ألم شديد)** أكنت تريد أن ترحل بعيدًا عنى دون أن تودعنى؟

إرهارت : نعم، ظننت أن ذلك أفضل، أفضل لنا جميعًا، فقد حزمنا أمتعتنا واتفقنا على كل شىء، ولكن بالطبع عندما أرسلت إلىَّ...

(يمد يديه إليها) وداعًا يا أمى.

السيدة بوركمان : **(بإشارة اشمئزاز)** لا تلمسنى!

إرهارت : **(برقة)** أهذا رأيك الأخير؟

السيدة بوركمان : **(بجفاء)** نعم.

إرهارت : **(يستدير عنها)** وداعًا أنت إذن يا خالتى أللا.

ألـلا رانثيـم : **(تضم يديه)** وداعًا يا إرهارت! وعش حياتك... وكن سعيدًا، سعيدًا كأسعد ما تستطيع.

إرهـــــــارت : شكرًا يا خالتى. **(ينحنى لبوركمان)**

وداعا يا أبى. **(يهمس للسيدة ويلتن)**

هيا بنا نخرج، فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل.

السيدة ويـــلتن : **(فى همس)** نعم، هيا بنا.

السيدة بوركمان : **(فى بسمة خبيثة)** السيدة ويلـــتن، أتظنـــين أنـــك تصرفت تصرفًا حكيمًا إذ تصحبين معـــك هـــذه الفتاة؟

السيدة ويـــلتن : **(تبتسم أيضًا بسمة فيها السخرية والجد)**

إن الرجال كثيرو القلق يا سيدة بوركمان، وكذلك النساء أيضًا، فعندما ينتهـــى إرهـــارت منـــى، وانتهى منه، إذ ذاك يكون من الخير لنا كلينا أن يجد هذا الصديق المسكين شخصًا آخـــر يعتمـــد عليه.

السيدة بوركمان : ولكن أنت؟

السيدة ويـــلتن : أوه، سأعرف ما أفعل، أؤكد لك، وداعًـــا لكـــم جميعًا!

(تنحنى وتخرج من باب الصالة، بينما يقف إرهارت فترة، كأنه متردد ثم يستدير ويتبعها)

السيدة بوركمان : (تسقط يديها المطوية) وحيدة بلا ولد.

بوركمان : (كأنما وصل إلى حل بعد تردد طويل) إذن فلأخرج وحيدًا إلى العاصفة! قبعتى! معطفى!

(يذهب مسرعًا إلى الباب)

ألّلا رانتيم : (فى فزع توقفه) جون جابرييل، إلى أين أنت ذاهب؟

بوركمان : إلى الخارج، إلى الحياة العاصفة قلت لكِ، دعينى أذهب يا ألّلا!

ألّلا رانتيم : (تحاول منعه) لا، لا ، لن أدعك تخرج! فأنت مريض، إنى أرى ذلك بوضوح فى وجهك!

بوركمان : دعينى أذهب، قلت لك!

(يخلّص نفسه منها ويخرج إلى الصالة)

ألّلا رانتيم : (عند الباب) ساعدينى فى منعه يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (فى صوت بارد حاد وهى تقف فى وسط الحجرة) لن أحاول منع أى واحد فى العالم، دعيهم يذهبوا

عنِّى... الواحد بعد الآخر؟ كما،كما يحلو لهـــم.

(ثم فجأة تصيح فى صرخة حادة) إرهـــارت، لا تتركنى!

(تندفع نحو الباب وقد مـــدت ذراعيهـــا، فتوقفها أللا رانثيم)

«الســـــتار»



الفصل الرابع



المنظر:

(فضاء مكشوف خارج المبنى الرئيسى الذى يبدو إلى اليمين، وقد صمم ركن منه ليظهر على المسرح فيه باب يصل إليه الإنسان بعدد من الدرجات الحجرية المنخفضة. يمثل المنظر الخلفى وهادًا منحدرة، فيها أشجار مورقة تبدو قريبة، إلى اليسار خط من الأشجار يمثل حدود الغابة.

العاصفة الثلجية انتهت ولكن الثلوج التى نزلت أخيرًا قد تراكمت بكثرة حول المكان، وقد حملت الأغصان المورقة حملاً ثقيلاً من الثلج. الليل مظلم والسحب ثقيلة، وبين فترة وأخرى يطل القمر بضوئه الشاحب، ليس هناك من ضوء إلا ضوء معتم ينعكس من الثلوج، يقف على الدرجات بوركمان والسيدة بوركمان وأللا رانثيم، بوركمان مستندًا على جدار المنزل فى تعب وقد ألقى على كتفيه لفاعًا من طراز قديم، وأمسك فى إحدى يديه بقبعة رمادية من اللباد اللين، وأمسك فى اليد الأخرى عصا غليظة ذات

عقد، أللا رانثيم تحمل معطفها على ذراعها، أما السيدة بوركمان فقد انحدر شالها الكبير على كتفيها كاشفًا عن شعرها).

ألـــلا رانثيـــم : (تسد الطريق أمام السيدة بوركمان) لا تـذهبى وراءه يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (فى خوف وحيرة) دعينى أمر قلت، لك! يجب ألا يرحل بعيدًا عنى!

ألـــلا رانثيـــم : قلت لكِ ألا فائدة مطلقًا! فلن تـستطيعى اللحاق به.

السيدة بوركمان : دعينى أذهب يا أللا! سأصيح وراءه فى الطريق بأعلى صوتى، ويجب أن يسمع صياح أمه!

ألـــلا رانثيـــم : إنه لن يسمعك، تأكدى أنه ركب الزحافة الآن.

السيدة بوركمان : لا، لا، لا يمكن أن يكون قد وصل إلى الزحافة بعد!

ألـــلا رانثيـــم : إن أبوابها قد أغلقت عليه منذ فترة طويلة، صدقينى.

السيدة بوركمان : (فى يأس) إن كان فى الزحافة فهو إذن معها، معها... هى!

بـــوركمــــــــان : (يضحك فى وجوم)

إذن، فمن المحتمل ألا يسمع صياح أمه.

السيدة بوركمان : كلا، لن يسمعه (تتسمع) اسمع! ما هذا؟

ألـــلا رانثيـــــم : (تتسمع أيضًا) يبدو أنها أجراس زحافة.

السيدة بوركمان : (فى صرخة مكتومة) إنها زحافتها!

ألـــلا رانثيـــــم : لعلها زحافة أخرى.

السيدة بوركمان : كلا، كلا، إنها زحافة السيدة ويلتن المغطاة! فأنا أعرف أجراسها الفضية! اســـتمعى! أنهـــم الآن يمرون بنا فى أسفل التل!

ألـــلا رانثيـــــم : (بسرعة) جنهيلد، إذا أردت أن تصيحى ليسمعك فهذا هو الوقت الملائم! ربما بعد كل ما حدث!

(تسمع رنات الأجراس فى الغابـــة عـــن قـــرب)

أسرعى يا جنهيلد! فإنهم الآن تحتنا تمامًا!

السيدة بوركمان : (تقف لحظات مترددة، ثم تشتد وتقول فى صوت بارد عنيف) كلا، لـــن أصـــيح وراءه، فليـــذهب إرهارت بوركمان بعيدا عنى، بعيدا جـــدا، إلـــى ذلك الذى يسميه الحياة والسعادة.

(تخفت رنات الأجراس فلا تسمع لبعدها)

ألــلا رانثيـــــم : (بعد فترة صمت) لم نعـد نـسمع الآن رنـات الأجراس.

السيدة بوركمان : إن صوتها يشبه أجراس الجنازة.

بــوركمـــــــان : (بضحكة جافة) أوهو.. إنها لا تدق الليلة لى!

السيدة بوركمان : كلا، إنما تدق لى، ولذلك الذى ذهب بعيدًا عنى.

ألــلا رانثيـــــم : (تحنى رأسها مرات مفكرة) من يعلم، لعلها مـع كل ذلك رنات الحياة والسعادة له يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : (فى نشاط مفاجئ، تنظر إليها بـشدة) أتقـولين الحياة والسعادة؟

ألــلا رانثيـــــم : لوقت قصير على أى حال.

السيدة بوركمان : أتتحملين تركه ليعرف الحياة والسعادة معها؟

ألــلا رانثيـــــم : (فى حرارة وعاطفة) بـالطبع، مـن كـل قلبـى وروحى!

السيدة بوركمان : (ببرود) إذن، فأنت ولاشك أغنى منى فـى قـوة الحب.

ألــلا رانثيـــــم : (تنظر بعيدًا) لعل الافتقار إلى الحب هـو الـذى يحفظ له قوته.

السيدة بوركمان : (تثبت عليها نظرها) إن كان الأمر كذلك، فسأكون سريعا فى مثل غناك يا ألّلا. (تتحول إلى داخل المنزل) هيا يا جون.. يجب أن تدخل أنت أيضًا.

ألّلا رانثيم : (تقف بعض الوقت وهى تنظر إلى بوركمان فى انزعاج ثم تضع يدها بحذر على كتفه).

بوركمان : (كأنما أيقظته) أنا؟

ألّلا رانثيم : نعم، فهواء الشتاء قاس عليك جدا، وإنى لألاحظ ذلك يا جون، فتعال، تعال معى، إلى داخل البيت، حيث الدفء.

بوركمان : (بغضب) أظنك تريدين أن أصعد إلى الصالة الكبرى ثانية.

ألّلا رانثيم : كلا، بل إلى الحجرة التى فى الطابق الأول.

بوركمان : (يشتعل غضبه) لن أضع قدمى تحت سقف هذا البيت ثانية!

ألّلا رانثيم : إلى أين تذهب إذن، وقد تأخر الليل واشتد الظلام يا جون؟

بـــوركمــــــان : (يلبس قبعته) أول كل شىء، سأذهب لأرى كـــل كنوزى المدفونة.

ألـــلا رانثيـــــم : (تنظر إليه بقلق) جون، إنى لا أفهمك.

بـــوركمــــــان : (وهو يضحك والسعال يقطع ضحكه) أوه، لست أعنى سرقات أخفيتها، لا تخافى من ذلك يا ألّلا. (يسكت ثم يشير بيده) أترين هذا الرجل هنــاك؟ من هو؟

(يتقدم إلى ركن المنزل ويلهلم فولدول فى لفاع قديم مغطى بالثلوج، وقد تدلت حافة قبعته إلى أسفل، وفى يده مظلة كبيرة، وهو فى تقدمـــه يتعثر فى الثلوج مجهدا ويعرج بقدمـــه اليـــسرى عرجا واضحا).

بـــوركمــــــان : ويلهلم! ماذا تريد منى ثانية؟

فــــــولـــدول : (يرفع نظره إليه) يا للسماء، أخرجت إلى درجات المنزل الخارجية يا جون جابرييـــل؟ (يـــنحنى) وكذلك السيدة بوركمان كما أرى؟

بـــوركمــــــان : (باقتضاب) إنها ليست السيدة بوركمان.

فــــــولـــدول : أوه، أرجو المعذرة، فأنت ترى أننـــى أضــ...
نظارتى فى الثلوج، ولكن كيف حــدث؟ أنت...
من لم تضع قدمًا خارج البيت...؟

بــوركمـــــــان : **(بغير اهتمام وبمرح)** لقد حان الوقت لأخرج ثانية إلى الهواء الطلق، ألا ترى ذلك؟ ما يقرب مــن ثلاث سنوات فى الحجز، وخمس ســنوات فـــى السجن، وثمان سنوات فى الصالة الكبرى مــن الطابق العلوى.

ألـــلا رانثيـــــم : **(فى ضيق)** بوركمان، أرجوك.

فــــــولـــدول : آه، نعم، نعم، نعم!

بــوركمـــــــان : ولكن أريد أن أعرف ما الذى جاء بك إلى هنا؟

فــــــولـــدول : **(مازال واقفًا أسفل الدرجات)** كنــت أريــد أن أصعد إليك يا جون جابرييل، أحسست بوجــوب حضورى إليك فى الصالة الكبرى، يا إلهى، هذه الصالة الكبرى.

بــوركمـــــــان : أأردت أن تصعد إلىَّ بعد أن طردتك؟

فــــــولـــدول : أوه، لم يكن من المستطاع أن يقف هذا عقبة فى طريقى.

بوركمان : ماذا فعلت برجلك؟ فإنى أراك تعرج؟

فولدول : نعم، ماذا تظن؟ لقد وقعت تحت إحدى الزحافات.

ألا رانتيم : وقعت تحت زحافة.

فولدول : نعم، زحافة مغطاة.

بوركمان : أو هو!

فولدول : يجرها حصانان، كانا ينزلان التل فى سرعة كبيرة، فلم أستطع الابتعاد عن طريقها بسرعة كافية، وهكذا...

ألا رانتيم : وهكذا وقعت تحتها؟

فولدول : لقد نزلت من التل ومر علىَّ يا سيدتى... أو آنستى، لقد مرت علىَّ تمامًا ودفعتنى لأتدحرج وأتدحرج فوق الثلوج.. وهكذا ضاعت منى نظارتى وكسرت مظلتى. **(يدلك ساقه)** كما أصيب رسغى أيضًا إصابة بسيطة.

بوركمان : **(يخفى ضحكه)** أتعرف من كان فى هذه الزحافة... يا ولهلم؟

فولدول : كلا، وكيف أستطيع رؤية من بداخلها وهى مغطاة وستائرها مسدلة؟ كما أن السائق لم يقف ولو للحظة واحدة بعد أن تركنى أتدحرج فوق الثلوج. ولكن لا أهمية لذلك مطلقاً لأنى... (فى ثورة) أوه، إنى سعيد جدا، سعيد جدا!

بوركمان : سعيد؟

فولدول : حسن، لست أدرى كيف أسمى حالتى هذه بالضبط، ولكنى أعتقد أن أقرب كلمة معبرة هى كلمة سعيد، لأن أمرًا رائعًا قد حدث! وهذا هو السبب الذى دفعنى... واضطرنى إلى الحضور إليك يا جون جابرييل لتقاسمنى سعادتى.

بوركمان : (فى صوت خشن) حسن، قاسمنى إذن!

أللا رانثيم : أوه، ولكن ادخل مع صديقك أولاً إلى المنزل يا بوركمان.

بوركمان : (بعنف) قلت لكِ إنى لن أدخل إلى المنزل.

أللا رانثيم : ولكن، ألم تسمعه يقول إن الزحافة مرت فوقه؟!

بوركمان : أوه، إن كلاً منا قد داسته الحياة بطريقة أو بأخرى، المهم أن ينهض الإنسان مسرعًا مرة أخرى دون أن يرى أحد أنه أصيب.

فولدول : هذا قول عميق يا جون جابربيل، ولكنى أستطيع بسهولة أن أقص عليك قصتى هنا فى كلمات قليلة.

بوركمان : (فى صوت أكثر لطفًا) نعم، أرجوك أن تقصها على يا ولهلم.

فولدول : حسن، الآن ستسمع! تصور أننى عندما عدت إلى البيت بعد أن تركتك هذا المساء، وجدت خطابًا فى انتظارى، أيمكنك معرفة الراسل؟

بوركمان : لعله من ابنتك الصغيرة فريدا؟

فولدول : بالضبط! تصور أنك عرفت ذلك فى الحال! نعم، كانت رسالة طويلة، رسالة طويلة جميلة من فريدا، وقد أحضرها أحد الخدم، ولكن هل يمكنك أن تتصور ماذا فيها؟

بوركمان : لعلها أرسلت تودعكما أنت وأمها؟

فولدول : تمامًا! إنك بارع فى التخمين يا جون جابربيل، نعم، لقد أخبرتنى أن السيدة ويلتن تميل إليها، وأنها ستصحبها معها إلى الخارج لتتعلم الموسيقى، وقد استأجرت السيدة ويلتن مدرسًا

ممتازا ليصحبهما فى الرحلة، وليقوم بتعليم فريدا أيضا، فإنها لسوء الحظ أُهمل تعليمها فى بعض المواد. أرأيت؟

بوركمان : **(يهتز وهو يضحك خفية)** بالطبع، إن الأمر فى غاية الوضوح يا ولهلم.

فولدول : **(مستمرًا فى حماسة)** يكفى أن تتصور أنها لم تعرف بأمر السفر إلا الليلة، وهى فى تلك الحفلة التى تعرفها، هِم! ومع ذلك وجدت الوقت الكافى لتكتب لى، وكانت الرسالة جميلة، فيها حرارة وعاطفة أؤكد لكِ، فليس فيها أى أثر للاستخفاف بأبيها، ثم ما ألطفها فكرة أن ترسل إلينا خطابا تودعنا فيه... قبل رحيلها. **(يضحك)** ولكنى بالطبع لن أتركها ترحل هكذا.

بوركمان : **(ينظر إليه فى تساؤل)** كيف؟

فولدول : لقد أخبرتنى أنهم سيبكرون بالرحيل غدًا صباحًا، فى وقت مبكر جدا.

بوركمان : أوه، حقًّا؟ غدًا؟ أأخبرتك هى بذلك؟

فـــــولــدول : **(يضحك وهو يدلك يديه)** نعم، ولكنى أكثر حيلة مما تظننى، ألا تعلم ذلك؟ فأنا ذاهب مباشرة إلى منزل السيدة ويلتن.

بــوركمـــــان : هذا المساء؟

فـــــولــدول : أوه، ولكن الليل لم يتقدم كثيرًا، وحتى لو وجدت المنزل مغلقًا فسأدق الجرس دون تردد، لأننى يجب أن أرى فريدا قبل سفرها، وسأراها، مساء الخير، مساء الخير! **(يهم بالذهاب)**.

بــوركمـــــان : قف لحظة يا صديقى المسكين ولهلم، وفر على نفسك مشكلة هذا الطريق المتعب.

فـــــولــدول : أوه، لعلك تفكر فى رسغى.

بــوركمـــــان : نعم، ثم على أى حال لن تذهب إلى منزل السيدة ويلتن.

فـــــولــدول : بل سأذهب حقيقة، سأدق الجرس وسأقرع الباب بيدى حتى يفتحوا لى ويدخلونى، لأننى يجب أن أرى فريدا، وسأراها.

ألــلا رانتيــــم : لقد سافرت ابنتك فعلا يا مستر فولدول.

فــــــولــدول : (فى ذهول) أسافرت فريدا فعلا؟ أأنت واثقة؟ من أخبرك؟

بــوركمـــــــان : عرفنا ذلك من مدرسها المقبل.

فــــــولــدول : حقًّا؟ ومن هو؟

بــوركمـــــــان : شخص يدعى مستر إرهارت بوركمان.

فــــــولــدول : (يشرق محياه بالفرح) ابنك يا جون جابرييل! أهو مسافر معهما؟

بــوركمـــــــان : نعم، إنه هو الذى سيساعد السيدة ويلتن فى تعليم فريدا الصغيرة.

فــــــولــدول : أوه، تعالى الله! إذن فالطفلة فى أيد أمينة. ولكن، أأنت واثق من أنهما سافرا معها فعلا؟

بــوركمـــــــان : لقد كانت معهما فى تلك المحفة التى وقعت تحتها فى الطريق.

فــــــولــدول : (يصفق) تصور أن ابنتى فريدا الصغيرة كانـــت فى هذه الزحافة الفخمة!؟

بــوركمـــــــان : (يحنى رأسه مرات) نعم، نعم، يا ولهلـــم، كانـــت ابنتك فى زحافتها وكذلك كان السيد إرهـــارت، خبرنى، ألاحظت الأجراس الفضية؟

فولدول : نعم، حقًا. أقلت إنها أجراس فضية؟ أكانت من الفضة؟ أكانت أجراس من الفضة الحقيقية الخالصة؟

بوركمان : كن متأكدًا من ذلك، كان كل شيء حقيقيًا... في الخارج والداخل.

فولدول : **(فى قوة هادئة)** أليس غريبا أن الحظ قد يصافى الإنسان فى بعض الأوقات؟ إن موهبتى، موهبتى الغنائية الضئيلة قد تحولت فى ابنتى إلى موسيقى. إذن، فلم يكن عبثا على أى حال أننى ولدت شاعرا، فها هى ذى تنطلق إلى الدنيا العظيمة الواسعة، الدنيا التى كنت أصبو من كل قلبى إلى رؤيتها، لقد بدأت فريدا الصغيرة رحلتها فى زحافة مغطاة رائعة ذات أجراس فضية معلقة فى أعناق الخيل.

بوركمان : وقد داست على أبيها!

فولدول : **(مسرورا)** أوه، يوه، وماذا يهمنى من ذلك ما دامت ابنتى أحسن؟ لا شك أننى تأخرت على الرغم من كل ذلك، يجب أن أعود إلى البيت لأطمئن أمها فقد تركتها تبكى فى المطبخ.

بـــوركمـــــــان : تبكى؟

فـــــولـــدول : **(يبتسم)**، أتصدق ذلك؟ لقد كانـــت تبكـــى وأنـــا خارج بكاء مرًّا.

بـــوركمـــــــان : وأنت تضحك ياولهلم؟

فـــــولـــدول : نعم، إنى أضحك بالطبع، ولكنها، هذه المـــسكينة لا تعرف ما هو خير من ذلـــك. هـــل فهمـــت؟ حسن، إلى اللقاء من حـــسن الحـــظ أن التـــرام قريب، إلى اللقاء، إلى اللقاء يا جون جابرييـــل، إلى اللقاء يا سيدتى.

(ينحنى ثم يعود وهو يعرج فى مشقة مـــن الطريق الذى جاء منه)

بـــوركمـــــــان : **(يقف برهة صامتًا وهو يحدق أمامه)** إلى اللقـــاء ياولهلم! فليست هذه المرة الأولى فى حياتك التى تداس فيها يا صديقى القديم.

ألـــلا رانثيــــم : **(تنظر إليه فى جزع مكتوم)** إن لونك شاحب يـــا جون، شاحب جدا.

بـــوركمـــــــان : هذا تأثير الهواء المكتوم فى الطابق العلوى.

ألـــلا رانثيــــم : لم أرك من قبل فى مثل هذه الحالة.

فولدول : نعم، فأظنك لم ترَ من قبل مسجونًا هاربًا.

ألّلا رانثيم : أوه، أرجوك أن تدخل معى إلى المنزل يا جون!

فولدول : لا فائدة من محاولة إغرائى على الدخول، لقد أخبرتك.

ألّلا رانثيم : ولكن إذا رجوتك وتوسلت إليك؟ من أجلك أنت... **(تفتح الخادم الباب وتقف عنده).**

الخادم : أرجو المعذرة، ولكن السيدة بوركمان طلبت منى أن أغلق الباب الخارجى الآن.

بوركمان : **(مخاطبا ألّلا فى صوت خافت)** أرأيت؟ إنهم يريدون حبسى فى الطابق العلوى ثانية!

ألّلا رانثيم : **(للخادم)** ليس السيد بوركمان فى حالة حسنة، فهو فى حاجة إلى بعض الهواء النقى قبل الدخول.

الخادم : ولكن السيدة بوركمان أخبرتنى.

ألّلا رانثيم : سأغلق أنا الباب، فقط دعى لى المفتاح فى القفل.

الخادم : أوه، حسن جدا، سأتركه. **(تدخل ثانية إلى المنزل).**

بوركمان : **(يقف لحظة صامتا وهو يتسمع، ثم ينزل الدرج مسرعا ويخرج إلى الفناء المتسع)** الآن، أصبحت

خارج الجدران يا ألــلا! الآن لــن يــستطيعوا الإمساك بى ثانية أبدا!

ألـــلا رانثيـــــم : **(التى نزلت إليه)** ولكنك رجل حر هناك أيضًا يا جون، تستطيع أن تخرج وتدخل كما تشاء.

بــوركمــــــــان : **(فى همس وكأنه فزع)** أبدا لن يظلنى سقف بعــد اليوم! ما أطيب وجودى هنا فى الخــارج فــى الليل، لو أنى صعدت إلــى القاعــة الآن؛ فــإن السقف والجدران ســتنطبق علــىَّ وتــسحقنى، تسحقنى كالذبابة سحقًا تامًا.

ألـــلا رانثيـــــم : ولكن إلى أين أنت ذاهب إذن؟

بــوركمــــــــان : لا شىء إلا أنى سأتقدم وأتقدم وأتقدم، وسأحاول إن لم أستطع أن أشق طريقى ثانية إلى الحريــة، والحياة، والمجتمع الإنسانى. أتأتين معى يا أللا؟

ألـــلا رانثيـــــم : أنا؟ الآن؟

بــوركمــــــــان : نعم، فى الحال!

ألـــلا رانثيـــــم : ولكن إلى أين؟

بــوركمــــــــان : إلى أبعد ما أستطيع.

ألـــلا رانثيـــــم : أوه، ولكن فكر فيما تفعله! كيف تخرج فى ليـــل الشتاء الرطب البارد هذا؟

بـــوركمـــــــان : **(فى صوت كثير الخشونة)** أوهو، أتقلـــق ســـيدتى كثيرا من أجل صحتها؟ نعم، نعم؛ فأنا أعلم كـــم هى رقيقة.

ألـــلا رانثيـــــم : بل أنا قلقة من أجل صحتك أنت.

بـــوركمـــــــان : هو هو هو! صحة رجل ميت! أنا لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك عليك يا أللا! **(يتحرك إلى الخارج)**.

ألـــلا رانثيـــــم : **(تتبعه وتمسك به لتمنعه من التقدم)** ماذا قلت عن نفسك؟

بـــوركمـــــــان : رجل ميت، هذا ما قلته، ألا تذكرين أن جنهيلـــد طلبت منى أن أرقد هادئا فى مكانى؟

ألـــلا رانثيـــــم : **(فى تصميم تضم المعطف إلى جسدها)** ســـأذهب معك يا جون.

بـــوركمـــــــان : نعم، فإننا يخص أحدنا الآخر يا أللا، **(يتقدم)** هيا إذن!

(يتقدمان تدريجيًا حتى يخترقا الغابة المنخفضة التى إلى اليسار، فتخفيهما شيئًا فشيئًا حتى لا يظهر منهما شيء. يختفى المترل والفضاء المتسع أمامه، المكان المكون من الوهاد المنحدرة وخطوط الأشجار يتغير ببطء ليصبح أكثر تيهًا ووحشة).

صوت (يسمع من الغابة التى إلى اليمين).

ألـلا رانثيـم : إلى أين نذهب يا جون؟ فأنا لا أذكر هذا المكان.

صـوت : (أعلى من صوتها).

بـوركمـان : يكفى أن تقتفى آثار أقدامى على الثلج!

صوت

ألـلا رانثيـم : ولكن ما الحاجة إلى أن تتسلق عاليًا هكذا؟

صوت

بـوركمـان : (قريبًا) يجب أن نصعد هذا الطريق المنحنى.

ألـلا رانثيـم : (مازالت مختفية) أوه، ولكننى لا أستطيع أن أتقدم أكثر من ذلك.

بـوركمـان : (على حافة الغابة إلى اليمين) هيا، هيا! فلسنا بعيدين الآن عن المنظر، كان يوجد هنا دائمًا مقعد.

ألـــلا رانتيـــم : (تظهر بين الأشجار) أتتذكره؟

بـــوركمـــــان : يمكنك الراحة هنا

(يطلعان على قمة من سهل مرتفع في الغابة، وقد ارتفع خلفهما جبل فجأة، إلى اليسار في مكان منخفض جدا متسع حول خليج حوله شعاب "فيورد"، فيه صفوف عالية من الأشجار يعلو بعضها بعضًا، إلى اليسار فوق السهل المرتفع شجرة ميتة وتحتها مقعد. الثلوج متراكمة فوق السهل، يدخل من اليمين بوركمان تتبعه ألـلا رانثيم، وهما يخوضان الثلوج بصعوبة)

بـــوركمـــــان : (يقف على حافة منحدر شديد الانحدار إلى اليسار) تعالى هنا يا ألّلا، وسترين.

ألـــلا رانتيـــم : (تصعد إليه) ماذا تريد أن تريني يا جون؟

بـــوركمـــــان : (يشير إلى الخارج) ألا ترين كيف ترقد البلاد أمامنا حرة متفتحة... هناك إلى أقصى الأفق؟

ألـــلا رانتيـــم : طالما جلسنا على هذا المقعد من قبل، ونظرنا إلى مسافة أبعد كثيرا كثيرا.

بـــوركمـــــان : إنها أرض الأحلام التى كنا ننظر إليها إذ ذاك.

ألـــلا رانتيـــــم : **(تحنى رأسها مرارًا فى بطء)** نعــم، كانــت أرض الأحلام فى حياتنا، ولكن هذه الأرض الآن قــد دفنت تحت الثلوج وماتت الشجرة العجوز.

بـــوركمــــــــان : **(غير مستمع إليها)** أتـــستطيعين رؤيـــة دخـــان المركب البخارية الكبيرة هناك خارج الخليج؟

ألـــلا رانتيـــــم : كلا.

بـــوركمــــــــان : أما أنا فأستطيع، إن السفن تذهب وتجىء لتنـــسج شبكة من الصداقة بين جميـــع أنحـــاء العـــالم، وتسكب النور والحرارة فى نفوس رجـــال فـــى آلاف كثيرة من البيوت، وهذا ما كنت أحلم بـــأن أعمله.

ألـــلا رانتيـــــم : **(فى نعومة)** وقد ظل ذلك حلما.

بـــوركمــــــــان : نعم، ظل حلما **(يتـــسمع)** ولكـــن اســـتمعى يـــا عزيزتى، هناك عند النهر! إن المصانع تـــدور! مصانعى! كل هذه المـــصانع التـــى كـــان مـــن المفروض أن أنشئها مـــن عـــدم! اســـمعى! ألا تسمعين دويها؟ لقد بدأت نوبـــة الليـــل... هـــم يعملون إذن ليلا ونهارا. اسمعى! اســـمعى، إن

العجلات تدور بسرعة والسيور تومض وهى تدور، وتدور. وتدور، ألا تسمعينها يا ألللا؟

أنـــلا رانثيـــم : لا أسمعها.

بـــوركمـــان : أنا أستطيع سماعها!

ألـــلا رانثيـــم : **(بقلق)** أظنك تغالط نفسك يا جون.

بـــوركمـــان : **(يزداد فى الاستفهام شيئًا فشيئًا)** ولكن كل هذه... إنها ليست إلا الاستحكامات حول المملكة، صدقينى!

ألـــلا رانثيـــم : أقلت المملكة، أى مملكة؟

بـــوركمـــان : مملكتى بالطبع! المملكة التى كنت على وشك غزوها عندما، عندما مت.

ألـــلا رانثيـــم : **(مصدومة، فى صوت خافت)** أوه، جون، جون!

بـــوركمـــان : أما الآن فإنها ملقاة، دون دفاع، ودون سيد... معرضة لكل اللصوص وقطاع الطرق. ألا ترين يا ألللا سلسلة الجبال... هناك بعيدا؟ إنها تسمو إلى العلا وترتفع كالأبراج بعضها خلف بعض! هذه هى مملكتى الواسعة، مملكتى الدائمة السرمدية!

ألـــلا رانتيـــــم : أوه، ولكن عاصفة ثلجية تهب من ناحيـــة هـــذه المملكة يا جون!

بـــوركمــــــــان : هذه العاصفة، هى فى نظرى، أنفاس الحياة، هذه العاصفة تقبل نحوى وكأنها تحيـــة مـــن أرواح رعاياى، إذ يبدو أننى أثرت فيها، هذه الملايـــين السجينة، إنى أستطيع أن أرى عروقها المعدنيـــة وهى تمد لى أذرعتها الدوارة المتشعبة المغرية، لقد رأيتها من قبل تقف أمام عينى وكأنها أشباح حية، فى تلك الليلة التى وقفت فيها فى الخزانـــة وشمعة فى يدى، لقد توسلت إلـــىَّ أن أحـــررك، وقد حاولت أن أهبك الحرية، ولكن قوتى خانتنى وغرق الكنز ثانية فى الأعماق.

(يمد يديه) ولكنى سأهمس لك هنا فى هدأة الليل، إننى أحبك أنت يا من ترقـــدين مـــسحورة فـــى الأعماق بين الظلام، إنى أحبك أيتها الكنوز التى لم تولد بعد، والتى تتوق إلى النور! إنى أحبـــك بكل ما يلمع حولك من قوة وعظمة، إنى أحبك، أحبك، أحبك!

ألــلا راتثيـــم : **(فى اضطراب يتزايد وتحاول كبته)** نعم، إن حبك ما زال هناك يا جون، إن جذوره دائمًا كانت هناك، ولكن هنا، فى ضوء النهار، كان هنا قلب إنسانى حى ممتلئ بالحرارة يتأجج ويخفق من أجلك، وقد سحقت هذا القلب. أوه، بل أسوأ من هذا! أسوأ عشر مرات! لقد بعته فى سبيل، فى سبيل...

بـوركمـــان : **(يرتجف وكأن رعشة باردة تسرى فى جسده)** فى سبيل المملكة... والقوة، والقوة... والمجد... أهذا ما تعنينه؟

ألــلا راتثيـــم : نعم، هذا ما أعنيه، لقد قلت ذلك مرة هذه الليلة، قلت إنك قتلت حب الحياة فى المرأة التى أحبتك والتى أحببتها بدورك على قدر ما تستطيع أن تحب. **(ترفع ذراعها)** وإذ ذاك تنبأت لك يا جون جابرييل بوركمان، بأنك لن تلمس الجائزة التى كنت ستنالها مقابل هذا القتل، ولن تدخل مملكتك المظلمة الباردة منتصرا.

بــوركمـــــــان : (يتجه إلى المقعد مترنحا ثم يرتمي عليه جالسا) كنت أخاف ودائما أن تصح نبوءتك يا أللا.

ألـــلا رانثيـــم : (تذهب إليه) يجب ألا تخاف من ذلك يا جـون، فهذا خير ما يمكن أن يحدث لك.

بــوركمـــــــان : (يصرخ وهو يقبض على صدره) آه..! (يضعف) لقد عادت ثانية.

ألـــلا رانثيـــم : (هزه) ما هى يا جون؟

بــوركمـــــــان : (يهوى إلى مسند المقعد الخلفى) إنها يد من الثلج تقبض على قلبى.

ألـــلا رانثيـــم : جون أأحسستَ باليد الثلجية ثانية؟

بــوركمـــــــان : (يتمتم) لا ، ليست يدًّا ثلجيــة، إنمــا هــى يــد معدنية. (يغوص فى المقعد).

ألـــلا رانثيـــم : (تنـــزع معطفها وترميه فوقه) استلق هادئا حيث أنت، سأذهب لأعود بنجدة لتساعدك.

(تسير خطوة أو خطوتين إلى اليمين ثم تقف وتعود لتجس نبضه وتلمس وجهه بعناية).

ألـــلا رانثيـــم : (فى نعومة وعزم) كلا، هــذا أفــضل يــا جــون بوركمان، هذا خير لك.

(تلفه بالثوب بعناية ثم تسقط على الثلج أمام المقعد. فترة صمت قصيرة.

تدخل السيدة بوركمان من الغابة إلى اليمين وقد غطت جسمها بوشاح، وأمامها تسير الخادم حاملة المصباح)

الخادم : (تلقى الضوء على الثلج) نعم يا سيدتى، هذه آثارهم هنا.

السيدة بوركمان : (تنظر حولها) نعم، هاهما! إنهما يجلسان هناك على المقعد (تنادى) ألّلا!

ألّلا رانتيم : (تنهض) أتبحثين عنّا؟

السيدة بوركمان : (بعزم)، نعم، أنت ترين أننى أبحث عنكما.

ألّلا رانتيم : (تشير) انظرى، إنه راقد هناك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : نائم؟

ألّلا رانتيم : أظنه نومًا طويلاً عميقًا.

السيدة بوركمان : (فى غضب) ألّلا! (تتمالك نفسها وتسأل فى صوت منخفض) أهو الذى فعل ذلك... بنفسه؟

ألّلا رانتيم : كلا.

السيدة بوركمان : (فى راحة) ليس بيده إذن؟

ألــــلا رانثيــــــم : كلا، إنها يد معدنية ثلجية التى قبضت على قلبه.

السيدة بوركمان : اذهبى فى طلب النجدة، أحضرى الرجـــال مـــن المزرعة.

الخـــــــــــادم : نعم، سأفعل يا سيدتى. **(لنفسها)** يرحمنا الله!

(تخرج خلال الغابة من اليمين).

السيدة بوركمان : **(تقف خلف المقعد)** إذن فقد قتله هواء الليل.

ألــــلا رانثيــــــم : يبدو هذا.

السيدة بوركمان : على الرغم مما كان عليه من القوة؟

ألــــلا رانثيــــــم : **(تتقدم إلى مقدمة المقعد)** ألن تنظـــرى إليــــه يــــا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : **(فى حركة اشمئزاز)** أبدًا، أبدًا! أبدًا.

(تخفض من صوتها) كان جون جابرييل بوركمان ابن أحد عمال المناجم، فمـــا كـــان يـــستطيع أن يعيش فى الهواء الطلق.

ألــــلا رانثيــــــم : بل إن البرودة هى التى قتلته.

السيدة بوركمان : **(تهز رأسها نفيًا)** أتقولين البرودة؟ البرودة؟ لقــــد قتلته من زمن بعيد.

ألــــلا رانتيـــــم : **(تحنى رأسها موافقة)** نعم، وحولتنا نحن الاثنــين إلى خيالين.

السيدة بوركمان : إنك على حق فى ذلك.

ألــــلا رانتيـــــم : **(فى بسمة مليئة بالألم)** رجل ميت وخيالان... هذا ما فعلته البرودة بنا.

السيدة بوركمان : نعم برودة القلب، وإنى لأظن أن الواجب علينـــا الآن أن تمد كلٌّ منا يدها للأخرى يا ألللا.

ألــــلا رانتيـــــم : أظن أننا نستطيع الآن.

السيدة بوركمان : نحن التوأمتان، نجتمع فوق جثة من أحببنا.

ألــــلا رانتيـــــم : نحن الخيالان، فوق جثة الرجل الميت.

(السيدة بوركمان خلف المقعد وألللا رانتيم أمام المقعد تتصافحان)

«انتهــت»

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى: حسن كامل





لإبسن مكان كبير فى تاريخ المسرح، إذ إنه من أساتذة الصنعة المسرحية، ومعلم من معالم تطور المفهوم المسرحى كان المسرح قبله بعيدا عن مشاكل المجتمع الحقيقية خاضعا فى بنائه لمواصفات أرسطو المعلم الأول، وكانت المسرحيات تتراوح بين الإتقان المحكم والفتور البارد مثل مسرحيات سكريب وساردو الكاتبين الفرنسيين اللذين راجت مسرحياتهما وطوفت عبر القارة الأوربية فى ذلك الزمان حتى كتب إبسن مسرحياته فعبر عن مفهوم جديد للمسرح، وربطه بالحياة الدائرة واختار شخصياته من غمار الناس وناقش قيم المجتمع وأهدافه.

وقد تأثر بإبسن عدد كبير من كتاب المسرح الذين وفدوا بعده وخاصة الكاتب المسرحى العظيم وأحد موجهى هذا العصر جورج برنارد شو. كانت حماسة برنارد شو لإبسن لا تقل عن حماسته لجميع الأفكار الجديدة، التى عاش حياته من أجلها ومنه عرف شو أن سر المسرح الجيد هو أن يختار الكاتب المسرحى نماذجه من غمار الناس وأن يكون عينا يقظة تتتبع ملامح عصره، وعقلا نافذا يلقى فيها الرأى والتوجيه.

تصميم الغلاف: نسرين كشك